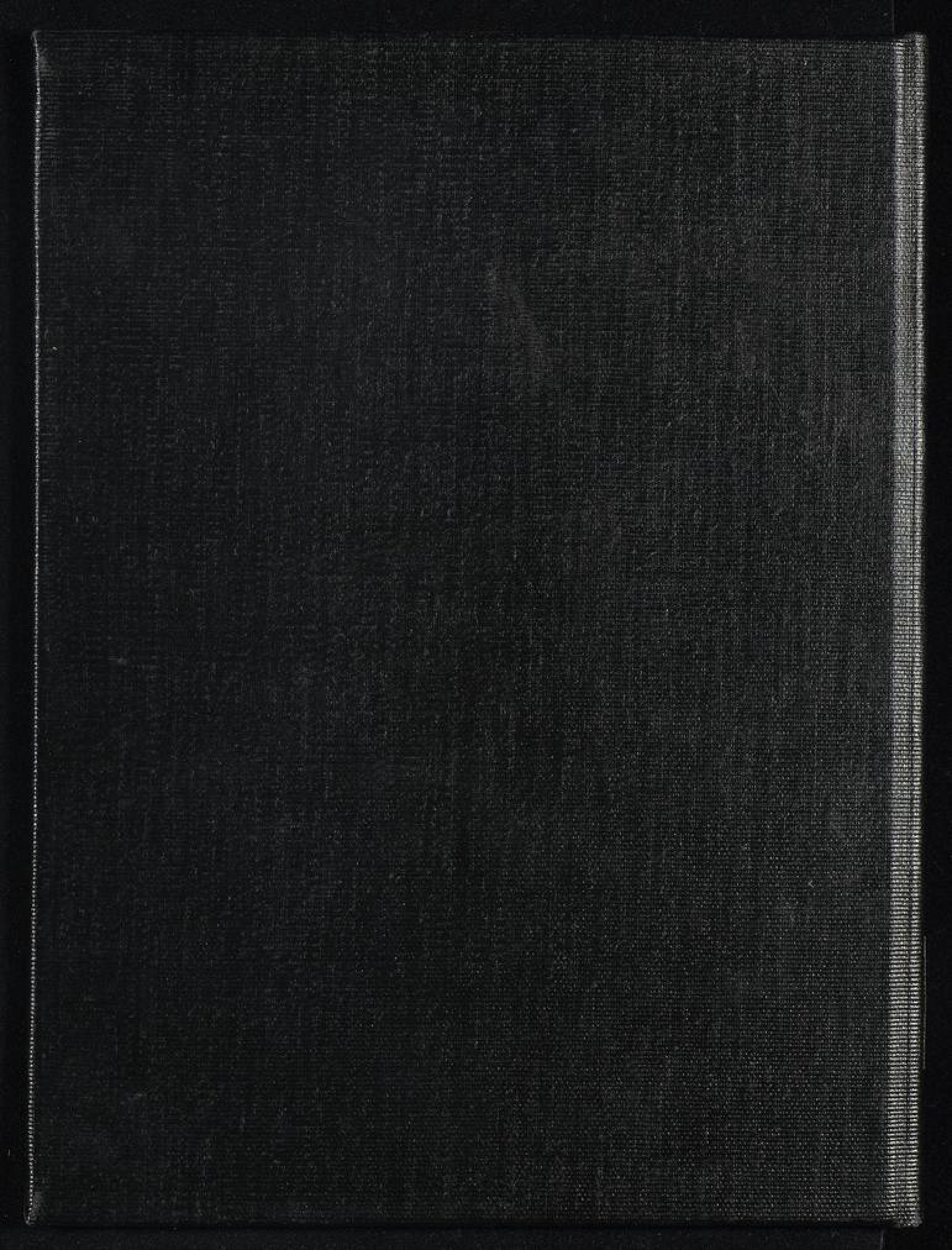
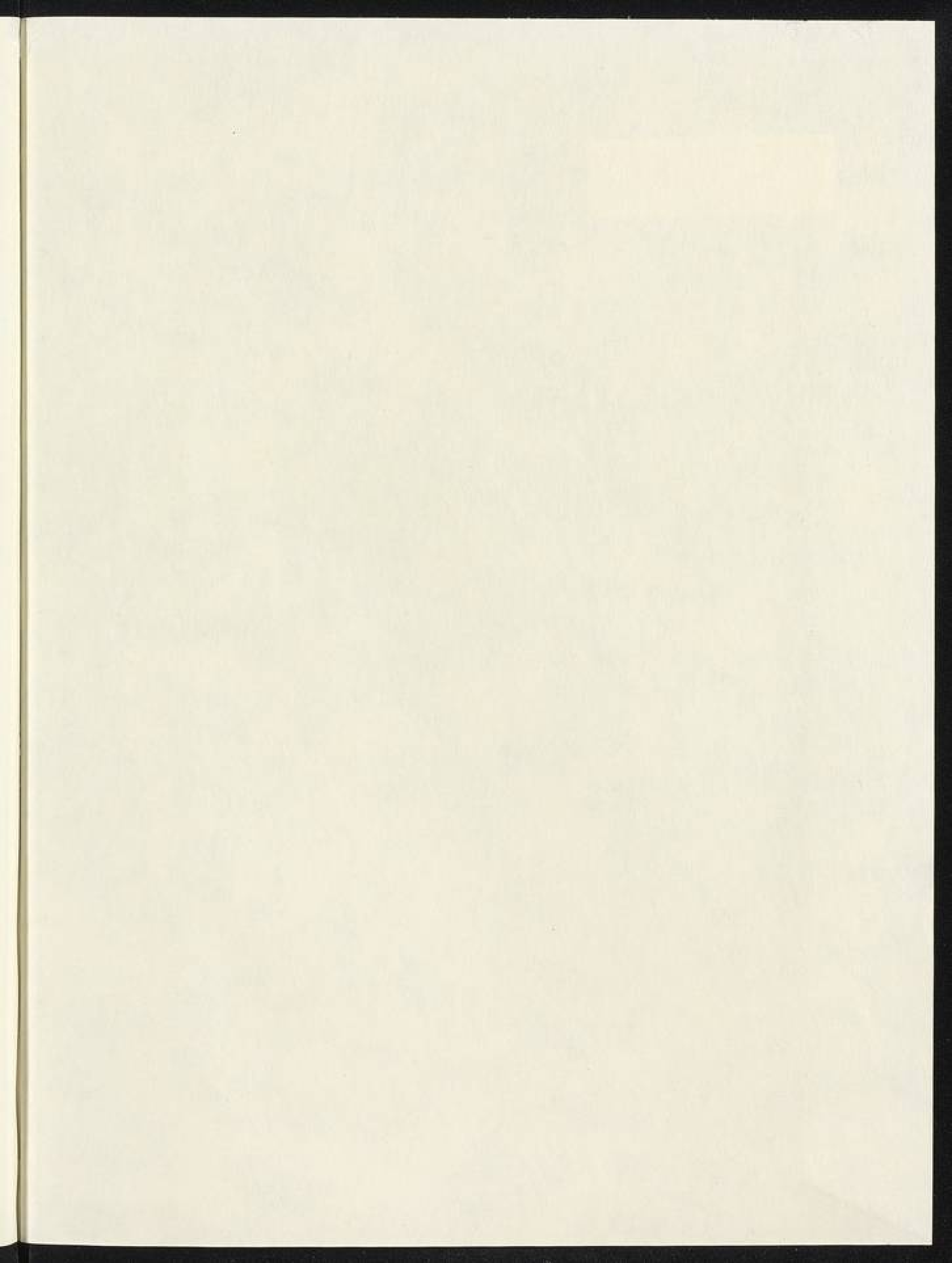
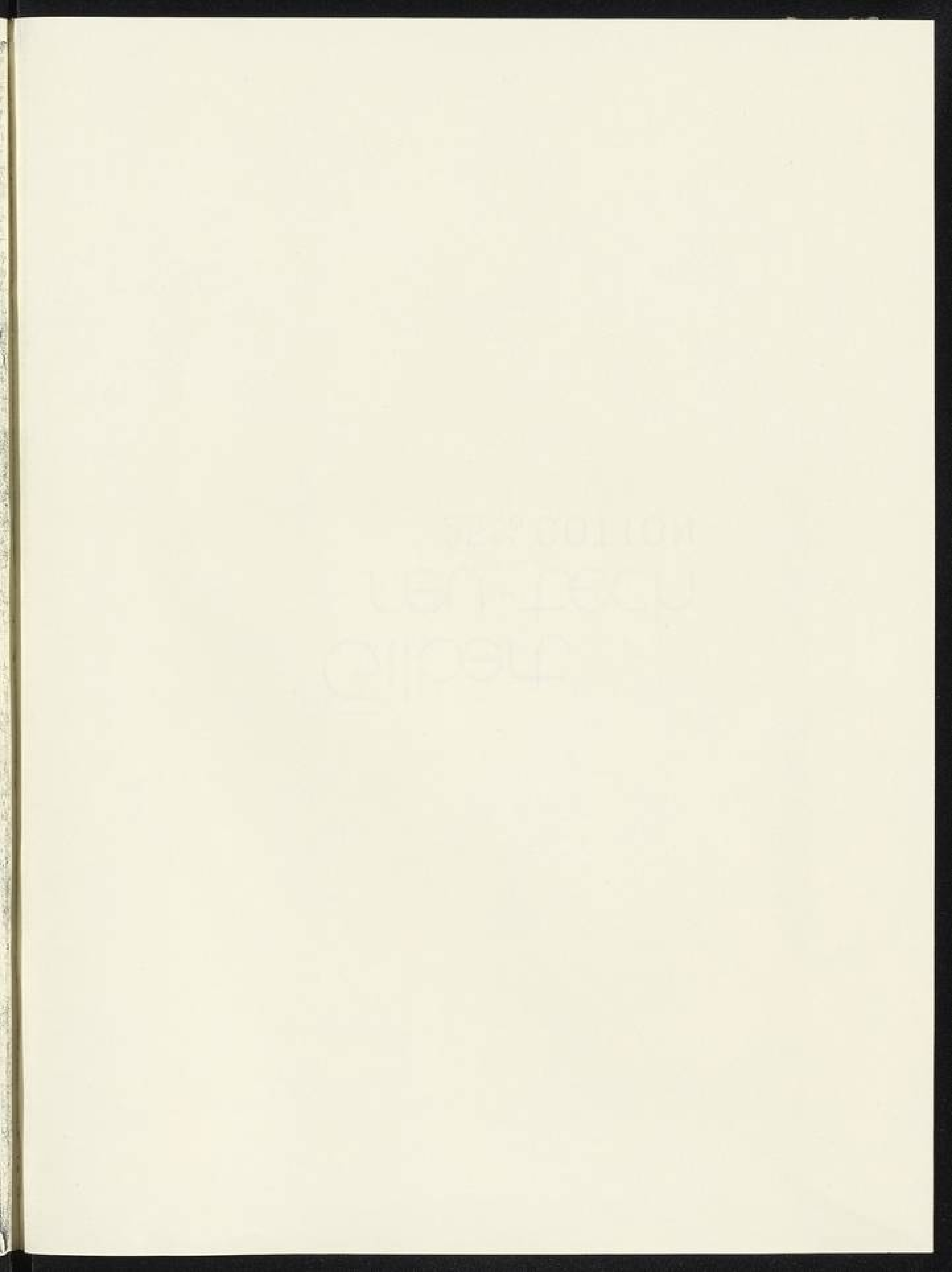



CORNELL UNIVERSITY LIBRARIES
JOHN M.
OLIN
LIBRARY
ITHACA, N.Y.







الحركات في لبنان

الى عهد المتصرفية

وهي شهادة درزية صريحة في مخطوطة تلم بحوادث لبنان واحواله يدلي بها
به رواة الدروز شاهد عيان ويساهم بها واحد منهم لأول مرة في تاريخ لبنان

الراوي : حسين غضبان ابو شقرا

المؤلف : يوسف خطار ابو شقرا

تحرّى نصّها وعلّق حواشيها وملاحقها ووضع مقدمتها وفهارسها

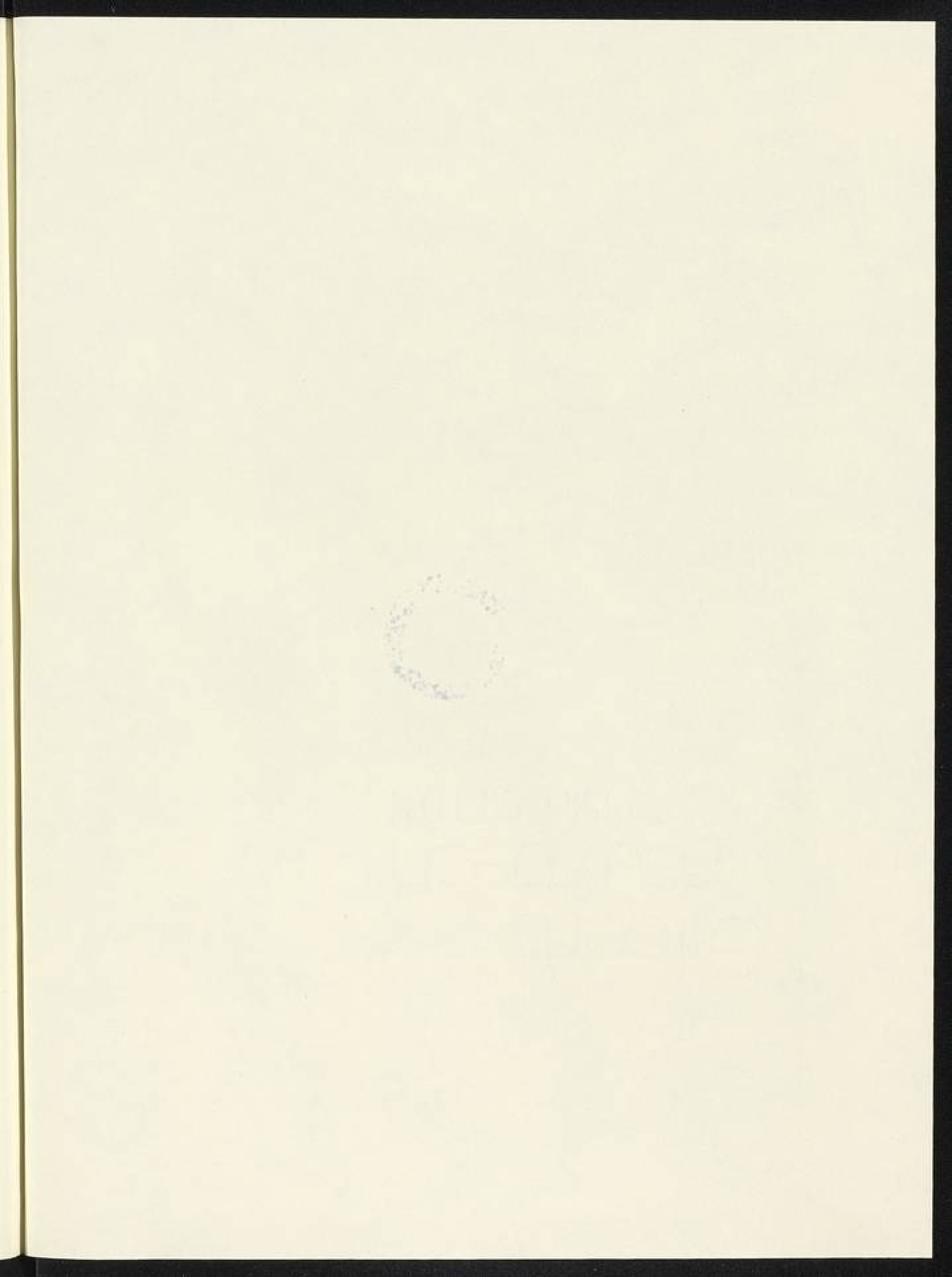
عارف ابو شقرا


CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
ITHACA, N.Y.

British Legation
Beirut. May 5/1952

I am pleased to present this copy of my book to the Legation. Some of the documents transcriped therein proves the friendly relations existed between H. M. G. and the Druses and in particular with the Abu Shacra family of Ammatour.

Sincerely
Arif Yussuf Abu-Shacra



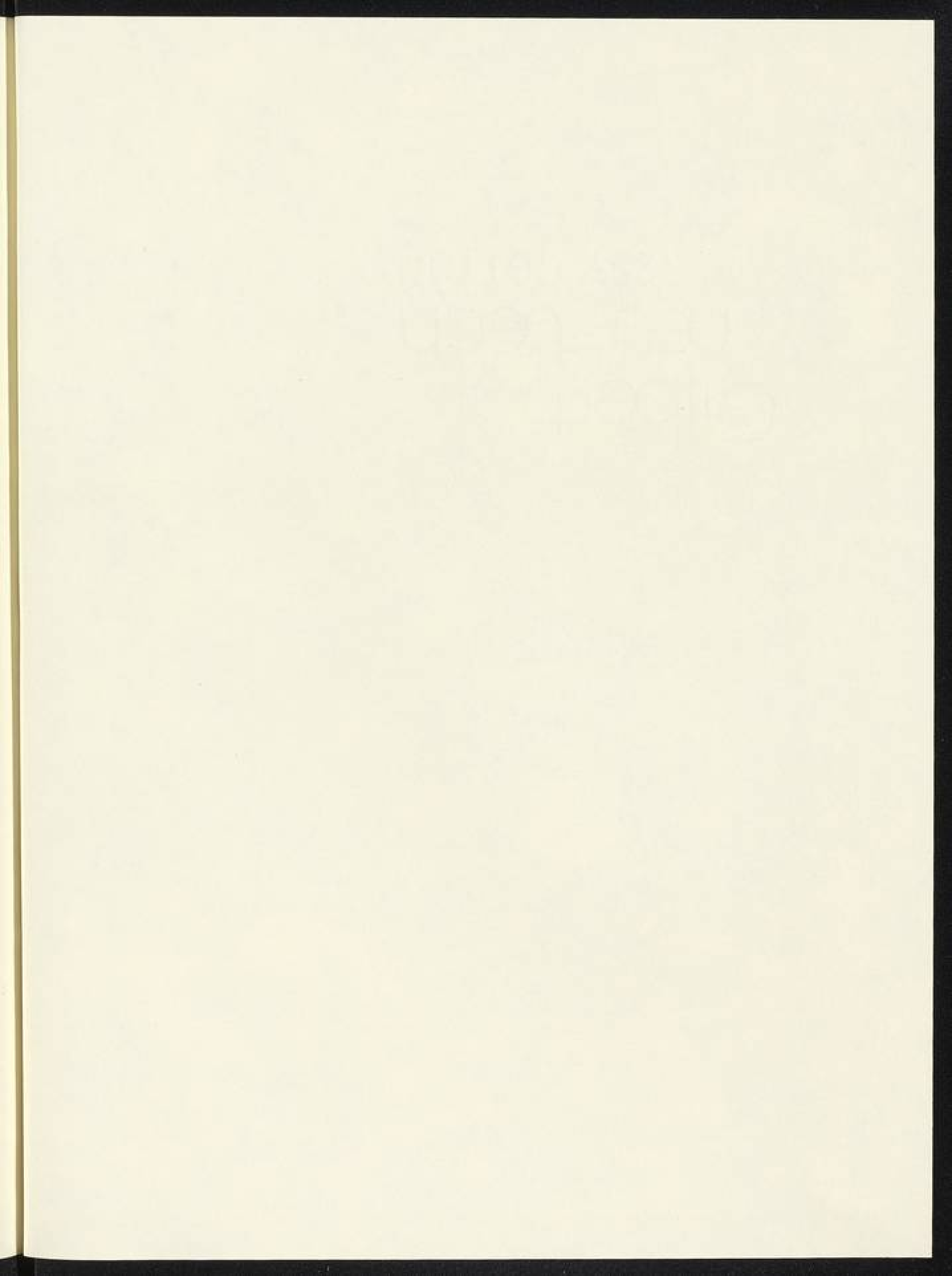
الحركات في لبنان

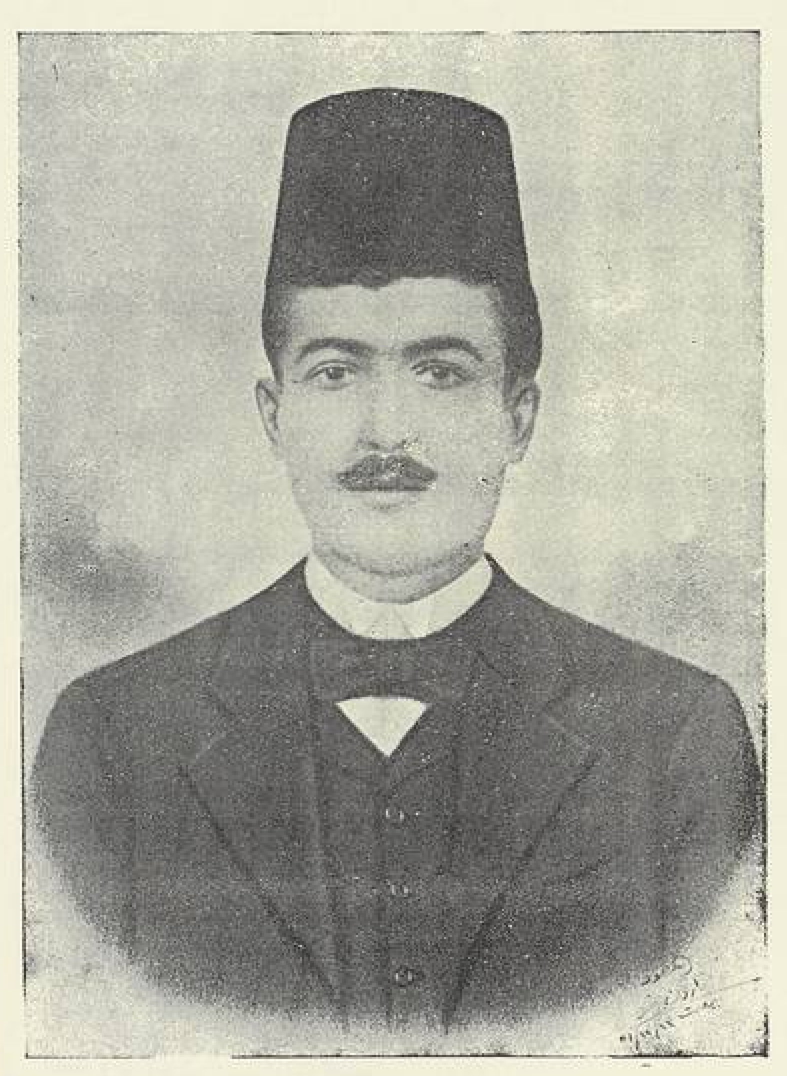
الى عهد المتصرفية

وهي شهادة درزية صريحة في مخطوطة تلم بحوادث لبنان واحواله يدلي بها
مع رواة الدروز شاهد عيان ويساهم بها واحد منهم لأول مرة في تاريخ لبنان

الراوي : حسين غضبان ابو شقرا
المؤلف : يوسف خطار ابو شقرا

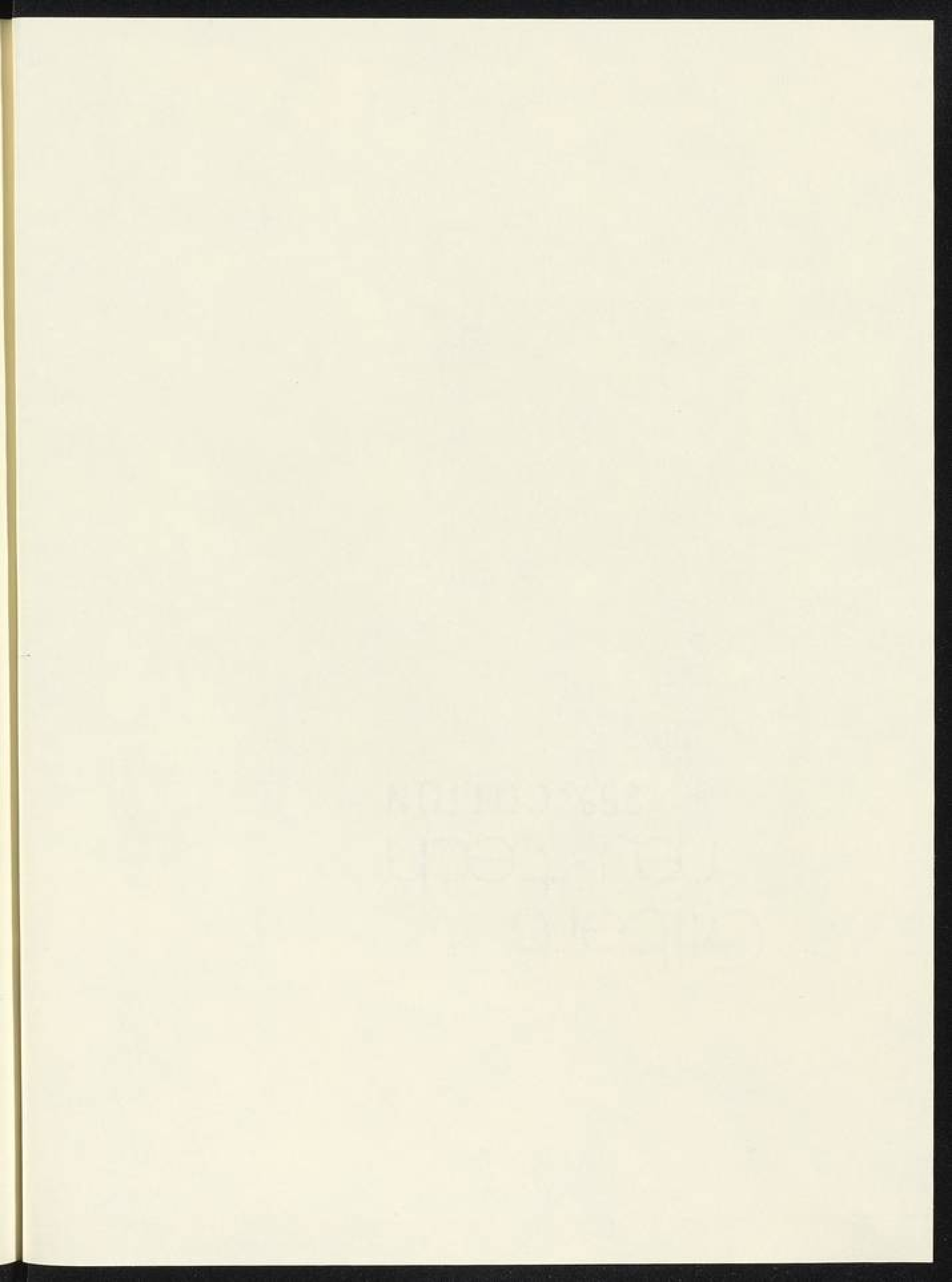
تحرى نصها وعلق حواشيها وملاحقها ووضع مقدمتها وفهارسها
عارف ابو شقرا





رسم المؤلف

يوسف خطار ابو شقرا



تقديم الكتاب

جاء في كتاب «الاصول» منذ ربع قرن من الزمن: ان شرائع العلم الحديث تقضي بنشر جميع ما لدينا من غير انتقاء ولا تبديل لان ما يتركه الناشر اليوم ويحسبه غير مهم قد يمكن ان يكون باهمية ما ينشر لغير الناشر . فكم وكم من الاستنتاجات التاريخية قد نقضت لجهل واضعها الاصول التي كان يمكنه الاعتماد عليها في تكميلها او تثبيتها او دحضها . ومؤرخو العصر الحاضر وان حسبناهم على مستوى واحد مع رصفائهم في العصور السالفة ، فهم يفوقونهم بما توافر لديهم من المصادر والمراجع الاولية التي لم يتسنّ لاولئك الاسلاف الوقوف عليها . وان كان الداعي الى الانتقاء في النشر العلمي – لا السياسي – هو العسر المالي ، فلينشر الناشر قسماً محدوداً من الاصول لانه افضل جداً وانفع كثيراً ان ينشر قسمٌ من المراجع نشراً صحيحاً تاماً من ان تنشر كلها ناقصة مبتورة .

وكذلك جاء في كتاب «المصطلح» منذ خمسة عشر عاماً: اذا ضاعت الاصول ضاع التاريخ معها . ولهذا يرى المؤرخون لزاما عليهم قبل كل شيء ان يتفرغوا للبحث والتفتيش عن شتى الآثار التي تخلفت عن السلف وان يعنوا بجمعها كلها لا بعضها . ان غاية المؤرخ ان يصل الى الحقيقة والحقيقة هي كل الحقيقة لا بعضها وهي وحدة تامة لا تتجزأ .

ومن هنا فائدة هذا الكتاب الذي يزفّ اليوم الينا . فهو يحفظ لنا وجهة نظر معينة قلما نجدها في غيره من التواريخ ، هي وجهة نظر رجل لبناني درزي من وجوه عماطور في الحركات الثلاث الكبرى التي هزّت لبنان من اقصاه الى اقصاه في منتصف القرن الماضي ، هو ابو عباس حسين غضبان ابو شقرا الذي شاهد جلّ ما يروي واشترك في بعض حوادث الحركة الكبرى سنة ١٨٦٠ ، وخدم اكبر بيوتات الشوف في ذلك العصر فقام بمهمة «الخولي» على ارزاق سعيد بك جنبلاط وعلي باشا جنبلاط مدة طويلة من الزمن واحتك بالامير ملحم ارسلان فترة وجيزة لم تتجاوز الست سنوات في ادارة املاكه . وكان قويّ البنية حاد الذهن جريئاً صادقاً ذا هيبة ووقار شديد الحفظ قلما ينسى شيئاً مما سمع .

وكان لابي عباس حسين هذا نسيب يلذّ له سماع الماضي فجالس عمه المسن واستمع اليه

ودوّن ما سمع واضاف اليه اشياء، هذا النسيب هو ابو عارف يوسف ابوشقرا والد الاستاذ عارف ناشر هذه المخطوطة . وكان قد درس على اساتذة مدرسة الحكمة في بيروت فأتقن اللغة وفاخر بها، فهذّب عبارة عمه ابي عباس حسين ودوّن بالفصحى، فأتحفنا بما نقرأ اليوم. ثم قام ابنه عارف فوقف على مخطوطة والده واعدها للطبع متبعا في ذلك احدث الطرق العلمية كما يتضح من قراءة كلمته فيما يلي . ورائده في هذا كله الاحاطة في التأريخ وحفظ جميع ما تخلف عن السلف كي يصبح بمقدور المؤرخ اللبناني ان يتعرف الى حقيقة الماضي بكاملها وهو لعمري هدف نبيل يشكر الاستاذ عارف من اجله كل الشكر .

ويجدر باللبناني المتجدد الذي يحب لبنان ويسعى لاسعاده ان يصغي الى اقوال جميع الشهود في قضية الحركات الثلاث بروح من التجرد والعدل لا بد من احيائها فينا اذا ما اردنا ان نعيش ويعيش ابناؤنا من بعدنا « وستعرفون الحق والحق يحرركم » .

الدكتور
عمر فروخ

الدكتور
اسد رستم

مقدمة الناشر

توطئة :

هذه كلمة اقدمها بين يدي كتاب يطلق اليوم سراحه ، بعد ان قضى نصف قرن حبيساً، وينشر بعد اللبث الطويل في مدارج الطي .

لم يفرغ المؤلف من تأليف هذا الكتاب حتى عاجلته الوفاة فكانت حائلاً دون اتمامه ودون تنقيح بعض عباراته ودون طبعه ونشره

ويلحظ في هذا الكتاب ان راويه اعتمد فيما روى على محفوظ تهيأ له واجتمع لديه مما كان يدور في مجالس علية القوم ، وعلى ما خبره هو مما اطلع عليه او شهده بنفسه . وانه لم يقبس مما كتب غيره في تاريخ لبنان اذ لم تكن الكتب في ذلك الوقت قد انتشرت وباتت في متناول الجميع ،وانه الكتاب الوحيد في هذا الموضوع يصدر عن راوٍ ومؤلف درزيين يعالج من تاريخ لبنان فترة اضطربت فيها الآراء وغشيت حقائقها غواش من غموض : تلك الفترة التي دعاها بعض المؤرخين عهد الفوضى .

لم يوضع هذا الكتـــاب تنفيذاً لمأرب شخصٍ او جماعة ، ولا مساندة لسياسة ما . بل كان الراوي يروي اخباره عفواً لا يطلب عليها أجراً ولا شكراً . والمؤلف يكتب وكل همه ان يجمع تلك الاخبار فيحفظها من الضياع ويخرجها للناس كتاباً ..

ان راويه كان مشهوراً باطلاعه الواسع على احوال زمانه كما كان معروفاً بصدقـــه ورجوليته وقوة حافظته وذاكرته ، وكان موضع ثقة الذين عرفوه وعاشروه .

وان المنشىء كان حسن النية فيما كتب وألف ،يلحظ ذلك في مواضع عدة من الكتاب ظهر فيها أثر الحوادث في نفسه ، فجرى بذلك قلمه شاهداً على ما اقول . من ذلك ما ورد في ص ٣٦ وسواها .

ولست ابغي من نشر هذا الكتاب الجم الحوادث أن اهيج في احد غضباً أو أن يكون الكتاب للقال والقيل سبباً . ولكنها وجهة نظر في التاريخ اللبناني لناحية من نواحي لبنان كانت في المكان الحساس من سياسته وحمل تبعات الحكم فيه . ويجدر بالمؤرخ المـــدقق الاطلاع عليها كي يلم الماماً كاملاً بجميع وجهات النظر قبل اصدار حكمه في ما هو خطير من حوادث الماضي القريب .

وبعد فهذا الكتاب حكاية العصبيات في لبنان في عهود اشتدادها واحتدامها ، وحكاية الغرضية في نزاعها وخصوماتها وكيدها ومنافساتها

وحكاية الاقطاع وما كان له في اصحابه من اثرة جامحة وانانية طاغية ، وفي عامة الناس من اثر في النفوس الملتوية والشخوص المستذلة . يوم كانت ارادة الحـــاكم قانونا ومشيئته شريعة وكلمته القول الفصل والحكم القاطع الذي لا ردّ له ولا اعتراض عليه .

وحكاية ما درجنا على تسميته بالطائفية يوم تغفلت اللبنانيين أيدٍ دخيلة امتدّت اليهم ، توهمهم انها تحمل الى ابناء لبنان مشاعل نور في حين تحمل مساعر نار ، توقد الفتن وتزرع الاحن ، تلك التي ما نزال الى الآن نكافح شرورها ونقاسي مرارة نتائجها . ونحمد الله تعالى على ان اراحنا من كثير من مساوئها

وما كنت عنّيت النفس في اخراج هذا الكتاب لولاما هناك من فائدة وراء هذا العناء . ان احوال الماضي دروس الحاضر . وان دروس الحاضر معترك الامم ومصطرع العقائد ، ومجال الافكار ، والمستبق الى تحسين الحال ، ومكان الانطلاق الى وجوه الخير ومراقي الفلاح

وكما ان الطبيب يسهل عليه وصف الدواء بعد ان يكتشف الداء ويعرف نوعه وتاريخ حلوله ومدى انتشار جراثيمه كذلك الناس يسهل عليهم علاج ما هم فيه من سوء الحال اذا عرفوا معرفة صحيحة نوع السوء وتاريخه وماهية جراثيمه ومدى تأصلها في النفوس ، وانتشارها في الاوساط وتأثر الطباع والاخلاق والنيات بها .

ولذا كان من الوفاء للعلم وللتاريخ وللحق ان ننقل هذا الكتاب من شكله المخطوط الى شكله المطبوع نقلا اميناً .

تأليف الكتاب

اعتمد هذا الكتاب على دعامتين ،احداهما راوي اخباره والثانية منشىء عبارته . ولم يكن لاحدهما أن يقوم به منفرداً ، اذ ليس للمنشىء محفوظ الراوي ولا للراوي القدرة على الانشاء . وكلاهما ينتمي الى اسرة ابي شقرا الدرزية التي تقطن بلدة عماطور التابعة اليوم لقائمقامية بيت الدين . وهي من القرى التي كان يتألف منها قبلاً الشوف الحيتي ، وهو الشطر الشرقي للمقاطعة التي كانت معروفة من قبل بناحية الشوفين ، احـــدى اجزاء المنطقة التي عرفت في العهد الشهابي باسم الشوف المعني ،وورد في بعض الوثائق (الشوف المعني الصيداوي)

عماطور : وقد ذكرت « عين ماطور » في منشور من الملك المعز ايبك التركماني اول سلاطين الترك ، باسم الامير سعد الدين خضر البحتري تاريخه في السابع والعشرين من ربيع الاول سنة اربع وخمسين وستمائة (١) (١٢٥٦ م»

وذكر عماطور أيضاً الكولونيل الفرنسي فردينان بيريه الذي استدعي خصيصاً للمعاونة في تدريب الجيش المصري وكان المرافق الرسمي لابراهيم باشا ، قال في كتابه « سورية تحت حكم محمد علي » في سياق الـكلام على الاعلام اللبنانية : « ان العلم الجنبلاطي كان يتألف من لونين : احمر واخضر وذلك برسم يد خضراء وسيف اخضر على حقل أحمر باطار أخضر . وان شعار الجنبلاطيين هو شقيقة عماطور الحمراء » . وكذلك جاء في الصفحة ١٩٨ من الكتاب نفسه ما يلي :

« اشهر مراكز الدروز هي عماطور ، بعقلين ، نيحا ، عينـــدارة ، حاصبيا ، راشيا ، بتلون ، دير القمر

عماطور وبعقلين تعتبران عاصمتين درزيتين في لبنان وكذلك حاصبيا وراشيا في لبنان الشرقي . وهذه الامكنة للدروز بمثابة اورشليم لليهود والسامرة لمملكة اسرائيل . وكل من هذه القرى تقوم كمركز الارتباط والاتصال .

وفي كل من هذه المراكز جامع كبير للدروز « خـــلوة » هي بمثابة مستودع لكتبهم المقدسة ولأسلحتهم الحربية .. »

وفي الصفحة ١٧٣ من كتابنا هذا نقلنا عن « مجمع المسرات » للدكتور شاكر الخوري ان جده

(١) كتاب تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ص ٨٨

اضطر في ايام حكم محمود باشا ابي هرموش ، ان يلجأ الى عماطور لان لها الحق بأن تحمي من يلجأ اليها مدة سنة . وهناك اخبار من هذا القبيل عن احوال عماطور في العهد الماضي ما تزال متناقلة الى اليوم، منها ان المارة بعماطور كانوا يمتنعون عن رفع اصواتهم بغناء او انشاد، وكان يفك وثاق المقيد والمكتوف في اثناء مروره بها ، وكان الفرسان يترجـلون ويقودون افراسهم حتى يجاوزوا البلدة ،وكانت عماطور منذ ايام الامير حيدر شهاب الحاكم من الضياع الخاصة تجبى اموالها الى الحاكم رأساً لا على يد صاحب الاقطاع .

ليس لدينا وثائق مكتوبة تعين الزمن الذي جاء فيه بنو ابي شقرا الى عماطور . ان اقدم وثيقة عثرنا عليها هي الوثيقة التركية المنشورة في الصفحة ١٥٩ من هـذا الكتاب وهي مؤرخة في عام ١١٠٢ هـ « ١٦٩٠ م » .

لقد انتهى الينا بالتواتر ان بني ابي شقرا من قبيلة هوزان ، اذاً هم بالاصل قيسيون ، وايام اشتعال العصبيات في لبنان ونشوب الفتن بين القيسيين في الشوف واليمانيين في الجنوب كان العماطوريون ومنهم بنو ابي شقرا يساهمون في النزاع ، وما وضع ايديهم على عدد من قرى اقليم التفاح الا احدى نتائج ذلك النزاع .

وبعد معركة عيندارة ، تضاءل اليمنية وتواروا وزالت العصبية لتحل محلها الغرضية التي نشأت في عماطور منذ ايام الامير حيدر وحمي بنو ابي شقرا احدشطريها كما سيجيء في ص ٢٥ و ٨٤ . اضف الى ذلك اسناد الرئاسة الروحية « مشيخة العقل » الى بعضهم في اثناء نشوء تلك الغرضية .

الراوي : ابو عباس حسين غضبان ابو شقرا

ولد في عماطور ولا نستطيع ان نعين تاريخ مولده ، ولكننا نعلم انه شهد معركة زحلة سنة ١٨٦٠ وكان في عداد الجرحى كما جاء ص ١٢٦ من هذا الكتاب . والمعروف عندنا انه في تلك السنة لم تكن سنة تعلو على خمس وعشرين ولا تقل عن عشرين . اما وفاته فثابتة لدينا فانها في اوائل تشرين الاول عام ١٩٠٣ ،وبذا نرجح ان مولده بين سنة ١٨٣٥ — ١٨٤٠

كان في حداثته لا يفتأ مشوقاً الى اثنتين يرقبها وقلما يتخلف عنها : يرقب وقت العصر ليشهد طراد الفرسان وسباقهم في «الساحة» ميدان القرية . ويرقب اقبال الليل ليصحب الشبان الى السامر الذي يعمرونه بقراءة سيرة عنترة . ولما بلغ الشباب كان قد حفظ اشعار عنترة وسيرته المعروفة، يرويها رواية معنيّ باستظهارها . وكان قد اقتنى مهراً واخذ يتمرس بحياة الفروسية ثم جعل يختلف الى دار المختارة ليشترك في الطراد بميدانها عـلى مرأى من سعيد بك جنبلاط وسواه من علية القوم وهكذا اتصل بسعيد بك فعينه وكيلاً (خولي) على قرية

صغبين من قرى البقاع الغربي . ولبث في عمله هذا حتى توفي سعيد بك ورفعت يد آل جنبلاط عن سهل البقاع بعد حوادث سنة ١٨٦٠

ثم استدعاه الامير ملحم ارسلان فعهد اليه بعمل مثل عمله السابق ، وبعد انقضاء ست سنوات شجر خلاف بينه وبين الامير ملحم ادى الى استقالته

ثم استدعاه علي باشا جنبلاط صاحب الدار في قرية بعذران فجعله وكيلاً أيضاً واعتمده في المهمات . وبعد زمن ابتنى علي باشا داراً في قرية البرامية بساحل صيدا وانتقل من بعذران اليها فانتقل ابو عباس معه .

وقد روي لي انه كان يتقاضى من علي باشا مرتباً سنوياً قدره ثلاثون ليرة عثمانية ذهباً يضاف اليها اربعة وعشرون مدّ حنطة ومائة مد شعير عليق الفرس واثنا عشر رطل تبغ وثلاثة قناطير فحم فضلاً عن واردات معتادة يقدمها المزارعون للخولي . وقد توفي ابو عباس وهو في عمله عند علي باشا بعد ان لبث فيه ستاً وثلاثين سنة .

كان اسمر اللون طويل النجاد وافي التقطيع مهيب الطلعة ، يلبس (الكبران) والسروال والطربوش المغربي ولما جاوز سن الكهولة ثاب الى الدين فاعتمّ واكمل شعر وجهه . وكان جريئاً فصيح العبارة حاضر البديهة اذا اخبر فكأنما يستفرغ من اوعية شتى . وفيما نعلم ان المطران بطرس البستاني كان يعجب به وينوه بقدرته وكان الامير شكيب ارسلان في عهده الاول كثير الاختلاف الى عماطور وكان يطيب له ان يلقاه فيها وما ضمه هناك مجلس او سامر الا سأل : اين ابو عباس ؟

عاش معظم ايامه في عهد المتصرفية لكن حياته كانت امتداداً لعنجهية الماضي .

المؤلف : يوسف خطار ابو شقرا

ولد بعماطور ولم نعثر على تاريخ مولده لكن يرجح انه بين سنة ١٨٧٥ – ١٨٧٦ م

تلقى دروسه الاولى في مدرسة القرية بعماطور ثم انتقل الى مدرسة سوق الغرب فلبث فيها اربع سنوات ، ثم هبط بيروت فدخل مدرسة الحكمة المارونية فدرس ثلاث سنوات كانت اخيرتهن سنة ١٨٩٢ ، كان الشيخ عبدالله البستاني استاذه حينذاك وفضلا عن تحصيله بالعربية فقد الم باللغتين : الانكليزية والفرنسية وشدا شيئا من التركية

غير انه لم يكتف بهذا التحصيل بل عاد فدرس الفقه سنتين على الاستاذ عباس حمية . ثم زاول المحاماة زمناً بمحكمة الشوف ، على عهد قائمقامية الامير مصطفى ارسلان ، وكانت المحكمة اذ ذاك ببعقلين صيفاً وبعين عنوب شتاء .

في ذلك العهد كان والد المؤلف ،خطار خليل في مركز القائمقامية برتبة (باشجاويش) في

الضبطية (الدرك). وقد اسندت اليه تلك الرتبة رأساً بــلا سابق تدرج في ذلك السلك اسندها اليه الامير مصطفى ارسلان وكان يعتمد عليه في سياسات الشوف ويثق برأيه وحسن تدبيره في المهمات، فلبث المؤلف زمناً بعيداً عن عنوب يزاول المحاماة، يؤنسه ويحبب اليه العمل فيها وجوده مع والده.

كان في احد فروع بني ابي شقرا اسرة كبيرها الشيخ ابو حسين علي احمد سليمان وله اربعة ابناء: حسين وسليمة وداود وكامل. فاصهر يوسف الى هذه الاسرة واقترن بالسيدة سليمة في اوائل سنة ١٨٩٧

لم تكن المحاماة تشغل كل وقته، فكان كثيراً ما يأتي عماطور ليشرف على املاك والده ويهتم باستثمارها. غير انه كان يصرف شطراً من اهتمامه للحياة التي اهّل نفسه لها: الحياة العلمية والادبية، فقد اطلعت في مجموعة جريدة الصفاء لسنة ١٩٠٠ على قصيدتين له وعلى دراسة نشرت في بضعة اعداد متسلسلة موضوعها «تاريخ دول اوربا واختلاف لغاتهم». وقد خلف من الشعر ما يؤلف ديواناً صغيراً. ومن شعره قصيدة في رثاء الشيخ سعيد تقي الدين وثانية في رثاء الشيخ مصطفى الدويك وقصائد في مدح علي بك نجيب جنبلاط وعلي باشا احمد جنبلاط وقصائد متبادلة بينه وبين محمد بك زين الدين فضلا عن قصائد في اغراض شعرية من غزل وحماسة منها قصيدة حماسية على اثر الحادثة بين دروز مجدل شمس والشراكسة، تلك الحادثة المعروفة في الاوساط الدرزية بشر المجـــدل نحا فيها نحو الملاحم وهي على روي النون المفتوحة جرى فيها مجرى عمرو بن كلثوم، في معلقته. اما مطلع القصيدة فهو:

الا فليعلمنّ الجاهلونا   بأن لمثلنا النصر المبينا.

وشاء يوسف ان يتعرف جبل حوران واحوال الدروز فيه فشخص اليه في اوائل ايار سنة ١٩٠١ ولبث هناك شهراً وبعض شهر متنقلا في انحائه لكن كان معظم لبثه بعرى في دار شبلي باشا الاطرش. وقد شاء الاطرش ان يستبقيه عنده وعرض عليه عملا براتب واف، كما عرض عليه داراً وارضاً اذا طاب له الاستيطان في الجبل. وكان الناس هناك يعجبون به وبحديثه ولعلهم الى ذلك الحين لم يروا شاباً درزياً مثقفاً ثقافة حديثة. وقد ذكر رحلته هذه في الصفحة ١٣٠ من الكتاب

رجع من حوران في أواخر الربيع، ثم ساهم في تحرير جريدة لبنان مع ابراهيم بك الاسود صاحبها وكانت آنئذ في مركز المتصرفية ببعبدا. ولبث في هذا العمل اشهراً. ثم تركه وجاء عماطور ولبث فيها اشهراً كتب هذا الكتاب في اثنائها. ثم عاد الى عمله في تحرير الجريدة ببعبدا وفي تلك الاثناء ألمّ به المرض الذي كان سبب وفاته فغادر بعبدا الى عماطور في اواسط تشرين الاول سنة ١٩٠٣ وتوفي فيها في ١٥ كانون الثاني سنة ١٩٠٤ عن ابن وابنة.

المخطوطة

تألفت المخطوطة اولا من دفترين يقعـــان في ستين صفحة بقياس ٢٠×١٥ سنم ، ورقهما من النوع الذي كان يدعى « اثر جديد » كتبت بقلم رصاص الا عشرين صفحة كتبت بحبر اسود وبريشة فرنسية . ويلحظ ان ما كتب في هذين الدفترين هو الامالي التي تلقاهـا المؤلف من فم الراوي رأساً قبل ان يلقحها بمعلوماته هو ويوردها بالشكل الذي اراده

ثم نقلت الى دفترين آخرين يقعان في ثلاثمائة وعشرين صفحة بقياس ٢٢ ١/٢ × ١٦ ١/٢ ورقهما صقيل مسطر ، فملأت مائة وخمسين صفحة من الدفتر الاول ومائة وستاً من الثاني ، كتبت كلها بالحبر الاسود . وبالمقابلة بين النسختين نستدل ان المؤلف – في النسخة الثانية – قد توسع في كتابة بعض الحوادث ، وانه اضاف اموراً لم تكتب في النسخة الاولى كما انه يلحظ ان فصولا في النسخة الاولى لم تنقل الى النسخة الثانية

ومن النظر في النسخة الثانية وهي التي اعتمدناها نلاحظ ان المؤلف التزم خطة واحدة لم يحد عنها اذ باعد بين السطور بالكتابة في الدفترين كليهما ، كتب سطراً وترك سطراً فارغاً ، ثم انه اعاد النظر فيما كتب فعن له ان يوسع ما راى فيه ضيقاً وان يستبدل كلمات بكلمات وعبارات بعبارات فظهرت اعمال التبديل والشطب في معظم صفحات الدفترين .

محتوياتها

تبدأ النسخة الثانية « المعتمدة » بانتهاء عهد الامير يوسف الشهابي وابتداء عهد الامير بشير وتنتهي بعهد داود باشا المتصرف الاول بلبنان وتتضمن الحوادث اللبنانية في تلك الحقبة وعلى الخصوص حوادث الشوف لا سيا الامور التي بها علاقة للدروز .

على ان المخطوطة قد عنيت عناية خاصة بعهد الفوضى بلبنان فتوسعت في سرد مختلف حوادثه واسبابها وتبعاتها والشخصيات والامر التي برزت على مسرح تلك الحوات باسمائهـا واعمالها وما آل اليه امرها . حتى كأن المخطوطة قد كتبت خصيصاً لتؤرخ خمسين عاماً بلبنان تنتهي بحوادث سنة ١٨٦٠ ، وذيولها وكأن ما جرى قبل ذلك انما كان تمهيداً تقدم الحوادث ومجاري افضت الى تلك الحركات وانتهت بها .

وفي آخر الدفتر الثاني من النسخة الثانية تسع عشرة صفحة كتبت معكوسة حتى كأن الدفتر قد بدىء بها من طرفه الآخر . وهي تختص بالنزاع بين المتاولة والدروز في القرن الثامن عشر .

طريقة نشرها

لقد اعتمدت النسخة الثانية وهي النسخة التي افرغ المؤلف فيها مجهوده فنشرتها بعد ان عنيت بضبط نصها ، فاذا استبهمت كلمة رجحت وجهها الصحيح وأشرت الى ذلك في الهامش ، أو سقطت كلمة اثبتها كما يقتضي السياق وجعلتها بين قوسين هكذا [ ]

وقد نقلت من النسخة الاولى فصولا لم ينقلها المؤلف الى النسخة الثانية فالحقتها بها وهي الفصول التي يتضمنها الملحق الأول من ص ١٦٢ — ١٧٣ من هذا الكتاب .

ثم اني الحقت عشر نبذ احتواها الملحق الثاني جعلتها خاتمة الكتاب ، وعلقت حواشي في اغراض عدة . ومن تلك النبذ والحواشي ما يتناول تصحيح تأريخ بعض الحوادث او رواية تختلف عن الرواية الواردة في الاصل ، ومنها وثائق تزيد في تأكيد الحوادث وتوضيحها ، ومنها ما وضعته في تاريخ الرئاسة الدينية عند الدروز واحوالها قديماً وحديثاً ، ومنها ماله علاقة ببعض الاسر والاشخاص المذكورة وما هو بسبيل ذلك .

وقد راعيت فيما علقته والحقته ان يكون على الاكثر من النوع الذي لا يجده القارىء في الكتب الكثيرة الانتشار ، والتي ابتذلت بكثرة الترديد والرواية ، وتوخيت في ذلك الانصاف لمن ذكرته ، وان كنت لا ادعي اني انصفت كل من يستحق الانصاف . فهناك اناس لم تصلني اخبارهم ، واناس لم اوفق الى الاتصال بهم ، ولعل فيمن لم اذكرهم من هو نابه الذكر كالذين ذكرتهم . على ان الاحاطة في مثل هذه الحال صعبة متعذرة ، فضلا عن ان هذا الكتاب لا يتسع لها جميعها .

اما اسلوب المؤلف في النثر فيكفي ان تكون المخطوطة نموذجاً له

واما شعره فهذه قطعة منه نظمها في محمد بك زين الدين مهنئاً اياه بشفائه من مرض الم به . بعث بها اليه في ٣ تشرين الاول سنة ١٩٠٠ .

لقد عوفيت روح المكارم والندى ... وزال العنا والهمّ عنك الى العدى
شفاء شفى منا قلوباً غدت على ... شفاء البلى مما اصابك والردى
وقد هجعت منا العيون قريرة ... وكنّ يسامرن الفراقد سهّدا
سلامتكم نعلي بها شأن صاحب ... ونخفض اعداء ونكبت حسّدا
هو الشوف مذ لاحت شموس جديده ... غدا يزدهي فيكم زهاء مجددا
ودار سمت بهو الخورنق رونقاً ... تناطح نسراً في العلاء وفرقدا
مشيدة الاركان حصّن عزّها ... وبالسيف والاقلام اضحى موطدا
وباحتها العليا الرحيبة لم تزل ... لاهل الحجى والفضل مغنى ومعهدا
ومن حولها ابهى الرياض نظارة ... بها تجتني الاثمار مثنى وموحدا

يحقّ بها الباشا الخطير ابوكمُ
اخو الحزم وابن الجدّ والفخر والندى

حصلتم على اسنى المراتب فهي لم
تزل بجليل السعي والجد صعّدا

فلا بيتَ في هذي البلاد سواكم
باربعة بيض الشفار تقلدا

فلا زلتمُ في وجنة الدهر شامة
وفي مقلة العصر الحميديّ اثمدا

وعش في الهنا والرغد والسعد سيداً
تظل المعالي والمنى لك أعبدا

وغب الدعا اهدي اليكم تحية
ارق من الماء النمير مبردا

وشوقاً الى الشهم الهمام اخيكمُ
يخالج قلباً مخلصاً متوجدا

واهلي يبثون السلام مع الدعا
بطول البقا ما الطير في الأيك غرّدا

فاجابه محمد بك بالرسالة التالية

عن بيروت ٢٩ تشرين الاول سنة ١٣١٦

سيدي الاخ الاديب الفاضل رعاه الله

وردت الي قصيدتك الغراء ورقعتك العذراء فتقلدجيدي من فضائلك بحليها حيث نظمت بعض محاسنك اليوسفية في صدر ثديها ولا بدع وانت من هبّتْ باللطف وطيب الاعراق جنائبه وشمائله كما شبت بالظرف ومكارم الاخلاق شمائله . وانت اقوى الناس علما بانك وعائلتك الكريمة من اعز الناس علي وانكم حالتون عندي محل عيني وبدي يشتد بكم ازر اهلي وازري كما يناج صدر كل منهم كصدري . ولست بمحتاج للتطويل في ذلك طالما ان الضمائر الصحاح ابلغ من الالسنة الفصاح وكنت اودّ ان اقدم لكم على القصيدة جوابا طويلا من وزنها وقافيتها اعارضني في حصر الفكر رأي الاطباء فتوقفت عن اطالة الشرح وحررت الابيات الآتية في ذيل عريضة الثناء هذه راجيا العفو عن التقصير وتقديم ما يجب عني وعن اخي سلمان الذي يهديكم واجبانه ولسائر افراد العائلة الغيورة الشريفة افندم الداعي

محمد زين الدين

اتتني من الخلّ الوفيّ قصيدة
بها ازدهي فخراً واعتز سؤددا

تردّد مدحاً طالما قلته به
ورنّ له عن قلب مغرمه صدى

وتعرب عما ناله من مسرّة
بصحة من حكم المحبة ايّدا

فلا بدع ان يحسن بعجزي ظنه
وآل ابي شقرا انا لهم فدى

هم سادة غرّ كرام اماجد
اقاموا صروح الفخر بالبأس والندى

ويوسف موضوع الثنا من خيارهم
ومن لهم تجثو بنو الفضل سجّدا

ولو ان حالي والاطباء رخصوا
بنظمي لجمت القوافيَ شرّدا

واكثرت في هذا المقام قصائدي
وصغت الدعا والشكر دراً وعسجدا

فدام ودامو بالمسرة والصفا
وطيب الهنا ما الطير في الايك غرّدا

تولية الامير بشير عمر الشهابي سنة ١٢٠٠

نقم اللبنانيون على ولاية الامير يوسف وعافوا مظالمه وعتوه وقد زاد من نقمتهم عليه ما اقدم على

ارتكابه من الفظائع كتسميمه الشيخ يوسف ابي شقرا (شيخ ذوي العقال الروحاني) وقتله الشيخ احمد دبوس

(مدبر الشيخ عبد السلام عماد) [illegible] وسمله عيون عدد عديد من اقربائه [illegible] ظلما وعدوانا [illegible]

[illegible] وقيام قائمة الظلم والاستبداد [illegible] فجعلوا يعملون

على خلعه وتقويض اركان سلطته [illegible] الشيخ بشير قاسم جنبلاط زعيم الجنبلاطيين والشيخ عبد السلام

عماد زعيم اليزبكيه اللذان توافقا على العمل والقرب على وتيرة سياسية واحدة فكانت [illegible] للانضمام اليهما

[illegible] فلاح باهر وفوز مبين. وقد كان في آل شهاب أمير باسل الخلق كريم الخلق ذو مدارك [illegible] وشجاعة

مشهورة يدعى الامير بشير عمر نظم في سلك حاشية الامير يوسف نظرًا لضيق ذات يده. فكان هذا الامير كثيرا ما

يزور الزعيمين المذكورين ويغشى مجلسيهما فظهر ميله اليهما وحبه لطائفتيهما فاتفقا عليه حاكما وتآمر

الثلاثة سرا على ذلك الامر المهم وبقوا يترصدون فرصة تسنح للمجاهرة بالمطلب والحصول على المآرب الى ان

عن حادث اقتضى ايفاد الامير بشير الى عكا مأمورا من قبل الامير يوسف فانتهز الامير بشير [illegible]

السانحة واعلم [illegible] حليفيه بسفرته العتيدة فاعدا له المعدات المقتضية وافاداه بالرغائب

الصفحة الاولى من المخطوطة

تولية الأمير بشير عمر الشهابي

سنة ١٢٠٢ *

نقم اللبنانيون على ولاية الامير يوسف وعافوا مظالمه وعتوه وقد زادهم من حكومته طيرة ما اقدم على ارتكابه من الفظائع كتسميمه الشيخ يوسف ابي شقرا (شيخ ذلك العصر الروحاني) وقتله الشيخ احمد دبوس (مدبر الشيخ عبد السلام عماد) اللذين كانا من افضل رجال ذلك العصر ورعاً ، واعلاهم في اعين الجمهور شأنا ، فضلا عن سمله عيون عدد عديد من اقربائه ظلماً وعدواناً ، وضربه على اللبنانيين الضرائب الفاحشة ، ومصادرته لهم بالمطالب المتتابعة ، الى غير ذلك من اندثار رسوم الحق والعدل ، وقيام قائمة الظلم والاستبداد . فجعلوا يعملون على خلعه وتقويض اركان سلطته . وتولى الرئاسة في ذلك المشروع الخطير ، الشيخ بشير قاسم جنبلاط زعيم الجنبلاطيين ، والشيخ عبد السلام عماد زعيم اليزبكية اللذان توافقا على العمل ، والضرب على وتيرة سياسة واحدة . فكان لانضمام اليد باليد ، واتحاد كلمة الشعب فلاح باهر وفوز مبين .

وقد كان في آل شهاب اميرٌ باسل كريم الخلق ، ذو مدارك مشكورة وشجاعة مشهورة . يدعى الامير بشير عمر . انتظم في سلك خيالة عمه الامير يوسف نظراً لضيق ذات يده . وكان هذا الامير كثيراً ما يزور الزعيمين المذكورين وينتاب مجلسيهما مظهراً ميله اليهما وحبه لطائفتيهما . فاتفقا عليه حاكماً ، وتآمر الثلاثة سراً على ذلك الامر المهم ، ولبثوا يترصدون فرصة تسنح للمجاهرة بالمطلب . والحصول على المآرب ، الى ان عنّ حادث اقتضى ايفاد الامير بشير الى عكة مأموراً من قبل الامير يوسف . فانتهز الامير بشير تلك السانحة واعلم حليفيه بسفرته العتيدة ، فأعدّا له المعدات المقتضية ، وأصحباه بالعرائض الضافية

---

* هو بشير بن قاسم بن عمر . بعض المؤرخين يجعل توليته في سنة ١٢٠٣ هـ ، وبعضهم سنة ١٢٠٤ هـ .

بالامضاآت والاختام. ولما تأهب للمسير ناوله الشيخ بشير جنبلاط مبلغاً من النقود طائلاً، يستغوي به الجزار، ويتحققُ منه الاماني متى تأدى اليه رشوةً. وزد على ذلك فقد عززهُ الشيخ بشيء من الاسلحة الجيّدة والافراس المطهمة الى غير ذلك مما حباه به من التحف الكريمة، والاشياء التي تقتضيها مثلُ تلك السفرة، في مثل ذلك الامر.

ثم سار على الطائر الميمون، حتى اذا بلغ عكة، وامتثل أمامَ الجزّار كتم المُهمة الموكولة اليه من الامير يوسف، رافعاً لديه عرائضَ الشكوى والتظلّم بلسان اللبنانيين من جور حاكمهم وغشمه والمحاضر المتضمنة الوفاً من الأمهار التي يسترحم اصحابُها توجيه الولاية لعهدة حاملها الأمير الموما اليه. واحسن الامير بشير تزلفهُ لدى الجزّار مستميلاً اليه عواطفهُ وولاءه بما فطر عليه من الذكاء وما قدّره له الخالق من السعد وتسنم ذروة المجد لاسيا عندما عرض لديه التقدمات والهدايا الفاخرة التي امدّهُ بها الشيخ بشير جنبلاط المشهور بالغنى والسخاء. فزاد الجزار في اكرام وفادته، واحبّه حباً شديداً، وما عتم ان خلع عليه خلعة الولاية على جبل لبنان اجابةً لملتمس الاهلين، وانفذه نحو دير القمر[1]، يحفّ به جيش عظيم من الارناؤط.

اما الشيخان بشير وعبد السلام فقد بالغا في كتمان المؤامرة التي عقداهـــا مع الامير بشير عمر، حتى خفي امرُها على الامير يوسف الذي كان يتظاهر بصفيّ الحب لهما، وهكذا هما فلم يشب ظواهرهما الحبية له شيءٌ قط.

وصل الامير بشير الى صيدا فتطايرت من قبله الاخبـــار والبشائر الى ثغور الشوف بقدومه حاملاً الفرمان العالي المؤذن بخلع عمه الامير يوسف عن كرسي الاحكام وتوليته مكانهُ. فما رنّ صدى ذلك النبأ بمسامع الامير يوسف حتى ارتعدت فرائصه وطار فؤاده شعاعاً. فاستدعى اليه خاصّته، مطيراً الى الشيخ بشير والشيخ عبـــد السلام ذلك الخبر المقيم المقعد. فهرعا اليه وتباحثوا في الامر. فجعلا يعملان معه على نيـة خلاف الظاهر، ويكبران عليه الامر زاعمين ان الشرّ قد طمى وان قـــد بلغ السيل الزبى. فاذا هم لم يتدبّروا حسن النجاة دهمتهم العساكر واحاطت بهم الجنود. فساءَت العاقبـة ووقعوا في شر المنقلب وتلك هي الطامة الكبرى حيث لا يرجى الخلاص ولات حين مناص. وخلاصة القول أنهما ما برحا يزيّنان له مثل هذه الآراء، وينصبانها له مكيدة لكي يخليا قصبةَ الحكم منه، ومن جنده واعوانه، ويغادر الكرسي على انتظار جلوس الامير بشير عليها. فانطلى عليه

---

(١) ورد في معاملات قديمة دار القمر بدلا من دير القمر.

عليه الامر ووقع في المكيدة . فأمر للحال بخيله ورجله وتحرّك بها من دير القمر الى حمانا .

اما الامير بشير فقد اخذت وفود الشوفيين تتقاطر عليه الى صيدا حتى تألف منهم موكبٌ عظيم ، كان لا يزال في جسامة وضخامة كلما انتقل هو من مرحلة الى اخرى . فلما دخل الدير غصت الدير بالخيالة والرجّالة ودوّت ارجاؤها بالحُداء والهتاف فتسلم مفاتيح السراي وجلس على منصة الحكم دون ممانع ولا معارض . وجعل يأمر وينهى والقوم طوعٌ لامره ونهيه .

ثم كُتبَ اليه من حمانا ليتبع الامير يوسف اليها فركب في جحفل عرمرم ، ميمماً حمانا ، فوجد الامير يوسف قد تركها معتصماً ببرمانا . فتبعه الى برمانا فهرب منها نحو الجهات الشمالية من لبنان حيث جعل يتنقل من ملاذٍ الى آخر انقياداً لآراء صاحبيه الشيخين بشير وعبد السلام اللذين كان جُلّ أربها تضعيف قواه وتجريده من مُشايعيه شيئاً فشيئاً بغية أن تستتب سلطة الامير بشير على الانحاء التي جعل يتقلصُ عنها ظلُّ سلفه المذكور بفراره امام مناوئه من ناحية الى اخرى على مرأى ومسمع من الجمهور . وفي نهاية الامر افضى الهرب بالامير يوسف الى جونيه فدخلها في نفر قليل وقد ضاقت به ارجاء الجبل على اتساعها وتحرّجت عليه المشاكل والمعضلات فاستسلم للقدرة ، واكترى زورقاً ينقله الى عكة ... قيل انه لما ركب الزورق مستودعاً الله صاحبيه المذكورين قالا له « اذهب فهذا ثأر يوسف ابي شقرا واحمد دبوس » ولما بلغ عكة اعتقله الجزار ثم أمر بقتله فقتل(١) . وكانت مدة ولايته نحو ثلاثين سنة . اما هما فانقلبا نحو الامير بشير يختلج قلباهما فرحاً ويتدفق وجهاهما بشراً فهنآه بالمنصب السامي وهو هنأهما بادراكهما الفوز وتحقيقهما الاماني بعد معاناتهما من الامور السياسية معضلات ومصاعب ذات بال .

فاستوسق الامر للامير بشير وانقادت له الامور بازمّتها وقد احسن السيرة بادىء ذي بدء في الرعية اذ كان مع الشيخ بشير على وئام تام ، معترفاً له بالفضل ، غير جاحد له نعمة الأخذ بناصره وبذله النفس في سبيل توليته حاكماً على الجبل . فاستمر على مثل هذه الكيفية سبعاً وعشرين سنة وهو لا يعقدُ محلولا ولا يحلّ معقوداً الا بعد وقوفه على رأي الشيخ واستطلاعه وجهة فكره ومنصرَف ارادته وذلك نظراً لما كان عليه الشيخ من السؤدد والمهابة ونفوذ الكلمة وعلو الشان . فانه كان من الوفر على جانب عظيم جداً مطاعاً من قومه طاعة بالغة منتهى الوصف وقد حلاّهُ الباري من العقل والذكاء والجود

---

(١) قتل الجزار الامير يوسف والشيخ غندور الخوري في عكا شنقاً (تاريخ ولاية سليمان باشا ص ٧) .

والسخاء والشجاعة والفصاحة بجلال « وصفات » اقرّ له بها الاقران ، وصيرته وحيداً في عصره وغرّة في جبين دهره حتى لقبه اللبنانيون بعمود السماء . وإنه لمن المشهود المتعارف أن الفئتين الدرزيتين اي الجنبلاطية واليزبكية قلما اتفقتا او كانتا يداً واحدة في الشؤون الاهلية آونة السلم الا على عهد هذا الشيخ العظيم . فانه تمكن من احصاف العلاقات مع الشيخ عبد السلام عماد(١) زعيم اليزبكية بما خص به من المدارك الفائقة ومكارم الاخلاق ، حتى اصبحت الطائفة الدرزية برمتها في قبضة الشيخ بشير تقوم اذا قام وتقعد اذا قعد . فاتسعت شهرته وعظمت هيبته وتضاعفت بذلك صولة الدروز وسطوتها في لبنان وسوريا وهذا الذي مكنه من الاستيلاء على افكار الامير بشير وانفاذ أوامره في جميع الامور في جميع انحاء الجبل . حتى ان الامير بشيراً لما كان يصله البريد من عكة ، كان يرسل بالاوراق مختومة الى المختارة فيتولى الشيخ امر فضها والاطلاع على الاوامر والتحريرات ثم يعيدها الى الدير . وبعد تحرير الاجوبة عنها كانت ترسل الى المختارة ايضاً ليقف الشيخ على الاجوبة فينفي من ذلك ما أراد نفيه ويثبت ما اراد اثباته . ولم يكن الامير ليعيّن مأموراً او يعزل موظفاً الا بأمر الشيخ ايضاً . فمن كان له رغبة في الاستخدام كان يعرض طلبه لدى الشيخ ، ويستصدر امره به ، فاذا راق الشيخ مطلبه ، يقول له الطالب : « اويحسن بخاطر مولاي الشيخ ان أمرّ بسعادة الامير ؟ » فيجيبه الشيخ « نعم . سؤال خاطر الامير امرٌ واجب » . وان لم يرُق الشيخ مطلبه ورفض التماسه فلا يسأل الطالب الامير قط .

ان حالة كهذه لم تكن لتقرّ عين حاكم كالامير بشير او لتروق نفساً كبيرة كنفسه . بل انه طالما كان يعمل على خضد تلك القوات الضاغطة على شوكته ويحاول التملص من الامراس التي كانت مشدودة على عضديه ، فلا يفلح . فاضمر لرؤساء العشائر من الدروز ضغائن وحقوداً وجعلت حزازات البغض والانتقام تتوقد في صدره توقداً يحاذر شبوبه واظهاره لضعف قوته بازاء قوى اولئك المناوئين ولذا كنت تراه مع تظاهره لهم بالصفاء والملاينة وعدم اتيانه بما يهيج سورتهم او يحرك عوامل غضبهم : كان لا ينفك يعمل على إيجاد سبيل لكبح جماحهم والانتقام منهم واستتباب السلطة التامة المطلقة له . وشدّ ما اضطرمت شحناؤه على الشيخ بشير الجنبلاطي لكونه اعظم عضو في هيئة تلك القوة ، واكبر حجر عثرة في سبيل اتمام مقاصده وتحقيق امانيه . وما برح هذا الامير على مثل

---

١) مات الشيخ عبد السلام عماد سنة ١٢٠٥ ﻫ (تاريخ ولاية سليمان باشا ص ٧) .

هذه الحال يتقلب على أحرّ من مواقد الجمر الى ان وفـــدت عليه رسالة من محمد علي باشا صاحب الديار المصرية الذي بعد ان فتح الفتوح ودوّخ الاقطار والاقاليم واخضع العشائر والقبائل ومهد الامور في القطر المصري وانحاء السودان والصعيد ، فانقادت اليه بازمّتها واشتهرت سطوته وملأت الارض شهرته ، أضحى وعينـاه شاخصتان الى القطر السوري للاستيلاء عليه . فتمهيداً لسبل مآربه وتحقيقاً لآمـــاله ومطالبه ، كتب الى الامير بشير صاحب لبنان يستدعيه اليه . لبى الاميرُ دعوته وفؤاده يخفق طرباً بدنوّ زمن طالما ترصده يحقق فيه امنية طالما توخاها وقاسى في سبيل ادراكها الاهوال وعاناها . واجتمع الاميران في حاضرة الديار المصرية(١) حيث عقدا محالفة وثيقة العرى واحصفا حبل المؤاخاة والولاء . وما افترقا حتى استفسر الامير المصري من الامير اللبناني عن كافة احوال لبنان . ووقف على بواطن شؤونه وظواهرها وتيقن ان مُعظم قوة الجبل بيد الدروز وانهم هم الحاجز الحصين دون فوزه ونفوذه فيما اذا قصد الجبل غازياً ثم تنفس الامير بشير الصُعداء شاكياً لزميله فرط ما يعانيه من الهمّ والغم من تلك الطائفة وعشائرها الصعبة المراس . فهوّن محمد على ذلك الامر عليه قائلاً له : ألق بينهم بذور الشقاق متظاهراً بمحبة هؤلاء مرة واولئك مرة ، مغرياً كلا من الفئتين بالاخرى ، فيستوي بذلك بعضهم لبعض عدوا ، وتكثر بينهم الخصومات والمنازعات التي تورثهم الضعف ، وتضطرهم الى الخضوع التام لك ، فيتسنى لك اذ ذاك الانتقام والايقاع بمن تضمر له منهم الشرّ متدرجاً في ذلك من المهم الى الاهم وضرب له مثل الحزمة من العيدان التي يعجز الرجل القوي الساعد عن قصفها معاً واما اذا عمد هو الى جامعتها فقطعها واخذ في هصر اغصانها غصناً غصناً تيسر له الامر بسهولة وظفر بناه دون عناء . فوقع هذا الكلام من قلب الامير بشير موقع الاصابة والاستحسان . فودع حليفه الجديد مشتداً أزره بمحالفته وهو مصمم كل التصميم على تنفيذ وصيته بالدروز وفلّ شباة سطوتهم وابلائهم بالداهية الدهماء تبريداً لغله وتنفيذاً لمآرب محمد علي . ومما يحكى ، عنـد انصراف الامـير بشير وتشييعه ان محمد علي ضم رأسه بيديه قائلاً له وهو سائر « يا امير بشير خلّ الكل يشتكون منك دائماً ولا تكن مشتكياً على احد » .

آب الامير بشير من مصر فابتدأ اولا بآل نكد وذلك لشدة كرهه لهـــذه الاسرة وامتعاضه من سلطتها ونفوذ كلمتها في الدير وما جاورها . فقد كان الديريون يجلون احد المشيخة النكدية خصوصاً بني كليب منهم اكثر مما يجلون الحاكم نفسه ويؤثرون طاعة ذلك

---

(١) يرجح ان الامير وصل الى مصر في اثناء الثلث الاول من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٢٢ وانه عاد في اثناء سنة ١٨٢٣ .

على طاعته ايضاً . مسلمين للنكديين مقاليد امورهم منصاعين لاوامرهم انصياعاً شديداً ولا غرو فان بني كليب المشار اليهم قد كانوا من اعظم الزعماء الدروز واوسعهم جاهاً وثروة واشدهم بأساً وقوة واكرمهم خلائق واخلاقاً . وقد رأى الامير بشير ان أمر النزاع اسهل وقوعاً وايسر حصولا بينهم وبين آل جنبلاط معما هم عليه من الميل الجنبلاطي وذلك لاستقلالهم بواردات الدير ومحصولات مصبنتها التي كانت وحيدة في البلاد ، وتقاضيهم في كل سنة مكوس السهلة والرسوم المضروبة على ارباب الصناعة كالحدادين والحائكين ومـا اشبه من الصناع الذين كانت رائجة اسواق صناعتهم في الدير زمنئذ ، دون تأدية شيء من ذلك كله لامير البلاد . ولما كان للشيخ بشير جنبلاط نصيبٌ من واردات الامارة اللبنانية ومن الاموال التي كانت تجبى من الانحاء التابعة لها كبعلبك وحاصبيا وبلاد بشارة ومـا اشبه كما جرت بذلك المواثيق لدى ذهاب الامير بشير الى عكة . كان تمنع النكديين عن أداء الجبايات المذكورة سبب نفور وصدود بين العشيرتين المذكورتين . فتسنى بذلك للامير بشير ارض خصيبة يبذر فيها بزور الخصومة والعدوان ، فما زال بهؤلاء وبأولئك حتى صير بعضهم اعداءً لبعض فقلبت كل عشيرة منها لصاحبتها ظهر المجن واضمرت لها الحفيظة والشر ، وعقيب ذلك توافق الامير والشيخ على انهما يدعوان المشايخ النكديين الى بيت الحكومـة ويسألانهم أداء الرسوم المار ذكرها . ففعلا . فأبى النكديون دفع شيء من ذلك ، وخرجوا مكبرين هذا الامر شامخين بآنافهم بما توجسوه من المؤامرة التي عقد البشيران عليها الخناصر وبقيت هذه القضية مطروحة في مجال البحث والأخذ والرد ردحاً من الزمن .

الفتك بآل نكد

اجتمع في دير القمر يوماً وفدٌ ضم اكابر العشائر الدرزية وكان اكبرهم سناً الشيخ بشير نكد واصغرهم سناً الشيخ بشير جنبلاط . فحينما تعازموا على دخول النـادي القى البشير الجنبلاطي يده على عضد الشيخ الكندي قائلاً له « ادخل يا عماه ! » فدخل . فامتعض الشيخ بشير جنبلاط من دخوله لان الحق في ذلك له (اذ التقدم للجنبلاطيين فالعماديين فالنكديين الخ .) واتصل ذلك بالامير بشير فجعل يكبر هذا الامر في عيني سميه ويعدّه امتهاناً عظيما ولم يزل في اغرائه وايغار صدره حتى صمم على الانتقام من آل نكد والايقاع بهم وجرت في ذلك مخابرات مع البعض من العشائر الاخرى فوافقوا على ذلك الامر الفظيع وضرب البشيران لذلك يوماً معيناً . فلما كان اليوم المضروب توافد المشايخ من عماديين وملكيين وتلاحقة وعيديين على مقعد الامير في دير القمر حيث وجدوا المشايخ النكديين بني كليب

الاحد عشر جالسين . أما من بقية آل نكد كبني اسعد او أبي ظاهر فلم يكن احد . ثم وصل الشيخ بشير جنبلاط في موكب يناهز الخمسمائة بين فارس وراجل، فدخل مُقفلا وراءه بوابة السراي . وما أقفلت البوابة حتى أصدر امره لجنوده بالقبض على الاحد عشر نكدياً وانتزاع اسلحتهم فصدعوا بامره فتقدم الشيخ بشير جنبلاط وضرب الشيخ بشير نكد بحسامه فقتله مكتفياً به . ثم هبّ المشايخ الحضور على العشرة الباقين فاردوهم بالخناجر . فتمت هذه المكيدة بهدوء ولم يطلق فيها عيارٌ ناري حذراً من حصول غوغاء وضجيج في القصبة . وانه لم يكن بعد هؤلاء المقتولين من عقب الا طفلان هما الشيخ نصيف بن بشير والشيخ حمود بن قاسم . وبعد ان تفرق الشيوخ المتآمرون ، واخلدت الدير الى السكينة . قام الامير بشير مصادراً نساء القتلى المذكورين برسوم الدير واموالها عن سبع سنوات فكان مبلغاً طائلا يرزح تحته اجسم بيت في الجبل فاضطررن لبيع المقتنيات والاملاك بما عزّ وهان من الثمن . فاشترى الجانب الاعظم من الامــلاك الشيخ حسن جنبلاط اخو الشيخ بشير وكان أيسر اللبنانيين يداً . اشترى في صفقتين او ثلاث الضياع الآتية : حصة كفرمتى . مزرعة بواردين . بساتين الـفرجل ، مزارع رنتون. وادي ابي يوسف .الفخيتة. قتلة عيسى . بقعون . البرجين . المرجيات . البرامية . حتى سددن الرصيد المطلوب منهن . ولفرط ما نالهن من الاضطهاد واثقلهن من شماتة الاعداء نزحن الى مدينـة دمشق محتملات معهن الولدين الباقيين ضناً بحياتهما ، وحقناً لدمهما بما لعله يطرأ من الامور والنوب التي ربما كانت سبباً لالحاقهما بآبائهما ولم يبرحن الشام حتى بلغ الغلامان أشدهما وملكا رشدهما .

الانتقام من آل عماد

انتهى الامير بشير من آل نكد وارتاح من امرهم مدوّخاً باردائهم نفس قصبة حكمه وما جاورها من مقاطعتي الشحار والمناصف . فحول انظاره نحو مقاطعة العرقوب مبتدئاً ببني عماد اصحاب تلك المقاطعة . فاخذ يتدبر في امر اخماد جذوتهم واستئصال شأفتهم . فدعا اليه المشايخ بني ابي علوان يوماً وهم اندادُ العماديين حسباً واضدادهم غرضاً . إلا انهم لا إقطاع لهم بل اسياد المقاطعة هم آل عماد . وجعل يزيّن لهم السيادة ويشوق الى انفسهم تولي منصة الاحكام . ولم يزل بهم حتى حملهم على مكاشفة العماديين بالعداوة بعد ان وعدهم ووثق لهم بانه يشد ازرهم ويأخذ بناصرهم في تلك المهمة . فقام بنو ابي علوان يصادرون العماديين باقطاعهم . وعلم اهالي العرقوب ميل الامير الى بني ابي علوان فسار الجانب الاعظم منهم تحت بيرقهم معترفين بسيادتهم. وطالعوا الاوامر الصادرة بوجوب نزع ايدي آل عماد

عن ذلك الاقطاع وعدم تعرضهم فيه لآل ابي علوان . هكذا أفرغت ايدي العماديين من أزمة الاحكام وسد العلوانيون مسدهم في ذلك مناطة ازمـــة الرئاسة فيهم بكبيرهم الشيخ يوسف ابي علوان . فكانت ضربة قاضية على سلطة آل عماد وامراً مقيماً لهم مقعداً . فجلوا عن العرقوب الى ناحية البقاع وطفقوا يعيثون ويشنون الغارات من هنا ومن هناك ليرموا الثغور بالقلق ويبلوا الامير ومشايعيه بالسجس .

وفي ذلك الحين أعلن الامير بشير للدروز ما قد كان يضمره لهم من البغض والشنآن ويغلي في صدره عليهم من مراجل الحقد والشحناء . وكاشفهم بالعداء بعد ان كان يتظاهر بالولاء وجاهرهم بالشر بعد ما كان يسديهم الخير (ولكن رغم انفسه) (وليس من ذات نفسه) .

تنصر الامير

ولم يكتف الامير بصده عن الدروز جانباً وميله بكليته الى النصارى حتى ترك دينـــه الاسلامي الذي ولد فيه وشب عليه واعتز به مارقاً منه الى الدين المسيحي (١). وما ذلك لجزمه بصحة هذا وفساد ذاك لانه لم يكن ذا معارف ونيرة يتبين بها مثل هذا الامر . بل كان مجرد تنصره نكاية بالدروز واعلاناً بالبغض لهم والابتعاد عنهم والحب لغيرهم والقرب من ذلك الغير . ولم يكن في سياسته تلك من بأس فيما لو راعينا مشاربه ومقاصده . فقد ازدادت بذلك امة عيسى به ثقة واليه اركاناً وله طاعة وانقياداً . ثم انه بعـد ارتداده جمع كبار الشهابيين الى ندبه وأبان لهم جلية قصده من التنصر مقترحاً عليهم ان يقتدوا به ويحذوا حذوه . وقد اوضح لهم عن الفوائد التي تنجم لهم بتركهم الاسلام وعما يترتب لهم بتنصرهم من النجاح والفلاح وتعزز الدولة وبسطة الجـــاه والسؤدد . ولم يزل في اغوائهم وتغريرهم حتى حملهم على الردة واصبحوا للديانة المسيحية معتنقين .

ولم يلبث هذا الداء ان سرت عدواه الى الامراء اللمعيين سادة المتن الذين كانوا دروزاً فحذوا حذو آل شهاب بالمروق الى الديانة المسيحية ايضاً .

شكوى ابني الامير يوسف

كان ابنا الامير يوسف الشهابي عند ذلك قد شبّا وبلغا مبالغ الرجال تحت نظارة وتربية جرجس باز مدبر والدهما فلما سنحت لهما تلك الفرصة ووقفا على ما اتاه عمهما من الافعال والاعمال المنكرة المثيرة لكدر الدولة العلية . اخذا ينظمان عرائض وبنوداً للشكوى على الامير موقعين

(١) يرى بعض المؤرخين ان الامراء الشهابين ومنهم الامير بشير كانوا الى ذلك الحين على مذهب الدروز

عليها ممن ينتمي اليها من اعيان البلاد وعامتها ورفعوها الى الباب العالي رامين الامير بشير فيها بالخيانة للدولة والوطن مسهبين عما جرى بينه وبين صاحب مصر من التحالف والتواثق على امور انما تؤول الى صالح الحكومة المصرية ، مجحفة اجحافاً عظيماً بحقوق الدولة العثمانية ، غير ساهين عن رميه بالزندقة والارتداد وتنكبه عن سواء السبيل وعدم انتهاجه محجة العدل في الاحكام واتيانه من المظالم والفظائع اشياء كثيرة في جبل لبنان وغيره الى غير ذلك من الامور التي اوغرت صدر جلالة المتبوع الاعظم . فصدر الامر السامي للشيخ بشير جنبلاط بوجوب القائه القبض على الامير بشير كيف استطاع الى ذلك سبيلاً ، وتسليمه لمأموري الدولة العلية .

اما الشيخ وكان براً بالعهود وفياً بالوعود كريم الاخلاق سليم الطوية فلم يُقدم على نبذ عهد ولائه للامير الذي قضى كل تلك المدة صفياً للشيخ مصيخاً لاوامره منفـــذاً لرغائبه ومقاصده متظاهراً له باجمل مظاهر الحفاوة والمودة والاجلال . بل أبت مُروءته إلا ان يُطلعَ صديقه الامير على جلية الخبر منذراً اياه سوء العاقبة وشر المنقلب اذا هو لم يتدبر وسيلة يتنصل بها مما رُمي به وعُزي اليه . فضاق الامير ذرعاً بما يقيه غائلة هـذا الطارىء المهول . فسأل الشيخ ان يأذن له بالاختباء والتنكر في بعض الديور بكسروان الى ما بعد ان ترجع رسله من مصر . فلم يأذن له الشيخ بذلك . فقرّ رأي الامير على السفر الى مصر بنفسه . فامتطى احدى السفن السيارة فالقاه البحر في الثغور المصرية ثانية . فشكا لحليفه العظيم امره قاصّاً عليه واقعة حاله . فمد محمد علي الى قضيته يدَ الوساطة مع الباب العالي . واقنع الوزراء ببراءة الامير مما نسب اليه من التهم وعُزي اليه من الوشايات الباطلة . ولم يزل حتى استحصل له نعمة الرضى السلطاني عنه . ولما أضحى الامير بشير في مأمن من كل غائلة استأذن حليفه بالانصراف . فاصحبه بكتاب الى عبد الله باشا والي عكا زمنئذ ، يوصيه فيه بالامير بشير ووجوب مضافرته والأخذ بناصره فيما يباشره من المهمات في جبل لبنان .

عبد الله باشا

اما عبدالله باشا هذا فقد كان ضعيف القلب ضعيف الرأي خؤوناً غير وفيّ لولي نعمته . ولذا كنت تراه ينصاع لاوامر محمد علي وتجري سفنُ سياسته على ما تشتهي رياح الحكومة المصرية لا الحكومة العثمانية . فعزّز الامير بشيراً بالجنود والقوات وكتب الى الجهـــات موصياً جميع الرعايا بالطاعة للامير والخلود الى الرضى باحكامه .

الامير بشير في بيت الدين

لما حصل الامير في بيت الدين واستقر متعززاً على كرسي الولاية كان اول ما باشره من الاعمال سَمل اعيُن ابني الامير يوسف واعين ثلاثة عشر شهابياً آخرين بمن كانت لهم يد في الاعمال السياسية التي الجأت الامير الى محمد علي وشفاعته به ثم قتل جرجس باز في دير القمر واخيه عبد الاحد في جبيل اذ كانا مدبري الاميرين المطالبين بالولاية ، ومعتمديهما في الامور والشؤون المهمة ، ومن افضل رجال حزبهما في البلاد . وهما اللذان قاما بذلك المشروع الخطير ، فشيعا لهما حزباً عظيما وجعلا يصادران الامير بشيراً بلسانيهما بما ابتزه من والدهما من الولاية التي هي حق لهما . حتى انهما حصلا لهما ولاية بلاد جبيل فحكماها ردحاً من الزمن حتى كان من فعل الامير بشير وسمله اعين ذينك الحاكمين ، وقتله مدبريهما المذكورين ما كان ، حيث استقرّت جميع الجهة الشمالية من الجبال اللبنانية مخلدة الى الخضوع التام للامير بشير اما اللذان قاما باعدام جرجس باز واخيه عبد الاحد فالشيخان الدرزيان احمد جنبلاط ونصيف نكد(١) .

مجنونه شانيه

قيل انهما انما اعدام جرجس باز سراً دون ان يطلع عليهما احد ثم سارا معاً الى جبيل متظاهرين بمأمورية أرسلا لاجلها من قبل الامير فلما بلغا جونيه التقيا بمجنون شانيه فابتدرهما بالكلام قائلاً « ويلكما قتلتما جرجس باز في الدير وانتما آتيان لقتل اخيه عبد الاحد في جبيل ايضاً .» فخاف الشيخان المذكوران ان يكون امرهما قد فشا واتصل بعبد الاحد باز فيتوقاهما ويعمل على قتلهما فرجعا وتساءلا فوجداها رمية من غير رام . فتقدما الى جبيل وانما تلك المهمة التي ندبا اليها .

---

١) تركنا الشيخ نصيفاً والشيخ حموداً النكديين في الشام مع والدتيهما . فلما بلغ هذان الشيخان مبالغ الرجال شبا ليثين هماميين يزينهما الذكاء وكرم الاخلاق فرأيا ان خير ما يجديهما نفعاً استرضاء حاكم البلاد والتقرب منه . فراسلاه في الامر فوعدهما خيراً راضياً عنهما ومؤذناً لهما بالاقامة في دور آبائهما ووضع ايديهما على املاك اسلافهما ثم احبهما وقربهما اليه وأعلى مقامهما لديه وسلمهما مقاطعتي المناصف والشحار واتخذهما عدة قوية على عدوهما الشيخ بشير . اذ كانت كل فظائعه المار ذكرها تمهيداً لانتقامه من الشيخ المذكور واقامة اعداء الداء له من نفس قومه ومن خيرة اصحاب ذلك الصديق الذي لم ينفذ فيه امر الدولة العلية ضناً بصداقته له . (هذا التعليق للمؤلف)

العداوة بين البشيرين

لما فرغ الامير من تهديم اركان السلطة النكدية والعمادية في البلاد على يد صديقه الشيخ بشير جنبلاط مسوياً هاتين الاسرتين واتباعها اعداء للجنبلاطيين. علق اخيراً ينحت من اثلة الشيخ بشير نفسه ساعياً في تقليص ظل سلطته وتقويض مباني سؤدده وقد غدا لابساً له جلد النمر مكاشفاً اياه بالعداء والشحناء سالكاً سبيل الطغي والبغي على اصدقائه واعوانه متحيفاً الحزب المنتمي اليه في البلاد ومما نذكره من ذلك ، مقتل الشيخ شرف الدين القاضي احد خاصة الشيخ ظلماً وعدوانـــاً . اصدر الامر بقتله الى احد المشايخ النكديين فاجرى ذلك النكدي ايجاب الامر على بيدر الرمل حيث فتك بالشيخ المذكور ففقدت البلاد قاضياً عدلاً عالماً صالحاً ورعاً . ومما زاد في طينة الخلاف بلة هو تزوير الامير بشير صك وصية لنفسه عن لسان الامير اسمعيل ارسلان الذي مات إبانئذ بدون (عقب) عن تركـــة جسيمة وثروة عظيمة. ووضعه يداً غاصبة على تلك الاملاك الطويلة العريضة الممتدة من جل الدامور الى سهل انطلياس غير قابل للشيخ شفاعة بورثة المتوفى المذكور او توسطاً لاعصابه بمصالحتهم على قسم من التركة المذكورة فكان ذلك امراً اوغر صدر الشيخ وهاج ساكن غيظه وغضبه بل كان هو السبب الاعظم لقلب كل منهما لصاحبه ظهر المجن ونشوب حرب بينهما . ومازال طغيان الامير يتفاقم ومظالمه تتواتر واستبداده يتعاظم حتى سكنت مهابته القلوب واستكانت العباد رهبة من فتكه وخيفة من شدة بطشه فبلغ الاشر والاستبداد أن امر اخيراً بخلـــع الشيخ بشير جنبلاط عن كرسي حكومته . فانخلع . وجلائه عن البلاد فجلا الى البــلاد الحورانية . وناط الامير مهام الاحكام بالشيخ علي ابن الشيخ حسن جنبلاط . فمكث الشيخ بشير في حوران عشرين شهراً . اما زوجته التي بقيت في لبنان ، فانها ما فتئت تسعى كل تلك المدة في امر رجوع زوجها للوطن . ولما كانت مستولية على افكار الشيخ علي ابن سلفها فقد كانت تحمله على رجاء الامير بارجاع عمه وحل ذلك المشكل بينهما ، وقد عانيا في ذلك الامر كثيراً من المشقات، ولكن على غير طائل.. . فلما يئس الشيخ بشير من امر صفاء الامير له ، ركب جواده ميمماً الوطن العزيز . فحل ضيفاً كريماً على اصدقائه الافاضل المشايخ آل الخازن اصحاب البلاد الكسروانية. فاحلوه على الرحب والسعة ووعدوه خيراً في المهمة التي جاءهم من اجلها. ثم اخذوا يوفدون الرسل ويطيرون الاعلام الى اعوان الشيخ ورؤساء حزبه في الانحاء فلم تمض برهة يسيرة حتى اخذت الخيالة تفد عليه زرافات ووحداناً من جميع الجهات ومن مختلف الطوائف والعيال . فبلغ عديدهم سبعة آلاف رجل شاكي السلاح

وضاقت فجاج كسروان عن وسعهم فعند ذلك ركب الشيخ بشير في ذلك الموكب الفخم والعسكر العظيم ووجهته جبل الشوف . فلما بلغ بيت الدين انفذ الى الامير أحد حشمه يسأله مقابلته . فراعت الأميرَ مواجهةُ الشيخ حينئذٍ ومن معه من الجحافل المتألبة والقوات التي تخر لها معاقل بيت الدين اندكاكاً . وقد طار لذلك فؤاده شعاعاً . فأمر حالاً بالبوابات (فسكرت) في وجه رجال الشيخ وبالحصون والمستحكمات فشغلتها القوة الموجودة لدى الامير حينئذٍ على وهنها وعدم استطاعتها الثبات في وجه الشيخ لو اراد لها أخذاً او قصد عليها هجوماً وكراً . ولما لم يجب الشيخ الى سؤله خامره الاستياء والكدر فاستمر سائراً الى المختارة حيث القيت اليه المقاليد وعاودت الاحكام منه عدالة وكرامة .

وساء بعض اهل البلاد ما رسخ بين البشيرين من قواعد العداوة والبغضاء . وما حصل بسبب ذلك من القلق والاضطراب ، وايجاس خيفة الهلاك والخراب . فسعى جلة من الوجوه والاعيان في امر مصالحتهما واستئصال جراثيم الخلاف والنزاع بينهما . اخصُّ منهم بالذكر المطران عبدالله البستاني فلم يقبل الامير بانعقاد الصلح الا على شرط ان يدفع له الشيخ مبلغاً من النقود قدره الف كيس . وذلك مثل نفقات سفره الى القطر المصري وعطله وضرره في ملاحقة الدعوى التي اقيمت عليه من ابنيْ الامير يوسف وانصارهما . فساء الشيخ طمع نفس الامير وجشعه الى المال ، غير مراعٍ بذلك قاعدة الشهامة والوفاء. فدعا خيرة عشائر البلاد وخاصة رجاله واتباعه واوضح لهم جهرةً ما دار بينه وبين الأمير من المناقشة على يد الساعين بالصلح ، فسُرّوا بإباء نفس الشيخ وساءهم جشع الأمير الذي طال عرفهم له وزيغه عن خطة العدل وما تقتضيه كرامة الخلق والاقامة على العهد . وقالوا للشيخ : «حسناً فعلت ايها السيد العظيم . فانك لو رضيت بما شرطه واجبته على ما طلبه لتطلب منك الضريبة تلو الضريبة الى غير ذلك بما لا تحمد عقباه ولا نفوسنا تطيقه وترضاه . وهنا نحن رجالك الطائعون لأمرك وجندك المستجيش ابان الرخاء والشدة فاضرب بنا ما شئت من الجلمد ، نفلقه بعون الله تفليقاً . وخلاصة القول انه لما لم تنعقد المصالحة بين الخصمين المذكورين اخذ كل منهما في استنفار العساكر وتأليب الجنود واعداد معدات الحرب . غير أن الامير لما كان متيقناً من ضعف قوته بجانب قوات نده ، ارسل الى عكة يخبر عبدالله باشا بنشوب هذه الحرب الاهلية ويستنجده قوة تكفل له الفوز والظفر فانجده والي عكة بخمسمائة جندي من فرسان الأرنأوط والانكشارية والقبقول ، يترأسهم القائدان ابو زيد آغا الانكشاري وبربر آغا الارنأوطي . ولبث الامير يراوغ الشيخ ويستمد اوقات الهدنة متظاهراً بميله الى تسوية أمر الصلح وحقن دم العباد حتى تأكد له وصول النجدات من عكة

الى صيدا . فعند ذلك امر عساكره المرابطة على التخوم في السمقانية باجتياز الحد واشهار نار الحرب على عساكر الشيخ المرابطة حيالها في المحلة المذكورة . فنشب القتال وحمي وطيس الهيجاء ودوت طلقات البنادق فردّدت صداها الاودية ، كأني بها تنذر اهالي الشوف بالويل اللاحق والثبور المتدارك . فتراكضت الجموع من هنا ومن هناك واخذ الفريقان في هجوم ودفاع وانطباق وانفصال ساعات من النهار هريقت فيهـا الدماء ودُقّت الصدور وتدحرجت القُلل فثبت رجال الشيخ وصدقوا الطعن والضرب ظاهرين على اعدائهم ظهوراً مبيناً . ودارت الدائرة على عسكر الامير لِما كثر فيه من القتل وفقد نخبة فرسانه فركنوا الى القهقرى مع محافظتهم على الدفاع وعدم اطفاء نيران القتال . وتقدم رجال الشيخ وما زالوا في تتبعهم الى باحة مقاصف بيت الدين حيث دهمت جيوش الظلام فكانت حاجزاً بين جيوش المتقاتلين . اما رجال الامير فقد تألفوا من آل نكد ومن ينتمي اليهم من اهالي الدير وسكان مقاطعتي المناصف والشحار . ومن آل حماده ومن يتبعهم من أهالي بعقليـن ومن بني عبد الصمد ومن ينتمي اليهم في البلاد . ومن آل تلحوق واتبـاعهم . ويتخلل العسكرين جماعة من النصارى الاّ انهم كانوا في جماعة الامير بشير اكثر منهم في جماعة الشيخ . (١) وأما في اليوم الثاني فما اصطفت الصفوف وتقابلت الاقران في سهل بقعاتا حتى اقبلت طلائع النجدة العكية من ثغرة مزرعة الشوف مقلقة اهالي الشوفين بقرع طبولها وضرب ابواقها وصنوجها . فلا تسل ساعتئذٍ عما خامر القلوب من الخوف وساور الفرائص من الارتعاد . كيف لا وقد تبدّت عساكر ابن عثمان وما ادراك ما عساكر ابن عثمان في ذلك الزمان . وتيقن الاهلون عند ذلك ان الدولة العلية ناقمة من الشيخ بشير الجنبلاطي . وراضية عن خصمه الامير بشير الشهابي راغبة في تشييد بنيان دولته فاشتد بذلك أزر اتباع الامير وتقوّت عزائمهم كما خارت عزائم رجال الشيخ واستولى عليهم الرعب والفشل لا سيّما وقد اصيب قـائداهم المشهوران بجراح خطرة وهما الشيخـان عليّ جنبلاط وعليّ عماد وكانا محط آمال الفئة الجنبلاطية ببلوغ الظفر والحصول على قصب الانتصار فخابت الآمال وانهزمت عساكر الشيخ شرّ

---

(١) روى لي السيد شاهين ابو علي معضاد : انه عندما بدأت المعركة امتد طرح الصوت الى المتن ، فنفر الشيخ سلمان نجم المغربي من كفر سلوان ومعه اربعة عشر رجلا من ذويه ، ونفر بنو هلال من قرنايل ، وبنو معضاد من بزبدين ، وبنو ابي الحسن من بتخنيه مسرعين نحو المعركة لنجدة الشيخ بشير ولكنهم لما وصلوا كان رجال الامير قد ظهروا على رجال الشيخ وجدوا في مطاردتهم والحاق بهم في منحدر سهل السمقانية نحو جديدة الشوف ، يرسلون وراءهم الصياح العالي والحجارة الضخمة تتدحرج وتنقض عليهم في ذلك المنحدر

وكان الامير بشير قبل المعركة قد طلب الى الشيخ سلمان نجم ان يترك الشيخ بشيراً . وحاول ان يغريه بشتى الوسائل والوعود فلم يفلح وظل الشيخ سلمان على ولائه للشيخ بشير . فكان ذلك سبباً كافياً لأن يقتص الامير من الشيخ سلمان وان ينكبه بمصادرة املاكه وتخريب مبانيه وما شاكل.

هزيمة . فرحل الشيخ بشير والشيخ علي عماد الى حوران (١) وبعد ان مكثا برهة غير وجيزة في تلك الاصقاع راسلا قائداً من قوّاد عبدالله باشا اسمهُ كنجو آغا ليسعى لدى الوالي المشار اليه في مسألة العفو عنهما ضامنين له جُعلاً اذا هو أتمّ الامر على ما يرومان . فسعى هـذا الآغا لدى الوالي في أمرهما ثمّ وافاهما يوماً الى مقرّهما مبشراً اياهمـا بصدور العفو عنهما والترخيص لهما بالاياب الى الوطن اذا هما سلّما على يده . فوعداه خيراً . فلمّا حصلا في قبضة عبدالله باشا امر بشنقهما (٢) على بوابة عكّـة تنفيذاً لامر محمد علي باشا في ذلك . مع ان بريد الآستانة العلية الذي وصل يومئذٍ تضمّن امراً سامياً بعدم اعدامهما او مسّهما بضرر وقد كان ذلك في سنة ١٢٤٠ للهجرة

فخلا الجوّ بعد ذلك للأمير بشير ، واتسع المجال لظلمه وبطشه واعتدائه . فأجلى كافة الاسرة الجنبلاطية من الشوف ، وأتبعها بكل من كان ينتمي الى الشيخ بشير من ارباب المناصب لا سيّما وجوه العيال الخاصة به . وأخذ في تحيّف من بقي منهم واستنزاف اموالهم وضربه عليهم الضرائب الفاحشة والمغارم العديـدة (٣) فمن عسرت يده عن اداء ما ضرب

---

(١) سلك الشيخ بشير في فراره من الشوف طريق حاصبيا فجدل شمس فجبل حوران . وكانت فرقة من عسكر الامير تقتص اثر الشيخ وتهم باللحاق به والقبض عليه . وقد قام من رجال الشيخ جماعة على كل رابية في الطريق (صبارة) تعلن قدوم عسكر الامير واقترابه منها باطلاق الرصاص فينتبه الشيخ لذلك .

وقد روى لي السيد سعيد ابو النصر ابو حسن (بمذوان) عن الشيخ ذيب ابو زيد من قرية مليخ بجبل الريحان ان الشيخ بشيراً عندما جاوز كفرحونة تعالم سكان جبل الريحان قدومه وكان معظمهم من مزارعيه واجتمعوا لملاقاته في بقعة الكمونة وكان ذيب ابو زيد في جملة الوافدين . فجلس الشيخ بشير هناك على طراحة حمراء رافعاً يده قليلا والناس بازائه قيام صفوفاً يتقدمون اليه واحداً واحداً يقبلون يده وهو لا يلتفت الى احد منهم ولا يكلم احداً . وبعد هنيهة وقف وجعل يتمشى وكان قصير القامة ضئيل الجسم دقيق الرقبة يعتم بعمامة كبيرة ثم اشار الى رفاقه ورجاله بالمسير فركب وركبوا وتابعوا من هناك مسيرهم .

وقد عمر ذيب ابو زيد طويلا حتى مات وله عشرون ومئة سنة .

(٢) ان الشيخ العمادي الذي شنق مع الشيخ بشير هو امين عماد ، لا علي .

(٣) في كتاب « السيد رشيد رضا او إخاء اربعين سنة » للامير شكيب ارسلان في ص ٢٩ — ٣٠ تعليق على كلام يختص بمصطفى آغا بربر متسلم طرابلس في استطراد تاريخي جاء فيه : « ثم حصلت حوادث اضطر (اي مصطفى بربر) أن يلجأ الى الارسلانيين وينزل عندهم في الشويفات وبقي فيها مدة . ولما حصلت الفتنة بين الامير بشير الشهابي والشيخ بشير جنبلاط سنة ١٨٢٣ وكان الامراء الارسلانيون في الصف المقاوم للامير بشير كان بربر من حزب الامير المشار اليه ولما دارت الدائرة على الشيخ بشير جنبلاط ومن كان معه من الامراء الشهابيين والارسلانيين بسبب ارسال الدولة عسكراً لنجدة الامير بشير رجع جدي ابو والدي الأمير حسن أرسلان وابن عمه الامير قاسم ارسلان الى الشويفات حيث كان مصطفى بربر مقيما فيها فالتمسا منه ان يشفع لهما لدى الامير بشير . ويظهر انه لم يقبل الامير شفاعة بربر بهما لأنه حسب ما يقول صاحب تاريخ الاعيان قد امر على تغريم الامير حسن والأمير قاسم الارسلانيين بخمسة وعشرين ألف غرش . ثم ورد ذكر بربر في حوادث سنة ١٨٣٢ وانه كان والياً على طرابلس » (انتهى كلام الامير شكيب بهذا الصدد)

عليه كان ينزع يده عن العقارات الجارية بملكه ويجبره على تحرير صك فراغ وانتقال لأحد اتباعه — اي اتباع الامير — بثمن بخس جداً . ناهيك عن تهديمه بيوت خاصة الشيخ ومساكنهم في معظم البلاد والقرى . وقطعه مغروسات اراضيهم وايداع كثير منهم السجون وحملهم على الاغلال والقيود الى غير ذلك من انواع العذاب والظلم والاستبداد التي الجأت جانباً عظيماً من دروز لبنان الى المهاجرة الى جبل حوران . إذ لم تمض على محاربة الامير والشيخ بضع سنين حتى احتشدت وفود النازحين الى حوران واعتمروا معظم قراها الخاوية الخالية . أما مباني آل جنبلاط انفسهم في المختارة وبعذران وغيرهما فقد هدّمها الامير تهديماً لا سيّما الجامع (١) الذي لم يزل رسمه معروفاً في المختارة فقد لغمهُ بالبارود ودكّه كما دُكّ الطور فغادره اثراً بعد عين . قيل انّ مأذنته كان مصبوباً فيها خمسة عشر قنطار من الرصاص وكان الامير يباشر يومئذ بناء سراي بيت الدين ومقاصفها فنقل حجارة الجامع وحجارة ما هدمه من داري المختارة وبعذران الى البنايات التي كان مباشراً بها .

اما املاك آل جنبلاط المشهورة بضخامتها وسعة ارجائها وخصب اراضيها ، فقد ضمها الامير كلها الى املاكه ووضع يده عليها مستدرّاً خيراتها وبركاتها العميمة . واما مقاطعة الجنبلاطيين اعني بها الشوفين الحيتي والسويجاني ، مع بعقلين ، واقليم الخروب ، واقليم التفاح ، وجبل الريحان ، واقليم جزين ، وسهل البقاع ، شرقيه وغربيه ، من ميذون الى قب الياس ومن الخربة الى عيثه ، فقد اناط احكامها والقى بمقاليدها الى ابنه الامير خليل . الاّ ان الامير خليلا هذا لم يكن ليفترق عن ابيه ويهجر سراي بيت الدين المستحدثة ، ليقيم في منازل آل جنبلاط المتداعية الى الخراب . بل بقي مقيماً في مقصفه ببيت الدين مخلياً امور الشوف عن باله غير عابيء بها ، ما عدا الامور المهمة التي تستلفت الانظار . وقد أقام من قبله على المقاطعات المذكورة وكلاء يثق بهم جاعلاً لكل مقاطعة وكيلا . اما الشوف

---

(١) كان الشيخ بشير يحلم بتولي حكم لبنان ولعل بناءه جامع المختارة من الامور الممهدة لذلك وما هدم الامير بشير ذلك الجامع الا وهو يقصد الى ازالة ما كان يهيئه الشيخ بشير من الوسائل الممهدة للحكم .

وكان للشيخ بشير مساع تؤول الى تقوية مركزه وتزيد في منعته ، منها محاولته ضم اقليم البلان الى جبل (لبنان) والحاقه بالمناطق التي كان يتناولها حكمه وقد تم بذلك سنة ١٢٣١ هـ (١٨١٥ — ١٨٠٦ م)

ثم انه كان يرى ان تكتيل الدروز وجمعهم في منطقة واحدة من اوكد اسباب قوته وافضل الوسائل التي تظهره بمظهر الجبار فضلا عن كونها قوة وعزة للدروز انفسهم ولذا كان ينوي ان يأتي بدروز الجبل الاعلى بحلب فيسكنهم في سهل البقاع الذي كان كله ملكاً له . وان يأتي بدروز فلسطين فيسكنهم في اقليم جزين وكان معظم هذا الاقليم ملكاً له ايضاً ، فيتم له بذلك انشاء منطقة درزية مجتمعة تمتد من البحر شرقاً الى جبل حوران يكون هو المهيمن عليها ويكون معظم سكانها جنوداً له

الجبتي فوكل ادارة شؤونه الى غنطوس آغا القهوجي (١) من بعذران . وأما الشوف السويجاني فسلّم ازمة أحكامه الى شاهين آغا رزق من مزرعة الشوف و كلاهما نصراني وسلم اقليم الخروب لبني حماده من بعقلين وسلم اقليم جزين لبني ناصيف من جزين . وسلم اقليم التفاح لبني المبيض الخ . وجعلها وكالة مطلقة مفوضة لقول كل وكيل منهم ولرأيه ولفعله فلا تسل عند ذلك عن طغي وبغي وهتك وفتك وزيغ في الدعاوي وخبط في القضايا ولنترك الآن البلاد على مثل هذه الحالة تنساب فيها جداول العيث وتلعب فيها ايدي الحدثان وهي خالدة الى الرضوخ غير مبدية حراكاً لنعود الى ذلك في مقام آخر والعود احمد . وسعين مجالا من البحث لذكر حادثة سنور المشهورة التي هي آخر تمهيدات محمد علي باشا لاجل شنه الغارة الشعواء على الديار الشامية .

(١) كان غنطوس القهوجي من خاصة الشيخ علي حسن جنبلاط فلما ترك آل جنبلاط الشوف على اثر انكسارهم في معركة سهل السمقانية كان الشيخ علي المذكور قد جرح في المعركة فغادر بعذران يصحبه غنطوس القهوجي حتى اتيا الى مغارة عيحا فلم يقو الشيخ علي على المسير بعد ذلك ولم يلبث ان مات في المغارة المذكورة متأثراً من جراحه وكان غنطوس القهوجي مخلصاً لآل جنبلاط لكنه بعد موت الشيخ علي وشنق الشيخ بشير وجور الامير بشير على اصدقائهما يئس من امره فلجأ الى الامير مستعطفاً . ولما أدخل اليه سأله الامير : كيف حال الشيخ علي يا غنطوس ؟ قال : فداك يا مولاي . قال الامير : اخبرني الصحيح : قال : لو لم يمت الشيخ علي لما رأيتني عندك . قال او تخلص في خدمتي كما اخلصت في خدمته؟ قال انا عبدك المخلص للمماة حييت. فعهد الامير اليه بالوكالة على الشوف الجبتي .

حادثة سنور

سنة ١٢٤٦ﻫ (١٨٣٠)

استسلم اللبنانيون لولاية الامير بشير وخمد سعير حركتهم فكان ذلك قرة لعين محمد علي باشا الذي كان يحسب الف حساب للبنانيين وقيامهم سداً حصيناً دون ما يتوخاه من الفتح العاجل ويروعه رسوخ قدمي طودهم وشموخ أنف جبلهم المحشود منهم بقوم صعبي المراس شديدي البأس قد ألفوا الحروب والغزوات وتمرنوا على الفراسة في الغارات لا سيما أهل الجهة الجنوبية منه . فلم يبق عقيب ذلك في بر الشام بلد تخشى مقاومته ويستصعب أخذه فيكون حجر عثرة في سبيل التقدم والنجاح الا جبل نابلس المشهور عن اهله شدة البأس وصعوبة المراس لا سيما امراؤه آل جرار وآل طوقان فانهم كانوا على جانب عظيم من البسالة والفروسية . وقد طالما أعيا ذلك الجبل ولاة عكة كالجزار وخلافه ابان تقاضي الجبايات وتنفيذ بعض الاوامر . فكانت منعته وحالته المحكي عنها اشبه بقذى في عين محمد علي فلم يزل مترصداً فرصة تسنح يتسنى له بها رمي ذلك الطود وهو رابض في مصر ببلايا ونوائب لا يتسنى له ابلاؤه بمثلها فيما لو شنّ عليه بنفسه غارة شعواء لاخضاد شوكته وتقليل شباته حتى عنت السانحة المرتقبة وجرت رياح القدر بما اشتهته سفن آماله . وذلك انه حدث سنة ١٢٤٦ هجرية الموافقة سنة ١٨٣٠ مسيحية أن شق بنو جرار وطوقان عصا الطاعة ممتنعين عن تأدية الاموال الاميرية التي كانوا يجبونها من الاهلين ويقدمون شيئاً منها لصاحب عكة فخابر عبدالله باشا محمد علي في ذلك فكتب اليه بوجوب الزحف الى الخوارج واصلائهم حرباً تردهم الى الطاعة والخضوع . وكتب في ذلك الى الامير بشير ايضاً موجباً عليه موافاة عبدالله زحفاً بجيش عرموم الى نابلس . فامتثل الاثنان لامره ورأيه . وان في نابلس لعشيرة كريمة اخرى هي بنو عبد الهادي وكانوا على طرفي نقيض مع آل جرار وطوقان في السياسة والمشرب . فصدر امر عبدالله باشا بنزع الامارة النابلسية من آل جرار وطوقان مسلماً مقاليدها للشيخ حسين عبد الهادي بموجب فرمان عال ثم سير تحت قيادة هذا الحاكم الجديد عسكراً منظماً لاخضاع الامراء المذكورين . واستنفر الامير بشير شهاب من اللبنانيين خمسة آلاف

على اثر الحادثة نظم احد الزجالين قصيدة طويلة هذا مطلعها :

في سنة سته واربعين ومايتين	والف من بعد الجميع مسطرا
ودا وزير عكا علام لسادته	للمير بشير واعلمو فيما جرى
انه ينبه على البلاد جميعها	لان صانور العيني عامرا
في المبتدا ألي اجو بيت بو نكد	مفتاح سوق الحرب يوم الزمهرا الخ . .

محارب وتقدم بهم الى نابلس . وكان في ضواحي تلك المدينة قرية اسمها سنور(١) مشيدة فيها قلعة وطيدة الاركان . راسخة القواعد والجدران رحيبة الفناء غنية بالماء . فاعتصم بها العصاة بعد أن افعموها بالمؤن والذخائر وغير ذلك مما يقوم بأودهم اياماً طوالاً . فحاصرهم الأمير بشير سبعة أشهر متوالية مضيقاً عليهم الحصار لما قيض له من السعد في ذلك المهم بعدم سقوط الغيث حتى في فصل الشتاء . فلما نفد زاد المحاصرين (بفتح الصاد) ونضبت ماؤهم ويئسوا من وقوع الغيث او سقوط الثلج وما اشبه من الامور التي تضطر العساكر على الارتحال وتنفس عن كربتهم وما هم فيه من الضيق والشدة فاستولى عليهم الخوف الشديد ووهنت عزائم العامة من المحاصَرين . رغماً عن تشجيع الامراء لهم ومحاولتهم تشديد قواهم . واحس اللبنانيون بما خامر المحاصرين من الجزع فتضاعفت شدتهم وتزايدت نخوتهم فجعلوا يصدقون الكرة تلو الكرة والحملة بعد الحملة حتى اقتحموا اسوار القلعة فتسلقوها وحطموا أبوابها ودخلوها فاخذوها عنوة معملين في العصاة الحسام فاهلكوا منهم جمهوراً غفيراً ولم يبقوا منهم الا على نفر يسير اوثقوهم بالحبال وقادوهم اسراء الى عكة . ثم آب الأمير بشير الى بتدين مظفراً منصوراً بعد ارساله البشائر بالفتح والنصر الى صاحب مصر .

فلما اصبح القطر الشامي متفتح الابواب متداعية حصونه الى الخراب اذا بعساكر محمد علي واساطيله قد دهمته براً وبحراً (٢) فكان غنيمة باردة ولقمة سهلة المضغ والازدراد . أما صور وصيدا فلم تبديا اقل مدافعة تجاه البوارج التي رست في ميناهما بل استسلمتا صاغرتين . واما عكة فبعد دفاع عنيف استسلمت للقوة الغالبة ووقع عبدالله باشا في سوء صنيعه وشر سياسته فاخذ الى مصر اسيراً ذليلاً مكبلاً بالسلاسل والاغلال وهكذا قل عن بقية البلاد من عريش مصر الى نواحي حمص وحماة . فقد ابدت الخضوع التام دون ذود ولا دفاع .

ولما توجه ابراهيم باشا قائد الفيالق المصرية نحو لبنان خف الى لقياه الاميران خليل ومسعود ولدا الامير بشير الشهابي بعسكر عرمرم قصد الانضمام اليه والعمل على وتيرته فكانا له خير مساعد ودليل لخبرهما بطرائق البلاد وخلائق العباد وخلاصة القول : ان الامير بشير قد سلم ابراهيم باشا ازمة الامارة اللبنانية عن رضى واختيار فخضع له اللبنانيون خضوعاً تاماً ما عدا الدروز منهم فانهم لشدة اخلاصهم للدولة العلية العثمانية وحبهم بحكومتها قد ابوا الاعتراف بمحمد علي ملكاً عليهم فقاوموه اشد المقاومة واصلوه من القتال ناراً حامية . فتألب من من دروز الشوف ودروز وادي التيم عسكر يقوده الشيخان حسين علي جنبلاط وناصر الدين

---

(١) سانور

(٢) بدأ زحف جيوش محمد علي باشا على سورية في ٢ تشرين الثاني سنة ١٨٣١م . (ابراهيم باشا في سوريا ص ٧٣)

حماد وشبلي آغا العريان . فحدثت بينهم وبين ابراهيم باشا ورفيقيه وقائع شديدة في عيون جنعم وغيرها من بلاد راشيا فهاجت عوامل غضب ابراهيم باشا وبغضه للطائفة الدرزية فاضمر لهم الشر . والذي زاد في طين نكايته بلة انه عند دخوله راشيا وضع طابوراً من جنده في تلك القصبة لاجل المحافظة عليها وما يليها من النواحي ومضى متغلغلاً في البلاد . فهجم الدروز على ذلك الطابور وذبحوه عن بكرة ابيه ، الا بعض نفر عرفوا انهم شاميون من لفظهم حرف الجيم من كلمة (جمل) فلما بلغ ابراهيم نبأ النكبة العظمى التي حلت بعسكره أخذ منه الغيظ كل مأخذ وجعلت مراجل حقده وحفيظته تغلي في صدره على الدروز فصمم على الايقاع والفتك بهم . أنى استطاع الى ذلك سبيلاً . فانقلب راجعاً نحو غوطة الشام حيث أخذ على منوال غدره ودهائه ينسج لهم احبولة يقعون فيها ويتدبر مكيدة تقمع منهم غليل حشاه . فعمد الى رجلين مسيحيين من قرية عيثة الفخار من البقاع الشرقي وامرهما أن يذهبا الى الدروز ويخبراهم ان في اليوم الفلاني ستقدم من بيروت قافلة مؤلفة من اثنين وعشرين بعيراً تحمل مؤناً وذخيرة (جبخانة) لعسكر ابراهيم . ففعلا . فلما كان اليوم المعين علق الدروز يشارفون السهل من رؤوس الروابي فاذا قافلة مؤلفــــة من اثنين وعشرين جملاً تسير في سهل جديدة الشام سيراً وئيداً . فلم يبق عند الدروز في اخبار المخبرين ريبة ودفعهم الطمع الى كسب تلك القافلة وما تقله من الأموال ، وكانوا ثمانمائة رجل فقط . فانحدروا الى وادي بمصي منقسمين الى فئتين : الفئة الأولى وعددها خمسمائة كمنت على الجانب الواحد من ذلك الوادي والثانية وعددها ثلاثمائة كمنت على الجانب الآخر منه . وتربصوا في مكامنهم ريثما وصلت القافلة وتبطنت ذلك الوادي فانقض عليها الكمين الأول اي الخمسمائة قاطعين عليها الطريق وظافرين بها غنيمة ظنوها باردة . وبقي الكمين الثاني اي الثلاثمائة يشارفون الانحاء من رؤوس الربى خشية نائبة تدهم وحذاز جيش لابراهيم يقدم . اما ابراهيم ناصب هذه الاحبولة فقد كان كامناً ساعتئذ بألف من جنده في وادي القرن ومكمناً مع بعض قادة جيوشه خمسمائة من الارنأوط وخمسمائة من الموارة والف جندي مصريين في وادي بكة . فلما حصل الدروز الخمسمائة في وسط وادي بمصي والتهوا بالغنيمة المكسوبة اطلق ابراهيم مدفعاً وكان ذلك علامة للهجوم متفقاً عليها بينهم . فثار الكامنون من مكامنهم واطبقوا على الدروز في مرج ينطة محيطين بهم من كل جهة . الخيالة في السهل والرجالة في الوعر (القلع) واصلوا الدروز ناراً حامية راشقين عليهم وابلاً من الرصاص . فثبت الدروز في مواقفهم ثبات الجبال ودافعوا ابراهيم دفاع الابطال وكافحوه كفاحاً احموا معه الحمام فظلوا ست ساعات يقاتلونه قتال الأسود ويظهرون من ضروب الشدة والاقدام ما لا اذن بمثله سمعت ولا عين نظيره

رأت . وما انفكوا يطلقون بنادقهم حتى فرغت الذخائر فامست البنادق اشبه بالعصي . فعند ذلك انتهزت جنود العدو فرصة الهجوم والانطباق عليهم فتقدموا نحوهم حتى اذا صاروا على مقربة منهم اخذ الدروز يضربونهم بالحجارة فردوهم واوقفوهم عن التقدم . ولما انقطعت حجارتهم ولم يبق في موقفهم حصاة يمكن الرمي بها عاودت العساكر الانطباق عليهم فاخترط الدروز سيوفهم ويطاقاناتهم وما اشبه وانقضوا على الجحافل انقضاض البزاة الكواسر فاخترقوا الصفوف واكثروا الحتوف وفتكوا في العدى فتكاً ذريعاً . ومن لم يكن معه يطقان او نجق مثلاً كان يستعمل بندقيته كعصا يشج بها رأس جندي يضربه ويفلقه تفليقاً الى غير ذلك من ضروب الشدة والبطش التي تندهش لها البصائر وتقف عندها العقول حيرى. وقد انجلت هذه الواقعة العظيمة عن مذبحة عظيمة سالت بها الدماء سيلان الماء في الواد وانتثرت جثث القتلى في ذلك المرج مرج ينطة المشؤوم الذي لم تزل هاماته تصبح الغدر الغدر انتثار الحصى على الآكام . فالخمسمائة الدرزي هلكوا كلهم ما عدا نفراً قليلاً من طويلي الاعمار منهم . واما رفاقهم الثلاثمائة فلم يفقد منهم أحد لعدم انحصارهم ضمن دائرة الجنود الحربية بل كانوا يهاجمون اطراف عساكر ابراهيم ويقتلون منهم جملاً وافراداً . اما الهلكى من عسكر ابراهيم فقد جاوز عددهم الالف . وقد عرفت ذلك كله من كتاب اطلعت على صورته ارسله ابراهيم باشا الى الامير بشير غب حصول هذه المعمعة مبيناً له فيه ما جرياتها بالتفصيل . ومما ذكر فيه قائلاً : انه حارب السودان وسكان الصعيد والنوبة ويونان المورة المشهورين بشجاعتهم وشدة بأسهم ولم يرَ في العالم جماعة أشد بأساً واثبت موقفاً من اولئك الدروز .

وقعة عين جنعم

واما معركة عين جنعم فقد وقعت ما بين الزعماء الثلاثة اي حسين جنبلاط وناصر الدين عماد وشبلي العريان وبين خليل ابن الامير بشير الذي كان يقود الفي مقاتل من النصارى فلما التقى الدروز به في المحل المذكور انقض عليه الزعماء الثلاثة انقضاضاً مزقوا به عسكره كل ممزق وقتلوا منه خلقاً كثيراً آخذين الامير المذكور أسيراً بعد أن ابتزوا سلاحه وبغلته التي كان يمتطيها في المسير ويشهد عليها الحرب أيضاً .

وقعة اللجاة

ثم ان الدروز دخل منهم عدد عديد الى جبل حوران هرباً من مظالم ابراهيم باشا لا سيما ضريبه

عليهم القرعة واجباره شبانهم على الانخراط باسلاك عساكره الامر الذي شد ما يكرهونه وتأباه طباعهم وتنفر منه حواسهم واميالهم ولاذوا باخوانهم الحورانيين الذين لم يكونوا قد اعتمروا بعد من الجبل غير المقرن الشمالي وبعض قرى اللواء تحت سيادة بني الحمدان اصحاب السويدا وما يليها زمنئذ وبني القلعاني اصحاب شقة وما جاورها الخ . فتبعهم ابراهيم الى حوران وفي نيتـه تدويخ تلك البلاد الحصينة واكلا هذه المهمة الى قائديه شريف باشا وسليمان باشا الفرنساوي . فاعتصم الدروز باللجاة وجعلوا يشنون على الجنود المصرية الغارات الشعواء فابلوا فيهم بلاء حسناً فعن للمصريين دخول اللجاة تتبعاً للدروز . فتغلغلوا فيه من نوافذ عديدة فتاهوا بين كهوفه وشقوقه ووهاده وهضابه تحت تلك الاشجار الكثيفة الملتفة التي تحجب ضياء الشمس في رائعة النهار (١) وضلوا طرقهم بين صخوره وحجارته السوداء المتراكمة في كل فج تتخللها الاشواك الصلدة التي كأنها نصال الاسهم وشفار الرماح وغدوا هائمين على وجوههم في ذلك الغاب المهول يطلبون الرجوع الى السهل فلا يهتدون اليه سبيلا فانقضت دولة النهار وهجمت جيوش الليل والمصريون في بؤسهم على مثل تلك الحال فباتوا تلك الليلة يناجون الهواجس والوساوس ويسامرهم زئير النمور وعواء الذئاب فضلاً عما قاسوه من آلام الجوع والظمأ . ولما كان اليوم الثاني صابحهم الدروز في تيههم فجعلوا يلتقطون منهم الزرافات والوحدان ويذبحونهم ذبح السوام غير معفين الا ممن عرفوه شامياً من لفظة حرف الجيم فكانت مذبحة هائلة ولم نتحقق عدد الهلكى تماماً ولكنهم كانوا بضعة عشر ألفاً . ثم ارتدت فيالق ابراهيم عن حوران مخذولة وانجلت عنها دون أن تقدر على فتحها او امتلاك شيء منهـا .

لقد المعنا عن جلاء الجنبلاطيين عند انكسار الشيخ بشير جنبلاط في محاربة الامير بشير شهاب . فلما دخل ابراهيم باشا لبنان مفتوحة له من الامير بشير ابوابه ومسلمة اليه مقاليده طفق يسوم الدروز الخدمة العسكرية الاجبارية معفياً من ذلك من سواهم من الطوائف المسيحية وضرب عليهم القرعة [فمن] سحبت ورقته جـــاء رغم انفه . [فان] خالف له أمراً او حاول من جنده فراراً فجزاؤه الموت الزؤام وكان للشيخ بشير جنبلاط ثلاثة بنين : نعمان وسعيد واسماعيل . اما الشيخ نعمان (٢) الذي كان بالغاً اشده لدى قدوم ابراهيم

(١) كانت منطقة اللجاه في ذلك الوقت كثيرة الشجر من بطم وسنديان وزيتون وقطلب وما شاكل لكن عرب السلوط والدروز المجاورين للجاة قد قطعوا معظمه حتى بات الشجر فيه قليلاً بل نادراً

(٢) نصب الشيخ نعمان جنبلاط حاكماً على جبل الشوف وكسروان من قبل محمد باشا والي حلب وعبدالله باشا والي عكة بموجب مرسوم مؤرخ في ٢١ شوال سنة ١٢٤٧هـ . (١٨٣١م .) (عن الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا — للدكتور اسد رستم)

باشا فقد انضم هو والشيخ احمد جنبلاط وجلة من سراة الطائفة الدرزية الى عساكر الدولة العلية وجاهدوا مع الجنود العثمانية جهاداً محموداً . وما زالوا يجاهدون حتى تقهقر اصحابهم الى بر الاناضول. واما اخواه الشيخان سعيد واسماعيل وابناء عمهم الشيخ حسن قاسم علي جنبلاط فقد جلي بهم الى جولس من بلاد صفد اذ كانوا صغاراً غير محتلمين واقامت هاتان العيلتان الكريمتان مع فلاحي تلك القرية ردحاً من الزمن . وأخيراً اتصل بالامير بشير نبأ تنكرهم في القرية المذكورة فاستحضرهم اليه بوجـــه القوة . وكان ابراهيم قد أخذ من الدروز من تصيبهم القرعة دفعتين وذلك على يد الامير بشير فلما باشر بالدفعة الثالثة كانت الاسرتان الجنبلاطيتان قد حصلتا في البلاد فاخذ الشيخ سعيد جندياً وهو في ريعان شبابه . ادخل نفراً ثم ترقى الى وظيفتـه يوزباشي وبقي في المعسكر خمس سنوات . ورقي ملحم بك عماد الى وظيفة بكباشي . اما نظام ابراهيم فقد كان قاضياً في البدء باخذ واحد من كل ثلاثة اي الثلث ثم عاد فجعله واحداً من كل اثنين . فاجتمع لديه بذلك نصف شبان الطائفة الدرزية فيا للظلم ويا للعسف. اما النصارى فلم يكن نظامه قاضياً بتجنيدهم لاعتباره حروبه جهاداً [١]

وقد دوخ ابراهيم باشا جميع البلاد السورية وما انفك متقدماً في غزاته حتى بر الاناضول. فعند ذلك قر قرار الدول على وضع حد محدود لفتوحاته فوجهت انكلترة وروسيا والنمسا اساطيلها الى مياه الاسكندرية تتهدد محمد علي بالويل والتدمير اذا هو لم يكف ابنه عن الفتح ويسترجعه الى مصر وبقيت تلك الاساطيل تمخر مياه المتوسط متنقلة من مكان الى آخر

---

(١) لم يكتف الامير بالنصف بل دعا الى القتال كل من استطاع حمل السلاح . وفيما يلي نموذج من الرسائل التي بعث بها الى الانحاء بهذا الصدد :

اعزازنا المشايخ اهالي عماطور واهالي حارة الجنادلة بوجه العموم سلمهم الله تعالى

بعد الشوق انه بموجب التحريرات الواردة لنا من اولادنا الامرا ظهر انه متوجه من اعزازنا المشايخ بيت عبد الصمد الى عند ولدنا الامير محمود ستة عشر نفر فقط ومن اعزازنا المشايخ بيت ابو شقرا احد عشر نفر موجودين عند ولدنا الامير مسعود وذلك ضد الصدق بالخدمة العسكرية فالمراد بوصول امرنا هذا اليكم حالا ان تحضروا جميعكم الناقلين السلاح من عماطور وحارة جنادلة لهذا الطرف لكي نحرر اساميكم ونوجهكم لخدمة ولدنا الامير خليل من دون ان يبقى منكم نفر الفرد من جميع الناقلين السلاح فاياكم ثم اياكم العاقة والاهمال بذلك نؤكد عليكم ٢٦ ب سنة ٥٦ (١٨٤٠م) بشير شهاب

ولعله لم يجند النصارى في اول الامر ثم عاد فجندهم يثبت ذلك الرسالة التالية :

عزازنا المشايخ اهالي شوف الحيطي دروز ونصارا الناقلين السلاح والذين ليس معهم سلاح ايضاً بوجه العموم سلمهم الله تعالى

بعد الشوق المراد بوصول امرنا هذا اليكم حالا تحضروا لهذا الطرف نهار بكره الاثنين جميعكم الناقلين السلاح والذين ليس ناقلين سلاح ويرغبوا الخدمة لكي نأمر بسلاح للذين ما معهم سلاح وجباخانا ايضاً للجميع ولا يحصل لكم عاقة عن الحضور نوكد عليكم في ٢ ش سنة ٥٦ بشير شهاب

بصد قطع المدد والذخائر عن ابراهيم باشا . ثم انه لم تمض على ذلك برهة حتى جرت ما بين مندوبي الدول الاوروبية المومأ اليها مؤامرة قرفيها القرار على اخطار محمد علي باشا والامير بشير على انهما اذا أجابا كافين عن القتال والفتح في عشرة ايام يقرون ملكية بلاد كل منهما له يحكمها هو ويرثها بنوه واحفاده من بعده وتبقى ملكيتها لهم أبداً ما تناسلوا . وان لم يجيبا الا بعد عشرين يوماً يقرون حكمه لبلاده على حياته فقط دون ان يكون لبنيه حق في الملك من بعده . وان هما لم يقدما جواباً في مدة شهر واحد قررت الدول خلعهما عن منصة الملك قسراً واخذهما الى جزائر البحر أسراً . أما محمد علي فقد رفع تقريراً جوابياً في العشر الاول مظهراً فيه خضوعه للقرار الدولي فتقرر بقاء التخت المصري ملكاً له ولذريته من بعده يتوارثونه خلفاً عن سلف الى ما شاء الله « وكان ذلك في سنة ١٢٥٥ﻫ(١). وهذه هي الخطوة السياسية الاولى التي خطتها الدولة الانكليزية جهة احتلالها وادي النيل ووضعها عليها يداً تحرس طريق هندها وتجعلها في مأمن من غارات الدول الاوروبية ونشوب برائن مطامعها فيها استدلالاً بقول اللورد سالسبوري حيث قال في سنة ١٣٠٥ ﻫ اي سنة الاحتلال : ان لنا خمسين سنة نفتكر أنّى ندخل مصر . »

واما الامير بشير فلم يقدم على الاجابة قبل الوقوف على رأي محمد علي باشا وما ينوي حليفه اجراءه ليفعل هو فعله ويحذو في ذلك حذوه . فأنفذ من سرعان خيالته من يستشيره في الامر وفي ذلك من ضعف الرأي وركاكة الحزم ما فيه .

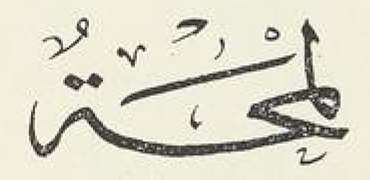
وقد هجس في خواطر الانكليز ما سيجريه صاحب لبنان فبثوا العيون والارصاد على السبل فعثروا على الخيالة الناقلين كتاب الامير الاستشاري الى مصر فالقوا عليهم القبض على مقربة من يافا ثم اودعوا السجن دون أن يدري احد بهم ولا بالقاء القبض عليهم (يقال ان الخيال كان واضعاً تلك الورقة بين طبقتي نعله) فمضت الايام الثلاثون قبل ان يتقدم من الامير بشير تقرير جوابي عن الاخطار الدولي الذي بعث اليه فارسلت اليه الانكليز بالاتفاق مع الدول الاخرى اخطاراً آخر يطلبون به جوابه الاخير مع تهديدهم اياه بالنفي الى جزائر البحار فاستشاط الامير غضباً وأمر مماليكه وعبيده بضرب ناقل ذلك الاخطار فهبوا عليه واوسعوه اهانة وضرباً . فقام ذلك المسكين مرغماً مهشماً ومضى وجراحه تسيل دماً . وكان الامير بشير ساعتئذ جالساً تحت سنديانة المقعد الخارجي والى جانبه ابنه لامين وكتخداه المعلم بطرس كرامه فحانت منه التفاتة نحو البحر من جهة الدامور

(١) لعلها سنة ١٢٥٦ ﻫ . وفق ١٨٤٠ م لانه في شوال من تلك السنة كان الامير بشير قد استمر في تجنيد اللبنانيين كما يتبين من رسالتيه في هامش الصفحة السابقة

فعنت له سفائن حربية تمخر اليم وكانت اربعين سفينة فهاله ذلك المنظر وارتبك في امره واقعاً في حيص بيص فدعا حنا بك البحري معتمد ابراهيم باشا في بتدين وقال له : اليك يا حنا بك فما رأيك لقد دهمنا الشر واحدق بنا الخطر . فاجابه انت وشأنك ايها الامير . ان شئت ان تصحبنا الى مصر فسيدنا ابراهيم لم يزل في انتظارنا في عين زحلتا والا" ... ثم ان الامير استتبع التتري بسبق خيله فادركوه في بعض الطريق فارجعوه لديه فجعل الامير يلاطفه ويسأله العفو عما فرط منه اليه من الاهانة والاعتداء مانحاً اياه سبعين جهادة (١) ثم قال له أبلغ من بعثك اليّ مني جواباً شفاهياً وقل لهم اني سوف اقابل الالش الاوروبية في صيدا موصياً اياه بعدم نسيان ذلك . فانصرف التتري وقص على مرسليه كلما جرى له وعليه وأما الامير فأمر خيله بالتأهب والركوب في الحال . ثم لبث ريثما اقبل ابنه مسعود من عين زحلتا وكان والده قد استدعاه من قبل فلما تمت بقدومه هيئة العيلة الحاكمة ركبوا جادين المسير الى صيدا فلما بلغوا المحلة المسماة المرزّة الواقعة على مقربة من الجسر الاوّلي توجلوا وحاولوا ضرب الخيام فاذا بسفينتين انكليزيتين قد رمتا المراسي على فم النهر الاولي وصوبتا المدافع على معرس الامير تهددانه بالموت الاحمر أو يدخل المدينة حالاً فاذعن الامير للامر وقام مسرعاً نحو بوابة صيدا . فدخل على نية ان يرمي بنفسه على خان الافرنج (القنصلية الافرنسية) ويحل على القنصل الافرنسي لائذاً مستجيراً ولكنه ساء فأله واخفق أمله اذ رأى الجنود العثمانية ملء الاسواق والشوارع وهم يحيطون بخان الافرنج احاطة السوار بالمعصم احتساباً بما عول هو عليه . وما حصل داخل السور حتى تسلمه الحرس وقادوه محفوظاً حتى القناطر القائمة في البحر حيث كانت احدى البواخر الانكليزية راسية تنتظر الامير بشير وايصاله اليها ومن هنالك جعلت الزوارق تنقل الى الباخرة الامير وعيلته ومتاعه وماله وبعد ذلك جرت وباسم الله مجراها ورمت مراسيها في مياه مالطة التي جعلت منفى للامير فاقام في تلك الجزيرة ردحاً من الزمن في صفة أسير واخيراً استأذن في الذهاب الى الآستانة العلية فاذن له بالانتقال اليها فأتم فيها حياته وانفد ما استصحبه من النقود وقدره سبعة عشر الف كيس (٨٥٠٠٠ ليرا) في سبيل استعادته الى لبنان فلم تكن مساعيه لتصادف فلاحاً ولم تنقض امانيه الا بانقضاء أجله وقد توفي في الاستانة ايضاً ثلاثة من ابنائه وهم امين وخليل وقاسم .

---

(١) قطعة ذهبية (المؤلف)



لم يكن فيما مضى ما بين الدروز والنصاري في لبنان ما كان بينهم منذ سنة ١٨٠٠ مسيحية من الشقاق والنفور بل كانت الطائفتان محبة احداهما بالاخرى آنسة اليهـا وبعبارة أخرى كانت الجماعتان كجماعة واحدة تعملان علي وتيرة واحدة غير متباينتين الا" في قاعدة الدين واليقين . وكنت ايامئذ ترى الدرزي والنصراني يقاتلان تحت علم واحد ويحاربان بغية عاقبة واحدة غـير ان الدروز بايديهم كانت معظم قوة الجبل وعلى ملكهم كانت جارية اكثر اراضيه وضياعه ودساكره وقد كان في الامارة اللبنانية على عهد الشيخ بشير جنبلاط اربعون الف محارب من الدروز منهم عشرة آلاف خيـالة . اما النصارى الذين توطنوا بينهم في القسم الجنوبي فقد استقدموا نحلة بعد نحلة من قسمه الجنوبي (١) في العصر الحوالي وتفرقوا في كل قرية وناحية منه لاجل معاطاة المهن والحرف وحراثة الارض وزراعتها اذ كان الدروز لا يميلون الى هذه الامور مترفعين عن تعاطيها غير معتبرين الا" ركوب الخيل واتقان الفراسة على ظهورها واجادة الرمي بالرصاص والضرب بالحسام الى غير ذلك من ضروب الشجاعـة والفروسية وقـد كانوا مهملين امر العلم اهمالاً كليـاً فقلما تجد فيهم من يحسن القراءة والكتابة . وانما كانوا يتباهون بمسألة الجود والكرم ويتنافسون في اكرام الضيوف وقراهم ولذا كنت ترى الدرزي يحسن معاملة النصراني ويهش ويبش في وجهه اينما رآه . والنصراني يحترم الدرزي ويستجير به ان حادث عراه . وانما كان النزاع العام في الجبل ما بين الحزبين المتباينين في مصدر الدم ومشتق السلالة وذلك نزاع شريف ، لا بين الحزبين المتباينين في المذهب والاعتقاد ، وهذه خصومة خسيسة .

انقسمت الدروز اولاً الى قيسيين وهم المنتمون الى السلالة العدنانية ويمنيين وهم المنتمون الى السلالة القحطانية فانقسمت النصارى أيضاً نفس هذا الانقسام مائلة كل فئة منهم الى احد هذين الحزبين الشهيرين . ولما اضمحل اليمنيون وسادت دولة القيسيين في البلاد بلي هـذا الشعب بانقسام جديد هو الشقراوي والصمدي نسبة الى عائلتين متناظرتين هما بنو ابي شقرا وبنو عبد الصمد . فحذا المسيحيون حذو الدروز في ذلك فاصبحوا وهم بعضهم شقراويون

---

(١) كذا في الاصل ولعلها (الشمالي)

وبعضهم صمديون وعندما رسخت اقدام آل جنبلاط في الشوف ونودي بهم سادة على البلاد تقمص الغرض الشقراوي بالغرض الجنبلاطي الا" قليلا وبدل الغرض الصمدي بالغرض اليزبكي مع بعض الشواذ . (١) فتزيا المسيحيون بما تزيا به الدروز في هذا الغرض ايضاً . الخ الخ .

واما ما حمل اللبنانيين على نبذ التحزب السلالي ظهرياً والتمسك بالتحزبات الطائفية فهو الامير بشير الشهابي والسياسة التي اتخذها ذريعة لاستبداده واستقلاله بخضد شوكة زميله سميه الجنبلاطي المشهور . فانه منذ عول على ذلك الامر المهم أخذ في تشييد قوة الاكليروس من الطائفتين ثم جعل يسعى في بذر حبوب الشقاق بين الطوائف المحمدية والمسيحية فيتداخل بها الاكليروس فتورث مداخلاتهم ضغائن وعوامل عدوانيـــة في القلوب اذ كان الامير يعزز جانب الفئة المسيحية منها وهو مع ذلك جاد جاهد في توطيد دعائم النصرانية في البلاد ونجاح مساعيهم وبسطـــة أيديهم ونفوذ كلمتهم مع اخماد نار الدروز ودرس آثار عزهم وسؤددهم وغناهم . فنمت بذلك بين الطائفتين بذور الحسد وتأصلت في افئدتهم جذور البغض والمشاحنة وها اني اثبت لك اموراً عن عسف الامير بشير واعماله المنكرة الفظيعة بحق جماعات من الدروز كانت هي اهم الاسباب في حدوث ما حدث اخيراً بين الدروز والنصارى .

(من هنا تبتدىء فظائع الامير)

من ذلك انه لما قتل الشيخ بشير وآل امر حكومة الشوف الى الرجلين النصرانيين المار ذكرهما سارا على ما اقتضاه مشرب ولي امرهمـا وقتئذ فأتيا من الجور والعسف بضروب فاحشة فادحة خصوصاً عند تقاضيهما الضرائب البطلية المستمرة التي كانت تجبى من الدروز دون من سواهم فقد كانا يتطرقان الى ضرب واهانة بعض افراد الدروز ممن لا عائلة خطيرة له وقد كان في النصارى من لا يستحرمون الحرام فيرفعون على بعض الدروز دعاوى بهتانية وكان الامير وابناؤه يدفعونهم ايضاً لتقديم مثل تلك الدعاوى وحين يعرض له عن دعوى نصراني على درزي يصدر في الحال الاوامر المشددة بتحصيل ما يدعون به ويزعمونه حقوقاً لهم وكان يقوم بتنفيذ [ذلك] خيالته الذين كانوا يدعون الحوالية وكان جميعهم من طائفة النصارى لا درزي فيهم وكان عند الامير من هؤلاء الحوالية مئات لا راتب معين لهم من جيبه الخاص او من صندوق البلاد بل انما كان راتبهم ما يقبضونه من محاصيل الدعاوى زوراً كانت ام حقاً وناهيك والحالة هذه من طرق عدالة ينهجونها وسيرة حسنة يسلكونها . (اللهم

---

(١) من ذلك مثلا ، بنو سليم وبنو سعد الدين في جباع الشوف . فبنو سليم صمـــديو الغرض ولكنهم جنبلاطيون . وبنو سعد الدين شقراويو الغرض ولكنهم يزبكيون .

ايد الحكومة العادلة). وممن اشتهروا بثقل الوطأة في الحوالية بيت بوملهم حتى ضرب فيهم المثل وكان المدعى عليه المنكود الحظ اذا حاول عن الدفع مدعياً فساد الدعوى او بطلها او لعذر مشروع كعدم اليسرة وما اشبه فلا تسل عند ذلك عن اعمال بربرية يتفنن الحوالية في اجرائها كارتباطهم افراسهم في مقاعد الاقتبال وطرحهم تحتها الفرش والبسط والسجاد وعدم قبولهم علفها الا شعيراً مغربلاً وعدم اكلهم هم الا لحم الدجاج والارز الذي كان يومئذ عزيزاً وربما عمد الحوالي الى رأس الغنم المعلوف فذبحه من اجل عشائه فقط الى غير ذلك من الامور التي جعلت عوامل الشقاق تتحرك ودواعي البغض تتـــاجج بين الدروز والنصارى .

ومن ذلك انه لما قرت البلاد مذعنة باستقـلال اميرها بعد قضاء شيخها علق الامير يتتبع العيال التي مالأت الشيخ ضده منتقماً منهم بايقاعه بوجوههم وفتكه بعيونهم وممن نذكرهم في هذا المختصر : بشير حسن ابو شقرا ومحمد حسون ورد ونصيف طليع وقاسم نصر الله ضاربين صفحاً عن غيرهم .

اما نصيف طليع وقاسم نصر الله وكلاهما من جديدة الشوف فقد ارتأيا المثول بين يدي الامير استرضاء له عنهما فمثلا سائليه العفو طالبين اليه الامن على نفسيهما فامنهما متظاهراً برغبته في استخدامهما وتقريبهما اليه موريا عن غايته الشرّية بهذه العبارة : « ان شاء الله لا اعوزكما لأحد » وبينما هما راجعان الى الجديدة هب عليهما كمين كان قد اعده الامير لقتلهما عند رأس الصلّيب للجهة الجنوبية وكان الكمين مؤلفـاً من سليمان بودعيبس عبد الصمد وبعض نفر من عائلته . وعائلة ملاك كحسن فيصل واسعد فرمند فاطلقوا عليهما العيارات النارية واذاقوهما الموت الاحمر تاركين جثتيهما على قارعة الطريق فوق ذلك المرتفع .

وأما محمد كيوان فبعد مصرع سيده الشيخ اعتزل الامور السياسية مفرغاً عمله في عمارة ضيعة له اسمها القطرانه من جبل الريحان فانفذ اليه الامير جماعة من بني ملاك (سكان حارة جندل) يترأسهم طيفور ملاك فاوردوه موارد الردى .

واما محمد حسون ورد فكان قد هرب الى حوران يوم جلا اليها الشيخ بشير والشيخ علي عماد (١) فجرى لهما مـــا جرى من مسألة التسليم والشنق وبقي هو مقيماً في تلك البلاد ولم

---

(١) كان الشيخ حسين ابو غانم في جملة الذين رافقوا الشيخ بشيراً الى حوران . وكان جميل الصورة حسن الرأي وقد شدا بشيء من علوم ذلك العصر . وكان على جانب من الغنى وله املاك واسعة في كفرنبرخ والشوفين وبعقلين والبقاع . وقد ترك داره في كفرنبرخ وابتنى له داراً في بطمه ما تزال الى الآن عامرة وسكن في جوار الشيخ بشير ، وفي ديوان نقولا الترك تأريخ لبناء هذه الدار وشعر في مدح الشيخ حسين. وهو صاحب الخلوة والوقف المعروفين في كفرنبرخ وله وصية مستفيضة أوصى في جملة ما اوصى ببضعة فروش لمجلس قرية كفرة وهي اليوم خراب

وقد لبث الشيخ حسين في جبل حوران ردحـــاً من الزمن وبعد مهد له سبيل الرجوع الى كفرنبرخ آل حماده (بعقلين) وبينهم صهره مصطفى بك فرجع ثم قرّ به الامير بشير فقضى في خدمته زمناً .

يجسر على القدوم الى الشوف خوفاً من بطش الامير وشراسته . وقد كان من وجوه النيحيين المظافرين للشيخ ايضاً رجل اسمه مصطفى سيف وكان فارساً باسلاً فتاكاً الا انه كان قليل المروءة نزر الوفاء فدعاه الامير اليه واغراه بالمواعيد العرقوبية ليحمله على قتل نسيبه المذكور فران على عقله دهاء ذلك الحاكم المرهوب الجانب فركب الى حوران وفتك بمحمد حسون ورد.

واما بشير حسن ابو شقرا فانه كان قد جلا الى قرية من اقليم الشومر اسمها محيدله جارية على ملك حمد البك من آل علي الصغير فاقتنى سائمة واجال في الارض يد الزراعة غير ان الامير ما برح يبث وراءه العيون والارصاد حتى اذا قدم يوماً الى صيدا في حاجة له انفذ الامير علماً مستعجلاً الى متسلم تلك المدينة يطلب اليه به القاء القبض على ضالته المنشودة فوقع بشير حسن ابو شقرا في ايدي الشرطة وارسل محفوظاً الى بتدين وحين بلغ الشقراويين نبأ وقوع كبيرهم في يد الظالم قاموا لذلك الامر وقعدوا فارسلوا اثنين من وجوههم هما ظاهر عثمان وبشير اسعد الى دير القمر ليمهدا سبيل العفو عن اراقة دم ذلك المسكين بشفاعة الشيخين النكديين نصيف وحمود اللذين دفعتهما النخوة والمروءة فدخلا على الامير وكان بشير حسن قد أوصل ساعتئذ الى النطع فغدا على اهبة ورود الموت الاحمر . فقال لهما الامير دخولكما الآن في غير ميعاده . قالا له حملنا على المثول أمامك امر مهم وكلام نروم عرضه لديك فقال لهما : ان كان شفاعة ببشير ابي شقرا فغير مقبول عندي من ذلك شيء قالا لقد عاهدتنا سعادتك بالشرف على ان اعراضاتنا لك تكون مقبولة في اي الامور كانت قال تكلما . قالا نرجو منك الصفح عن بشير ابي شقرا والحا عليه فقال اذاً لكما واحدة ولي واحدة، قبولا لرجائكما اعفي عن دمه وشفاء لغلي استولي على املاكه واقتص من ماله . فشكراه وانصرفا . فضرب الامير على بشير حسن جزاء قدره ٣٦ كيساً فكان حملاً ينوء تحته اعظم مثر في ذلك الوقت بل تعجز عن تسديده قرية غنية عامرة . ولما لم يكن المجازى المذكور من ذوي اليسار والاكثار فضلاً عما تحمله من النفقات في تلك الحوادث اضطرت العائلة الشقراوية لجمع المبلغ المضروب ببذل كل نفيس فباع بنو ابي شاهين (اي جب المجازى في العائلة) بستان الكاخي (١) في اقليم التفاح بالف وستمائة غرش فقط ثم جمعوا حلي نسائهم وما بايديهم من السبائك معا تقدم لهم من بعض عائلتي ابي حسن في بعذران وجوديه في حارة جندل وباعوا ذلك في دير القمر درهم الفضة بخمس وعشرين بارة فبلغ مجموع ذلك كله ٣٥

(١) يساوي هذا البستان عشرين الف ليرة في هذه الايام وكان فيه يومئذ ثلاثمائة وخمسون حملاً من ورق التوت .
(المؤلف)

كيساً فقط وأدى لهم نادر الفراء من بني نعمه من دير القمر كيساً واحداً جمعه من عائلته الكريمة الصديقة فكان غلاقة المطلوب وعلم بعد ذلك الامير بشير بما فعله نادر الفرا فسخط عليه ونفاه من البلاد نفياً مؤبـــداً مغلظاً على نفسه اليمين ليقطعن رأسه اذا هو وطىء ارض لبنان بقدم .

ومن جملة فظائعه بحق آل ابي شقرا المذكورين أنه لما رأى هذه العائلة شديدة الحب بآل جنبلاط وثيقة العلاقة معهم . وقد طالما راسل هو الشتراويين وغرهم بالمواعيد متعهداً لهم بانه يكتب لهم جناب الاخ العزيز (٢) ويقطع لهم اقليم الخروب فيجعله ملكاً لهم مطلقاً فابوا كل ذلك مصرين على ميلهم للشيخ حافظين مبدأهم معه . فاضمر لهم الشر مصمماً ان يبليهم بداهية لا تقوم لهم بعدها قائمة قط فدعا اليه نظراءهم بني عبد الصمد وطفق يغريهم بالايقاع بهم مذكراً اياهم بما فعله بهم الشيخ حسن جنبلاط ووعدهم بأنه يأخذ بناصرهم ويعفو عن كل ما يرتكبونه من الاجرام والجنايات وغير ذلك من اشباه هذا الكلام غير انه لما كانت العائلتان المذكورتان متكافئتين في القوة متساويتين في العدد رأى بنو عبد الصمد ان ذلك الامر المهم لا يتسنى لهم اتمامه مع سلامة جانبهم من الضرر ما لم ينضم اليهم من القوات ما يوازي ضعفي قوتهم فلم يقدموا على تفسير ذلك الحلم حلم الامير المنتقم الغاشم . فقال لهم امدكم ببني ذبيان وبني ملاك . فقالوا اذا امرت ليكون نصيف بك نكد القائد في هذه الغارة فيشتد به الازر ويتم الامر على ما يرام فلم يرفض لهم طلباً . فسعت عند ذلك السعاة بين العائلات الثلاث المذكورات فقر القرار على مهاجمة الشقراويين في يوم معين فاتفق انه بينما كان المدعو زهران عبد الصمد آتياً من بتدين التقى به شاهين عساف باللمع عبد الصمد في الطريق تحت بيت قاسم حمادي ابي شقراء فسأله (اي متى يكون الحضور) فاجابـــه (اظن ليلة غد) قال له ونصيف بك نكد فاجابه دعاه الامير بالامس مقترحاً عليه هذا الامر فلا ادري مجيباً يكون ام غير مجيب . ثم تكلما قليلاً وافترقا فاتفق ساعتئذ ان صاحبة البيت الذي كانا يتكلمان لصيق جداره قد لحظتهما فارتابت في امرهما فجلست بحيث تسمعهما ولا يريانها ففهمت كل ما دار بينهما من الكلام فاسرعت الى اخيها بشير حسن ابي شقرا وقصت عليه الخبر وكان عدد آل ابي شقرا زمنئذ تسعين رجلاً فانتخب بشير حسن منهم ستين شاباً ووضعهم في منزل نصر الدين سلوم في الحارة الوسطى ووضع الثلاثين الباقين بين كهل

---

(٢) هذه الكلمة لم يكن الحاكم يكتبها الا الى اصحاب المقاطعات من المشيخة اللبنانية واي اسرة من العامة كتب لهم ذلك اعتبرت مشيخة وترفع نسبها الى نسب المشيخة وهلم جراً (للمؤلف)

ومراهق في قصر خلف القائم في وسط عماطور لتكون بداية القتال معهم فاذا حصل المهاجمون في القرية وعرفت مواقفهم تحرك نحوهم قاسماً الستين شاباً الى فئتين تأتيهم كل فئة من جهة وتحسن عليهم الكرة والهجوم فتبدد شملهم ولو كانوا خمسمائة مقاتل .

وفي ذلك اليوم نفسه بلغ حسين حماده نبأ هذه الدسيسة فساءه جداً وكان من أنفذ القوم كلمة عند الامير واقربهم اليه واكرمهم مثوى لديه فجاء مولاه مسرعاً وأبان له سوء هذا الرأي وشرّ منقلبه ووخامة عاقبته وانه ربما اورث حركة عمومية في البلاد فارعوى الامير لرأيه . وصادف نصحه آذاناً صاغية فكتب الى سليمان ابي دعيبس واقاربه يقول لهم انتم وشأنكم مع اخصامكم أما أنا فاني لا أرخص لنصيف بك ولا لاحد غيره بمضافرتكم فتقشعت تلك الغيابة وانجلت تلك الغواية

ولما اضرب عن الايقـــاع ببني ابي شقرا عموماً عمد الى الافراد منهم وجعل ينتقم من الواحد بعد الآخر متفنناً في انتقاماته وسومه اياهم من المظالم النيرونية مالا يفي بوصفه القلم . فمن واحد يعزو اليه جناية وهو براء منها ومن آخر يغري هو بعض الاشقياء بابتزاز مقتنياته واقامة الدعوى على عقاراته ورب حادثة جرت في اقصى البلاد فنسبها الى جماعة منهم وهم لا علم لهم بها فحملهم على الادهم وسامهم الوان العذاب فضلاً عن سومهم المبالغ الطائـــلة من الجزاء النقدي الذي كانوا يسمونه البلصة فاذا تعذر عن اداء البلصة امر حالا ببيع املاكه بما هان من الثمن وكانوا يسمون ذلك التشفيع فيبيع مـــا تساوي قيمته الفاً بمئة او اقل . والاملاك التي شفعت لم تزل معروفة خصوصاً املاك سيد احمد ابي شقرا الذي [كان] متوليا امر ماعز الشيخ بشير وكانت عشرة آلاف رأس . فلم يكتف بكسبها بل ادعى على سيد احمد المذكور باثمان لبنها وصوفها وغير ذلك وجرى تعديل ذلك بعشرة آلاف غرش فشفع بمثل ذلك من املاكه ما تعادل قيمته ثلاثة آلاف ليرا وقس على ما ذكر ما لم يذكر من المظالم التي ما انفك يصادر الشقراويين بها (١) حتى حملهم على الانزعاج عن الوطن ومهاجرة البلاد التي لا يعدلون بها غيرها . فاخلوا عماطور مسقط رؤوسهم ميممين البكوات بني علي الصغـــير

---

(١) من نماذج ذلك ايام ولاية الامير خليل ابن الامير بشير على الشوف ان فارس مراد العازوري ، وكان متقدماً عند الامير خليل ضبط املاك الشيخ احمد سليمان ابو شقرا في كرخا السفلى (بقسطه) بدون حق وظلت هذه الاملاك مضبوطة الى سنة ١٨٤٣ حتى رفع احمد سليمان في ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٢٥٩ ه ١٨٤٣ عريضة الى مقام المشيرية يطلب بها رفع يد فارس العازوري عن الغلال الى ما بعد المرافعة بالوجه الحقاني . وفي ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٢٥٩ صدر امر المشير برفع يد فارس عن املاك احمد سليمان وباحضاره للمرافعة بمقتضى الشريعة .

اصحـــاب بلاد بشارة فاقاموا في خدمتهم سنين طوالا ولطول تغيبهم اضحت بساتينهم واملاكهم وقد لعبت بها ايدي الفساد وغدت مساكنهم وهي متداعية الى الخراب واعشبت دورهم فاصبحت كالاطلال الدوارس . ولنقف هنا مشيرين الى مقتل جرجس باز وعبد الاحد باز مدبري اولاد الامير يوسف شهاب وسمل عيون الاميرين المطالبين وغيرهم من الامراء المماثلين لها خاتمين كلامنا باشارة لطيفة الى عدله القويم وما كان يسند احكامه عليه من الحق والانصاف لدى قتله او اجلائه من يهيج سخطه او ينال منه كدر

المعنا فيما تقدم عن وضع الامير بشير يداً غاصبة على تركة آل جنبلاط غب مقتـــل الشيخ بشير اما اغتصابه فلم ينحصر باملاك الجنبلاطيين بل تعدى الى املاك آل عماد وآل عبد الملك وآل العيد ايضاً فضمها (١) الى املاكه واستورد غلالها ومحاصيلها مدى عشرين سنة تماماً . أما آل نكد فانه كان قد ضبط املاكهم بادىء ذي بدء وظل متصرفاً بها الى ان جرت المصالحة بينه وبين الشيخين نصيف وحمود عند مجيئهما من الشام وانضمامها اليه في محاربة الشيخ فتخلى لهما عن املاك آبائهما الشاسعة ولكن دون ان يغرم لهما بارة واحدة من اصل ريعها الذي تناوله اكثر من عشرين سنة . غير أنهما لما انضما الى قوات الدولة العلية العثمانية عند مقدم ابراهيم باشا عـاد الامير فضبط املاكهم ثانية . وأما آل تلحوق فقد كانوا من اتباع الامير من البداية الى النهاية ما عدا الشيخ حسين الشهيرفانه كان ميالا للشيخ بشير . وكثيراً ما يحدثني الشيوخ عن حوادث (القصار)قطع اصول الاشجار التي كان يجريها الامير بحق اتباع خصمه عند سورة غضبه فيصدر امره الى قرية المغضوب عليـه بوجوب احتطاب بستان له ليموناً كان أم زيتوناً ام توتا الخ فيحتطبونه الخ الخ . آه .

هذا ما جرى للامير بشير واما ما جرى لابراهيم باشا فانه عندما صدته الدولة عن التمادي في الفتح رجع متأثراًخطواته حتى اذا دخل لبنان ومكث في محلة يقال لها جوزات قطليج بخراج عين زحلته ليرى مـا ينوي الامير بشير فعله فلما توقع للامير بشير ما توقع انتقل ابراهيم باشامن تحت جوزات قطليج الى اراضي معلقة زحلة ضاربا هناك خيامه واقام منتظراً ورودالامر من ابيه فلما بلغه ما قر عليه قرار الدول ورأى انصرام البوسطة المصريةوانقطاع المدد عنه تيقن الاشاعات التي تواترت على السنة الناس فأخلى البلاد الشامية محركا ركابه جهة القطر المصري بطريق صحراء سوريا « الشول » فبلغها سالما في نفر قليل .

المعنا قبلا عن انضمام الشيخ نعمان بن بشير جنبلاط الى الجنود العثمانية غداة مقـــدم

---

(١) وكانوا يسمون ذلك ضبطاً « المؤلف »

ابراهيم باشا المصري اليهـا وقد حذا حذوه في ذلك جلة من سراة الدروز كالشيخ احمد جنبلاط والشيخ خطار عماد والشيخ نصيف نكد والشيخ يوسف عبد الملك والشيخ حسين تلحوق والشيخ فارس العيد والشيخ حمود عطا الله وغيرهم فابلوا بلاء حسناً وكانوا يسمونهم « ضيوف الدولة » غير انـه بعد أن جرت بين ابراهيم باشا والصدر الاعظم فلان باشا (١) واقعة تزّب وكان النصر فيها حليفاً لابراهيم فاخذ الصدر اسيراً وشتت شمل كتائبه ورأى ضيوف الدولة هؤلاء أنفسهم وقد أضحوا دون ملاذ ولا مأوى فضلاً عن كونهم غرباء في بلاد يجهلون ارضها ولا يعرفون لغة اهلها رأوا اخيراً الذهاب الى مصر واصلاح علائقهم مع المالك الجديد محمد علي فاكتروا مركباً فرنسوياً اقلهم من احدى موانىء الاناضول فالقاهم في احد الثغور المصرية فمثلوا بين يدي محمد علي متنصلين مما سبق لهم من القيام ضده مبدين له خضوعهم وطاعتهم . وكان العزيز في اثناء ذلك قد أحس من الأمير بشير بنقض عهد وانقلاب مبدأ فاكرم وفادتهم ومثواهم ومنحهم القاب بكوات معيناً اياهم قائمقامين عسكرية وجعل راتب كل واحد منهم ٣٥٠٠ غرش شهرياً واما نعمان بك فعينه ميرالاي وجعل راتبه اربعة آلاف غرش وطلب اليهم الرجوع الى الشام لمضافرة ابنه في من ينتمي اليهم من الدروز قائلاً لهم « ان الامير بشير اللئيم قد رجع الى خساسة أصله » فاخـذوا يظهرون نخواتهم لديه قائلين عند عينيك ايها الامير عادات مثلنا كسر الخيول وشرب الدما وما أشبه ما عدا نعمان بك جنبلاط فانه بقي صامتاً ولم ينبس ببنت شفة فقال له محمد علي لماذا لاتتكلم يا ابن شيخ الجبل فاجابه نعمان بك علينا ان نخدم وعلى افندينا أن ينظر وافندينا معدن العدل يكافىء كلاً حسب ما يستحقه ويوصل الى كل ذي حق حقه الخ فاعجب الامير برصانته وأخيراً اوفدهم باحـدى السفن الافرنسية الى ثغر يافا فبينما هم متقدمون نحو لبنان اذا بعمارة الدولة العثمانية قد اقبلت مصحوبة بعمارات الدول المتحابة فارسلوا الى صاحبي مصر ولبنان ما ارسلوه من الاخطار كما مرّ على ذلك الكلام . ولما بلغوا صيدا كانت الباخرة التي اقلت الامير بشيراً قد تجاوزت الافق وهي تمخر اثباج اليم .

وقد كان لقدوم عمدة الشوف المذكورين رنة فرح وسرور في جميع انحاء البلاد وفاضت ثغور الشوف بشراً باشراق شموس طلعاتهم ماحية من الغموم والهموم دياجي متلبدة وظلمات حالكة فخفت الدروز لملاقاتهم الى صيدا وهم يهزجون ويترنمون بالاناشيد الحماسية ولا غرو فقد اشتد بهم ازر الطائفة الدرزية وأنست الرعايا الى رعاة طال عنهم غيابهم فعاثت في قطيعهم الذئاب . فركز كل منهم في مركزه مناطة اليه مقاليد مقاطعته فأداروا الشؤون في هيئة حكام

(١) كان القائد التركي الاعلى في موقعة تزب محمد حافظ باشا . وقد خسر المعركة ولكن لم نعلم انه وقع اسيراً وانه كان الصدر الاعظم لعل المؤلف اشتبه بمعركة قونيه تلك التي اسر فيها الصدر الاعظم

مطلقي الحكم نوعاً ولكنهم شاهدوا في احوال البلاد والعباد تغيرات عظيمة وتقلبات ذات بال اذ وجدوا الدروز على شفير الهلاك والاضمحلال وفي حالة من الضعف والهوان لم يصلوا اليها قط منذ وطئوا البلاد الشامية : شاهدوا المنازل والمساكن متداعية متهدمة والاشجار والمغروسات مقطعة محتطبة والاملاك مشفعة مبذرقة ايدي سبا وجدوا البيوت المثرية مستنزفة اموالها بمظالم الامير بشير رازحة تحت اعباء الديون من جراء ضرائبه وانتقاماته رأوا المهابة الدرزية والوقار الذي يجلل كل درزي في الجبل منزوعاً مغتصباً الى غير ذلك من احوال البؤس والشقاء وبعكس ذلك النصارى فقد وجدوهم على خلاف ما يعهدونهم من صفر الايدي وخلو الوفاض والخشوع والاحتشام ولين الكلام شاهدوهم في قعس وخيلاء وعتو وشموخ آناف مرتبطين الجياد الصافنات بعد ارتباط الحمر والابقار وسكناهم العلالي الشاهقة بعد الاكواخ تقبض منهم الكف على نصاب الحسام الصقيل بعد ان كانت لا تعرف مقبضاً غير نصاب المخرز والمطرقة والخلاصة شاهدوا الذليل عزيزاً غاشماً والعزيز معنىً يحرق الأرَّم على ما مضى لهُ من العزة القعساء فلم يغرب عنهم ان هذه الادالة الغريبة والحوالة العجيبة ان هي الا مغبة اضطهاد الامير بشير وحيفه وجوره على هؤلاء وميله الى اولئك حاصراً فيهم جميع الوظائف والمأموريات التي كانت تدر بها المنافع وتستنزف الاموال اذ لم يكن في خيالة الامير وحواليه وبكباشيته وما اشبه درزي واحد بل كلهم من غير الدروز وقد جرَّأهم الامير على الدروز ومد ايديهم اليهم باللطم وما اشبه بما كان يجريه على ايديهم من العذابات الاليمة بحق من لم يكن لهم جرأة على صد امره اذا أمر ومخالفة نهيه اذا نهى . فمن ذلك انه عند اجراء التحقيق والفحص عن احدى الدعاوى واستنطاق امرأة عما تحاول كتمانه او لا علم لها به كان سعادته يخولهم وضع ثدييها بين وجه الصندوق وغطائه فيفعلون ثم يقفون على ظهر الغطاء ضاغطين على ثدييها ضغطاً شديداً يكرهها على كشف ما تستره او تؤدي لهم شهادة زور وبهتان تطابق دعواهم اذا هي كانت جاهلة الامر وكثيراً ما كانت تؤدي مثل هذه المعاملات الجانية بالمراضع والحبالى الى الاغماء عليهن اغماء لا يفقن بعده وقس عليه من ضروب التعذيب التي اورثت النصارى اشراً وتيهاً فجعلوا يحقرون من امر الدروز ما كانوا يعظمونه وانساهم حاضرهم ماضيهم لا سيا عندما اصبحوا يمشون في الارض مرحاً وهم متقلدون بالاسلحة الكريمة التي جلها ابتزوه على سبيل الرشوة او (البلص) الى غير ذلك من الامور التي احزنت ذوي المقاطعات واوغرت منهم الصدور. فجعلوا يعملون في ارجاع القديم الى قدمه ساعين في تعزيز شؤون ابناء طائفتهم واصلاح احوالهم ويصادرون بعض الافراد المسيحيين بالعقارات التي سلبوها بعض الدروز او اكرهوهم

على بيعها بالثمن البخس الى غير ذلك مما شق على النصارى امره وابوا الاستكانة والرضوخ له لقرب عهدهم بالعز والسؤدد ولتيقنهم ان الامير بشير لم يزل في الآستانة العلية ساعيا في سبيل رجوعه اميرا على لبنان . والذي كان يؤنسهم ويحملهم على الاباء والتشبث بالاباطيل في تلك الدعاوى هو مكاتبة الامير ورسالاته غير المنقطعة الى جميع اصحابه المسيحيين التي كان يشدد بها عزائمهم ويحرضهم دائماً على اثارة السواجس لتصبح البلاد من الثورة والهيجان في حالة تقوم شاهداً على ما كان يقوله لوزراء الدولة العلية من ان الراحة لا تستتب في جبل لبنان ومياه السلم لا تعود الى مجاريها الا" بعوده اليه حاكماً وقد جعل فوق ذلك لآمالهم هذه حيوةً بابقائه ثلة من جياده المشهورة في خان الافرنج بصيدا دون ان يأمر ببيعها لمن كان يسومها من وكلائه املاً بمعاودته منها الركوب . اما كتبه والرسالات التي كان يبعث بها الى جبل لبنان فقد كانت كلها تختم بهذه العبارة . (وعن قريب نشاهدكم بخير ان شاءالله) .

ولاية الأمير بشير القاسم

وهو الامير بشير الثالث

لما اخذ الامير اسيراً الى مالطة صدر الامر العالي باناطة احكام جبل لبنان بالامير بشير القاسم الشهابي الذي لقب بعد ذلك بابي طحين لمعاطاته التجارة في هذا الصنف سنة غلاء وقحط حدثت عقيب ولايته وقد اتخذ بعبدا مركزاً لحكومته . اما سيرة هذا الامير فليس فيها ما يؤثر ذكره اذ كان على جانب من ضعف الرأي وسوء العمل ومما يحكى عنه انه كتب ذات يوم الى اصحاب المقاطعات ورؤساء العشائر ان يوافوه الى عيناب بحاشية قليلة ثم وصل نعمان بك جنبلاط في موكب فخيم من خيل ورجل وبعد ذلك اخذت الاعلام تتوافد واقبل اخيراً نصيف بك نكد يحف به موكب فخم جداً فساءت هذا الامير تلك المشاهد ولم يتمالك كتمان كدره وستر بنات صدره حتى بلغت منه الخفة وما جاش في صدره من عوامل الحسد والغيرة ان قال لنعمان بك (ما لهؤلاء المشايخ الكلاب يستحضرون معهم مجريات بنات آوى) فاجابه نعمان بك (لحد الآن لم يتشرفوا بخدمتك حتى يصيروا كلاباً وبنات آوى) قال له الامير اصمت فما هذا الكلام فاستل نعمان بك حسامه قائلا له (بل اصمت انت والا ضربتك ضربة طيرت رأسك الى البحر) فسكت خجلا وقام لساعته فركب وعاد من حيث اتى دون اجراء مخابرة فيما اجتمعوا من اجله : وله من الاعمال والتصرّفات المشبهة ذلك ما لا حاجة الى تبيانه .

وفي ذلك العهد كانت السيدة حبوس الارسلانية حاكمة على مقاطعة الغرب الاقصى معهوداً اليها بالامر بعد وفاة زوجها الامير عباس الارسلاني وكان ما بين الاسرتين الشهابية والارسلانية مخاصمة دائمة ونزاع مستمر على بعض الضياع والدساكر الواقعة على حدود مقاطعتها وقد سلكتا في ذلك على قاعدة من عزّ بزّ ومن غلب سلب اما في ذلك الوقت فقد كانت الضياع المختلف عليها تحت سيطرة الشهابيين فسولت للسيدة حبوس نفسها وما استوسق لها من نفوذ الكلمة ومعاودة العزة الدرزية ان تضع يدها على مزرعة وادي الدلاب المنتزعة من ايدي اسلافها على عهد الامير بشير المالطي فاكبر الامير بشير قاسم ذلك الامر وبلغت منه سورة الغضب ان اكمن للاميرة المذكورة كميناً من جماعته في بعض الطريق فاطلقوا

الرصاص وقتلوها غدراً (١) فكان مقتلها أمراً على الطائفة الدرزية جسيما وخطباً في الوطن فادحاً لحدوثه بصورة غدرية فظيعة ولما كانت رحمها الله من الاميرات الفخيمات المشهورات تفاخر الرجال بسمو المدارك وحسن ادارة الشؤون فضلا عما حلتها به الطبيعة من كرم الاخلاق وحميد المناقب بل كان مقتلها من البواعث الاولية على نفخ ضرم الفتنة في لبنان وحصول المحاربة الاولى بين الدروز والنصارى المسماة بـ « الحركة الاولى »

يخطر لي قبل الخوض في هذا الموضوع والاتيان على تعداد الحركات الشرانية والحروب الاهلية التي حدثت بين اللبنانيين ان احبس القلم هنيهة وافسح مجالاً للرثاء والبكاء على رسوم عزة لبنان وما كان عليه اللبنانيون من قبل من المحبة الوطنية واتحاد الكلمة الاهلية في السراء والضراء وكيف صاروا اليه في تلك المدة التي نحن في صددها من الانشقاق والاختلاف وتنافر القلوب وافتراق الكلمة وقيام قائمة كل طائفة منهم على الاخرى الى غير ذلك من الامور التي ينقبض لها كل قلب لبناني ويخجل منها كل ذي شهامة ومروءة . واعزز علي أن اسرد مثل هذه الحوادث الجهنمية فيتلقاها صبية لبنان وفتيانه ويطالعونها بشوق شأن كل بشري في مطالعة الاخبار الحربية وحوادث الغزو وشن الغارات . غير انها الايام قضت على لبنان ان يكون هذا حديث تاريخه والمؤرخ عليه ان يتحرى الحقائق ويتحدى جادة الصدق في الكلام غير زائغ عنها مع الميل والتغرض الى قومه فينوه بالحسنة لسترغب الناس فيها ويأتي على ذكر السيئة لتبدولهم في قبح منظرها فيكرهونها ويجتنبونها . على ان للبناني اليوم ما يعزيه عما فاته لما قام في انحاء لبنان بعد منحه ذلك النظام السامي من اسباب الحضارة والعمران ورتوع اهليه في بحبوحة الرغد والامان بظل دولتنا العلية ايدها الله اذ عادت مياه السلم والراحة الى مجاريها وغدت علائق الاخاء والولاء مستحكمة بين خاصة الطائفتين وعامة الجماعتين وزالت من القلوب البغضاء وعفت من الصدور رسوم الضغائن والاحقاد والحمد لله اولا وآخراً ...

---

(١) السيدة حبوس ابنة الامير بشير من احفاد الامير جمال الدين ارسلان الذي شهد معركة مرج دابق بين السلطان سليم وقانصوه الغوري.

ولدت بالشويفات سنه ١١٨٢ هـ وقد كانت على جانب من الذكاء وعلو الهمة وكرم اليد والنفس وكانت تجالس الرجال وتسطو عليهم بفصاحتها وقيل انها كانت شديدة النصرة لمن لجأ اليها شديدة الانتقام ممن عاكسها وخاصمها . تزوجت بالامير عباس بن فخر الدين . وفي سنة ١٢٠٨ ولاها الامير بشير مقاطعة الغرب فسلكت في الحكم سلوكاً دل على ذكائها وحذقها . ولما دخل الامير بشير شهاب والشيخ بشير جنبلاط سجن الجزار بعكا ، امدت الامير بشيراً بالمال وسخت بالنفقة على اهل بيته . ولما ولى عبد الله باشا الاميرين الشهابيين حسناً وسلمان على ان يزيدا له في الضريبة على الجبل ، رحلت هي مع الامير بشير والشيخ بشير الى حوران . وقيل انها حاربت البدو هناك لتعديهم على دروز حوران واستظهرت عليهم . ولما اختصم الامير بشير والشيخ بشير وادى خصامهما الى الحرب كانت السيدة حبوس في صف الشيخ بشير .. وقد دفنت في بشامون.. وابناؤها هم الامراء الاربعة: منصور واحمد وحيدر وامين . عن كتاب ذخائر لبنان ص ١٩٦-١٩٧ (بتصرف قليل)

الحركة الأولى

لا تسل عما نال النصارى في جنوب لبنان من الغم والهم والكدر بفصل الامير بشير المالطي عن الاحكام وتغيب شمسه عنهم بل لا تسل عما كان يخالج افئدتهم من التوق والتوجد لعوده اليهم مؤيداً ظافراً ولكم كانوا يرتقبون دنو تلك الساعة بفروغ صبر، وطرب واضطراب عظيمين فلما كرت الايام ومرت الشهور وهي اطول عليهم من الاعوام وطال انتظارهم لقدوم عميد حاميتهم وعمود معزتهم عمدوا الى القاء الفتن والوساوس ودس شوائب العيث في كؤوس الراحة والصفاء اجابة للتعليمات المترادفة اليهم من العيلة الاميرية الشهابية الرازحة تحت اثقال النفي والاسر في الاستانة العلية ولم يكن ليهمهم دون الحصول على تلك الامنية شيء اقتتلت العباد ام خربت البلاد وقد رانت على بصائرهم اغراآت الامير بشير فضلوا الهداية سالكين سبل الغواية وغدوا عند ذلك في انتظام وانفراط واجتماع وافتراق يعقدون المؤامرات ويجرون المخابرات حتى غدوا اخيراً وهم غامسون بالدم ايديهم عامدون على تهييج الخواطر عاقدين على اثارة الحروب الخناصر (ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) واول ضربة ضربوها في اساس بناية هذا المشروع الوبيل هو انتخاب جماعة من الاشقياء وتجريدهم لقطع الطرق على ابناء السبيل من الدروز وفتكهم بمن استطاعوا اليه سبيلاً . فكان محمد بشير الخفاجي من جباع الشوف أحد خولية نعمان بك جنبلاط في غربي البقاع اول فريسة نشبت فيها براثن تلك الشرذمة الغادرة . سفكوا دمه البريء في ثغرة المعاصر (١) ثم قتلوا ايضاً رجلين من دروز الغرب في خلدة وعقيب ذلك حدث ان صائداً بعقلينياً كان قد ابتنى مطعمة يختل الحجال منها فرش فيها حباً وغاب هنيهة ليعود فيظفر بصيده فاتت الحجال تلتقط الحبوب فاسرع الى مطعمته ولما دنا منها اذا بطلقة بندقية قد ثارت على الحجال من صائد درزي انتهز غيبة البعقليني وطمع بصيده فتشاجرا فتغلب الدرزي على النصراني واثخنه جراحاً وفاز بالصيد وحده فاستصرخ النصراني اقرباءه فتراكضوا نحو ذلك الدرزي قصد الايقاع به فاطلع بعض البعقلينيين على الراكضين من اهل الدير نحو خلوات راس النحل فحدثتهم

(١) شعب في جبل لبنان يؤدي من الشوف الى البقاع (المؤلف)

انفسهم بالركض ايضاً استطلاعاً لطلع الأمر فالتقى الفريقان في المحلة المذكورة فاقتتلوا اقتتالاً شديداً ولم ينفصل بعضهم عن بعضهم حتى وصل نصيف بك نكد بنفسه وكفهم عن التشاجر ثم سرب البعقلينين الى حيث اتوا وقفل بالديارنة راجعاً الى الدير وقد كان يسمعهم باذنه يقولون وهم راجعون معه (بدنا نعملها لهم ما عادوا تهددوا بعـــد مجيء شيوخهم) اي لنصلينّ الدروز حرباً تنيخهم في الذل الخ. ولكنه يتظاهر بعدم السمع وقلة الاكتراث .

وعقيب هذه الحادثة أخذ اهالي الدير يراسلون النصارى في الجهات ويوصونهم بالتأهب وادخار الذخائر والجباخانات واعداد المعدات اللازمة للحرب المنتظرة . فجعل اهالي اقليم جزين يتجمعون في كل ليلة الى قريتي جزين وبكاسين شاكي الاسلحة فيقلقون الارض بالاغاني الحماسية واطلاق البارود (العراضات) كأنهم ينذرون دروز الشوف بالويـــل والثبور . فوضع النيحيون صبّارة عند توأمات نيحا حذراً من بغتة هجوم الجزينيين وأتباعهم وهكذا فعل اهل جزين ووضع الباتريون صبارة تجاه بكاسين وبجنين وهكـ[illegible] عل البكاسينيون والبجنينيون فاتفق في احد الايام من سنة ١٢٥٦ هجرية ان تقابل صبارة نيحا وصبـــارة جزين فتقاتلوا فتغلب النيحيون وانكسر نظراؤهم ففروا طالبين النجاة فتبعتهم صبارة نيحا حتى قرية جزين فشدّ عليهم جمهور غفير من أهالي تلك القرية فارجعوهم على الاعقاب ثم جرت مناوشة اخرى بين بعض اهل باتر وبعض اهل بجنين وفي هذه الاثناء جرت ايضاً حادثات عديدة في ثغور المتن اهمها حادثة الزحليين وأهالي كفرسلوان . وفي الشحار حيث تألب اهل معلقة الدامور وهجموا على بعورته وعبيه فاصلتهم دروزهـا ناراً حامية فردّوهم على اعقابهم خاسرين وهكذا جعلت الحوادث تنتشب في كل جهة بعد الاخرى من الجبل حتى عمت جميع انحائه وهذا ما يعبرون عنه بالحركة الاولى . ولنأت على تفصيل ذلك فنقول :

واقعة الدير

شبت الحرب ما بين دروز دير القمر ومسيحييهـا وكان في الدير خمسماية درزي وثلاثة آلاف نصراني واستمر القتال بينهم ثلاثة ايام متوالية وهم داخل البيوت والمنازل يطلقون رصاصهم من المرامي والنوافذ فلم يخسر احد الفريقين قتيلاً ثم وفد عـــلى الدير نجدات من دروز المناصف وبعقلين والعرقوب فاشتد الامر على النصارى وضويقوا غاية المضايقة وخامر قلوبهم الجزع فصرخوا الامان الامان وشفع بهم المطران عبدالله البستـاني لدى نصيف بك والشيخ حمود النكديين فقبلا شفاعته وأمّناهم آمرين الدروز باخماد نار الحرب والكف عن القتال والضرب وقد فقد من المنجدين المشار اليهم اثنا عشر قتيلاً اذ كانوا يهاجمون المتاريس مهاجمة ويحاربون المتوارين في المستحكمات وهم منكشفون في العراء .

واقعة نيحا وجزين

واضطرمت في الوقت نفسه ايضاً ما بين اهالي نيحا واهالي جزين وكان السبب في ذلك ان اهالي نيحا كانوا مسرحين خيولهم في مراعي توأمانهم الخصيبة فعنّ للجزينيين التقلد بعرب البادية في الغزو وشن الغارة فسطوا على تلك الخيول واكتسحوهـا غنيمة باردة . ففزع الرعاة الى نيحا صارخين : الغزاة الغزاة ! فتصاعدت النخوات وتسابقت الشبان في اثر العداة فادركوهم وأصلوهم من الحفاظ المر ناراً شديدة وحمي وطيس الوغى فدارت الدائرة على المعتدين ففروا هاربين وقد خسروا بضعة عشر قتيلاً واسترجع النيحيون سباياهم وآبوا على ظهورها ظافرين والوهاد تدوي صدى حداثهم واغانيهم الحماسية البدوية .

وقائع اهالي الشوف واهالي الاقليم

وغب ذلك خاض الشوفيون والاقليميون في تيار حرب عوان مدى أحد عشر يوماً في كل يوم يشن اهل الشوف على اقليم جزين غارة شعواء فيكتسحون ويبلون البلاء الحسن غير ان النصارى قد اظهروا في هذه الحركة الاولى شجاعة وثباتاً في محاربة الدروز لقرب عهدهم من العز والسؤدد ولفرط ما بايديهم من الاسلحة والذخائر لقاء اخصامهم الدروز الذين كان معظمهم يحملون الى الحرب عصا او فأساً فقط لان اسلحتهم قد نهبها الامير بشير منهم قبل ان تقلص ظله عن الجبل (١) .

وقعة معلقة الدامور او الناعمة

هذه حوادث الشوف والاقليم واما حادثة معلقة الدامور فهي انه بينما كانت شرذمة من شبان الدروز مارة بارض الناعمة تحمل ذخيرة من صيدا التقاهم أهل الناعمة وحاولوا سلب ما معهم من الذخيرة فدافعهم الدروز اشد دفاع فظهروا عليهم والجأوهم الى التقهقر والهرب فاستغاث السلبة باهالي معلقة الدامور فخفوا لاغاثتهم فتقهقرت الشرذمة الدرزية امام جمهور المعلقة الى خلدة ومن هناك استصرخوا اهالي بشامون وعرمون فهب الى نجدتهم من سرعان

---

(١) ورد في كتاب بنى سمرا البكاسيني في ص ١٠ من الفصل الثالث ، الحرب النصرانية الدرزية الاولى ، القتال في باتر ونيحا في ايلول سنة ١٨٤١ . ما يلي : وكان يقود الدروز سعيد بك جنبلاط . وبعد قهره النصارى في جزين وبكاسين ، أمن الناس ووكل في جزين الشيخ ظاهر عثمان ابي شقرا وكيلاً من قبله لجمع سلاح النصارى وارساله الى المختارة وبخلالها امر الاقليم بعدم اشعال النار واضاءة المصابيح ليلا .

القريتين جماعة صدقوا على المعتدين الحملة فمزقوا شملهم كل ممزق والقوا على ذلك الصحصحان بضعة عشر قتيلاً منهم الامير أسعد حمود شهاب الذي كان يومئذ ضيفاً في المعلقة فاغار مع من أغار وسار الى حيث سار . ولما رنحت اعطاف الظافر خمرة الظفر ومالت بهم سكرة الفوز والانتصار عادوا على قرية الناعمة هاجمين فاكتسحوا كل ما فيها من المال ثابتاً ومنقولا ثم أطعموا بيوت الملاكين فيها سعير النار .

وقعة الجرد

واما حادثة الجرد فهي انه بعد ان استسلم اهالي الدير قسراً وجرى لهم ما جرى من المحاصرة العنيفة والمضايقة الكلية تأصلت في قلوبهم جراثيم البغضاء والشحناء وتأججت في صدورهم نيران الحفيظة والحقد على الدروز فكرهوا السلم ومالوا الى الحزب اتباعاً لقاعدة الموت في العز ولا العيش بالذل . فطفقوا ينتشرون في انحاء البلاد زرافات ووحدانا ولا همّ لهم الا تشديد عزائم النصارى وتوصيتهم باعداد المعدات الحربية وتحريضهم على مداومة القتال وشن الغارات وسفك الدماء حتى يأمر الله بالفرج وتضطر الدولة العلية لاعادة الامير بشير المالطي حاكماً على الجبل فصادفت اقوالهم من نصارى الجرد آذاناً صاغية ومدوا اولئك الاغرار بطغيانهم فعموا عن الحق وتجردوا عسكراً عرمرماً هاجمين على مزرعة معصريتي المأهولة من بضعة وعشرين درزياً فاحرقوها بالنار مشردين اهلها نحو بتاثر وفي بتاثر تألف من الدروز شرذمة حملوا على النصارى فبددوا شملهم ومزقوهم كل ممزق مكثرين فيهم القتل والجرح مع انهم كانوا لا يوازون نصف النصارى عدداً .

ثم لمّ النصارى شعثهم وانضمت اليهم في طريق انهزامهم قوات جديـــدة واعتصموا جميعاً في دير سير وشوريت فتبعهم الدروز الى ذلك المعقل المنيع ورموا عليه حصاراً شديداً فلم يمتنع عليهم ولا استطاع المحاصرون فيه ثباتاً اذ اقتحمته الدروز . واخذوه عنوة غانمين كل ما حوى من الذخائر والاسلحة النفيسة والقناطير المقنطرة من البـــارود والرصاص وجدّ النصارى في الهرب الى رشميا معتصمين بجدرانها فتبعتهم الدروز اليها ايضاً . ففتحوها وأحرقوها وشردوهم منها سافكين منهم دماء فعند ذلك استحوذ الرعب على عموم النصارى الجرديين والعراقبة وقذف الروع في افئدتهم لما غدا يحف بهم من الاهوال والمخاطر فلم تعد مآويهم لتُليقهم او ليقر لهم في مواطنهم قرار فانتشروا في الانحاء وتفرقوا في الاصقاع ايدي سبا . اما العراقبة كأهالي عيناده والفريديس والباروك وعين زحلته وكفرنبرخ وغيرها فجدوا الرحيل الى زحلة مستجيرين من بطش الدروز وصولتهم بتلك القصبة العظيمة

واما الجرديون فمنهم من انحدروا الى السواحل البيروتية كأهالي بحمدون وشرتون ومنهم من جاءوا لائذين بدير القمر كأهالي رشميا وعين تراز ومن يجاورهم . وكان المناصفيون قد بلغهم انتصار اخوانهم الجرديين في الحوادث المار ذكرها ورنت في ربوعهم البشائر فمن فريق منهم المسير نحوهم طمعاً في المكاسب والمغانم الجزيلة التي شاع امرهـــا وتناقلت الالسنة ذكرها فلما كانوا في بعض الطريق على مقربة من قرية كفرقطرة اذا بعسكر النصـــارى المكسور في الجرد قد طلعت عليهم اوائـــله فأطل المناصفيون من فوق مرتفع فبدت لهم العساكر المنتشرة في انهزامها في كل فج وكلهم بين وحدان متقطعة وزرافات غير متألفة مغذّ في الهزيمة بمعن نحو دير القمر فقطعوا عليهم طرق النجاة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وآبوا غانمين سلاحاً وعُدداً .

واقعة بعبدا

وحدث عقيب ذلك ان الامير قيس ملحم شهاب صاحب بعبدا والامير سلمان صاحب الحدث والامير فارس سعد وغيرهم من الشهابيين لما رأوا تفاقم الخطب من الدروز وما حلّ بنصارى الجرد والعرقوب من الفشل والبوار ساءهم الامر وحركتهم الغيرة على الانتقام من الدروز وخضد ما استجد لهم من الشوكة والسلطة فأخذوا يؤلبون الفيالق ويحشدون العساكر من السواحل البيروتية ومن جهات بكفيا وبيت شباب وغيرها واستنجدوا ايضاً بأقاربهم ومن ينتمي اليهم من أصحـــاب بلاد كسروان وبلادي جبيل والبترون فمدوهم بالرجال والذخائر تحت قيادة رجل من بكفيا شديد البأس اسمه الشنتيري فاجتمع لديهم في بعبدا وجوارها خمسة عشر الف محـــارب من النصـــارى فعقدوا العزيمة على مهاجمة الشويفات غداة اليوم الثاني من اليوم الذي تـــكاملت جموعهم فيه . وفي اثنـــاء هـــذه الجمهرة ارسل آل ارسلان وآل تلحـــوق يستنجدون بسعيد بك جنبلاط الذي آل اليه امر الشوف وتوابعها بعد اعتزال اخيه نعمان بك عنها ولم يستنجدوا آل عماد وآل نكد لوقوفهم بازاء دير القمر وتوابعها . فخف سعيد بك اليهم بالف ومائتين درزياً من الشوف بين فرسان ومشاة فلمـا بلغ عين عنوب لاقاه الامير محمد القاسم الارسلاني الى ساحة تلك القرية ودعاه لمناولة العشاء والنوم عنده تلك الليلة قائلا له : صابح القوم ولاقاسهم اذ كانت الساعة الثامنة من النهار حينئذ فلما سمع الشوفيون دعوة الامير للبك استشاطوا غيظاً وثارت في رؤوسهم النخوة فكروّا في طريقهم نحو بعبدا غير ملتفتين الى دعوات الداعين خلفهم فوصلوا الى عين بسابا والامراء لم يزالوا يتجملون مع البك في مسألة الدعوة

غير قابلين له عذراً فلما اعياهم الأمر امروا بخيولهم فشد عليها وركبوا مع البك قائلين له من لم يأت معك فاذهب معه وتقدموا معاً الى خان الوروار حيث كانت الحرب مصطلية ما بين عساكر النصارى الكثيفه واهالي الشويفات فاندفع سعيد بك برجاله وانقض على العدى انقضاض الليث الخادر وابدى في هذه الحرب من الشجاعة والفروسية ما لم يسبقه اليه أحد من فرسان الدروز قط فقد اشرع السنان واطلق لجواده العنان واخـــذ يشق الصفوف ويخترق الالوف ويجندل الاقران ويروع الكماة والفرسان ولم يثن عنان حصانه في تلك الهجمة التي اشتهر ذكرها وشاع امرها حتى بلغ سراية الامير قيس ودق بوابتها بعقب رمحه وكانت فرسان الدروز ورجالهم في اثناء ذلك قد انطبقوا على كتائب الاعداء من كل جانب وصدقوا عليهم الكرة بعد الكرة واكثروا فيهم من الصدمات التي ترتج لها الهضب والصعقات التي تصطك منهـــا الركب ونثروا الارض من القتلى بحيث لا يحصى لها عدد فانهزموا شر هزيمة وظلوا كل تلك الليلة مجدين في الهرب هائمين على وجوههم لا يقر لهم قرار وما الافهم ملجأ او مقام حتى لحق بعضهم بالجبال الكسروانية والبعض الآخر بمدينة بيروت وخـــلا الجو للدروز بعد فرار النصارى في هذه الواقعة فغنموا خيولا كريمة وابتزوا اسلحة كثيرة وكسبوا من نفائس الحلى مالا يقاس له ثمن ومع ان النصارى هربوا واخلت رجالهم البلاد تاركين نساءهم واولادهم بين ايدي الدروز دون حامية فلا احد من الدروز تعرض لنصرانية بفاحشة ولا مس طفلا بشيء من المنكر ابداً وهذا امر اشتهر ولم يزل مشتهراً عن الدروز وشرف حروبهم وانتصاراتهم في كل مكان وزمان .

وقعة كفرسلوان والمتين

ثم ان النصارى المتنيين لما بلغهم ما حل بالجيوش الجرارة المتجمهرة في بعبدا من الخيبة والفشل ساورتهم الخيبة والمّ بهم الخوف فاخلوا قراهم اي قرى جورة المتن جالين الى قاطع بكفيا غير ان جلاءهم لم يتم على خير وسلام بل انهم مدوا الى الشر اكفاً اثيمة نافخين عن جمار الهيجاء رماداً كان يعلوها فنارت فثارت فكانوا بها المحترقين وذلك انهم ألقوا النيران في طريقهم في بعض المزارع للدروز ومضوا مسرعين فتبعتهم من سرعان فتية الدروز جماعة اعملوا الحسام في أخرياتهم وعلموا فاعلي الشر وقاصدي البغي اي منقلب ينقلبون امـــا اولئك النصـــارى فلم يقنعوا بما نالهم من الجزاء بل ارسلوا يستصرخون بأهالي زحلة ويكبرون لهم الخطوب الفادحه التي حلت بهم من الدروز فتحرك من الزحالنة جمهور غفير نحو قاطع المتن فالتقاهم المتنيون ودبروا معهم مكيدة يوقعونها بالدروز وذلك انهم يهجمون صبيحة

اليوم التالي على قريتي كفرسلوان والمتين فيقتلون من بها من الدروز ويتلفون بيوتهم حريقاً اما الدروز فرابهم امر النصارى واوجسوا خيفه على القريتين المذكورتين لوقوعها في ثغر البلاد غير بعيد عن زحلة فلما كان الظلام خف الى المتين و كفرسلوان عدد عديد منهم بطريقة سرية فلما هاجمتهم في الصباح جموع النصارى الزحالنة والمتنيين وهم على ثقـــة من الظفر وبلوغ الأرب هبت اليهم الدروز هبة الليوث من العرائن وقاتلوهم مستميتين دون الحفاظ المر فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وهزموهم شر هزيمة فطاروا في القفار وغدا الدروز يجدون في تتبعهم حتى اذا ادخلوهم البلاد الكسروانية رجعوا عنهم ظـــافرين غانمين من السلاح والذخيرة والمال شيئاً كثيراً .

ولما اتصل نبأ هذه الحوادث بالباب العالي صدر الامر الاشرف الى وجيهي باشا والي بيروت يومئذٍ فسيّر عسكراً عثمانياً ووضعه في نقط عديدة من الجبل محافظة على الامن والراحة ومنعاً للحروب وحقناً للدماء فسكنت اذ ذاك المقالات وخمدت نيران الفتن والقلاقل واخلد اللبنانيون الى الراحة والسكينة نوعاً وهذه الواقعة هي آخر وقائع الحركة الاولى بين الدروز والنصارى في جبل لبنان وكانت سنة ١٢٥٦ . (١٨٤٠ — ١٨٤١)

حركة عمر باشا الأرناؤوطي

مضى على لبنان ثمانية اشهر وهو على ما تبين لك من حالة انشقاق عظيم رسخ بين اهليه وعداوة لدّاء تقررت بين طائفتيه فتخيل للدولة العلية اذ ذاك جعله ملكاً محلولا فعهدت بهذه المهمة الى وجيهي باشا والي بيروت وغيره من اركان الدولة الفخام فاستدعى وجيهي باشا سعيد بك جنبلاط ونصيف بك نكد ويوسف بك عبدالملك والشيخ حسين تلحوق فلبوا دعوته يتبعهم جماعة من الاعيان فاعتقلهم في بيروت محتجاً عليهم بحدوث الحوادث اللبنانية ثم انفذ الى لبنان نيفاً والف جندي شاهاني تحت قيادة عمر باشا الارناووطي(١) فركز بهم في بتدين وتسلم مفاتيح السراي التي كانت لم تزل خاوية خالية منذ زايل الامير بشير ربوعها فشرع عمر باشا بتشكيل هيئة حاكمية جديدة ودعا اليه اولا خطار بك علي العماد فاكرم مثواه وجعله كتخدايا عاماً منيطاً به ادارة كافة الشؤون اللبنانية فاستوت في يد خطار بك ازمة الحل والربط والنهي والامر فجعل يعيّن حكاماً وضباطاً ومأمورين في جميع الانحاء ومن جملة من عينهم اسماعيل آغا ورد اقامه مديراً على الشوفين وتوابعها (اي مديرية الجنبلاطيين) فحكم سبعة اشهر حكومة عادلة وجعل معضاد آغا حسن ابا شقرا وباز آغا عبد الصمد ضابطين للمديرية المذكورة وقرب اليه بني حماده فعين احدهم داليباش واناط بهم حكومة اقليم الخروب ولما شاع في البلاد خبر اعتقال سعيد بك ورفاقه اكبر القوم الامر فجعل اصحاب الاقاليم الشاسعة ورؤساء العشائر من الدروز يفدون الى لبنان لاستطلاع طلع الامر وتدبر الوسائل الفعالة للافراج عن المعتقلين (٢) فقدم الشيخ اسماعيل الاطرش من حوران وقدم الشيوخ شبلي وخزاعي ونجم العريان من وادي التيم وحضر معهم اثنان من امراء حاصبيا الشهابيين والشيخ حسن فارس الموالي من آل علي الصغير شيخ بدياس من بلاد بشارة واجتمع الكل في عماطور فبينما هم اذا بمخبر يخبرهم بقدوم عسكر عن طريق صيدا يحمل

---

(١) هو عمر باشا النمساوي

(٢) يلاحظ ان اهالي مقاطعة الشوف رفعوا اذ ذاك عريضة الى عمر باشا يحتجون على حكم اسمعيل ورد ويطلبون الافراج عن سعيد بك جنبلاط وعن شقيقه نعمان بك بدليل ما ورد في رسالة من عمر باشا اليهم .انظر الملحق الثاني رقم — ١ —

مؤناً وذخائر الى عمر باشا فقر رأي الجمهور على انفاذ الشيخ خزاعي العريان في اهل الشوف السويجاني ليكمنوا للعسكر فوق نهر الحمام ويهبوا بهم لاغتنام ما معهم من المال والذخيرة اما بقية المشايخ فتقدموا الى سهل السمقانية بغية قطع المدد من عمر باشا عن العسكر المكمون له فبلغ عمر باشا قدوم جماعة من الدروز عليها رؤوس مختلفة المواطن والمذاهب فساق اليهم عسكراً مختلطاً من الدروز والنصارى فيهم بنو حماده والقائد عليه خطار بك عماد فلما وجد اولئك الشيوخ ان اخصامهم انما هم دروز أبوا القتال والنضال ورجعوا القهقرى دون ابداء مقاتلة تذكر واما الذين توجهوا مع الشيخ خزاعي العريان فعندما بلغهم رجوع الشيوخ من سهل السمقانية فاشلين رجعوا هم ايضاً قبل ان يصل العسكر الى حيث كمنوا له .

وكان للدولة الانكليزية في البلاد السورية وقتئذ قنصل عام اسمه اللورد روز وكان شهماً كريماً فاضلاً محباً بالدروز عموماً وبآل جنبلاط خصوصاً ولكثرة تداخله بالامور السياسية مع الولاة والباشوات وما اشبه اطلق عليه اسم روز بك وصار معروفاً به فمد روز بك الى قضية معتقلي الدروز يداً من المساعدة مظهراً في ذلك همة علية وحكمة باهرة وغيرة وافرة فاخلي سبيل المعتقلين بعد ان اخذت عليهم المواثيق والعهود من وزراء الدولة العلية باداء المطاليب المقترحة عليهم وانفاذ الاوامر الصادرة وقتئذ وعاد كل منهم الى ما كان عليه في مقاطعته من تقلد الاحكام وتولي الامر والنهي . اما اسمعيل اغا ورد فاخلى مكانه جالياً الى دمشق غداة وطأت اقدام سعيد بك اوائل ارض الشوف ومكث في الشام زمناً طويلاً . وبعد ذلك فصل عمر باشا عن لبنان وخلفه مصطفى باشا فاقام خطار عماد على منصبه واكرم مثواه لديه وكان خطار بك بغيضاً لسعيد بك جنبلاط وسياستها على طرفي نقيض فجعل يسعى لدى الباشا المومأ اليه موغراً عليه صدره . فاعد خطار بك لمصطفى باشا ذات يوم وليمة عظيمة دعا اليه جميع اصحاب المقاطعات والوجوه والاعيان فاستتب المجلس على رأس نبع الباروك بالباشا المومأ اليه ومعظم المدعوين واخيراً قدم سعيد بك جنبلاط في موكب حافل وابهة عظيمة ففرسان على نمط واحد فيما انتحوه وارتدوه من الملابس وما تقلدوه من السيوف المسقطة والطبنجات العجمية المفضضة والقرابينات الفارسية المرحلة والبندقيات المجرية المجوهرة وما زينوا خيولهم به من الرشمات الفضية والسروج الشامية الى غير ذلك من ضروب الفخفخة التي كان يعجز عن مثلها كل منافس لسعيد بك في البلاد المشرقية . فلما بدت لخطار بك ركاب خصمه المقبلة همس في اذن الباشا بعض كلمات . فحينما ترجل سعيد بك واتجه نحو الباشا مسلماً عليه ابتدره الباشا بكلمة سفيهة ابتسم لها خطار بك واستشاط سعيد بك

غضباً فاجاب الباشا بصوت عال ما انا هكذا ثلاث مرات وهو يدفع بده اليمنى الى وجه الباشا وركب في الحال راجعاً الى المختارة . وارسل الى روز بك يخبره بما جرى وكان روز بك مصطافاً ببوذان(١) غربي دمشق فشكا الى والي الشام اعتداء مصطفى باشا واخطره بحدوث امور لا تحمد عقباها اذا هو لم يصلح الخلل ويتدارك ذلك الامر وذكره بما تعهد به للبكوات عند اطلاق سبيلهم بعدم مس كرامة احد منهم وضمانته لهم راحتهم وصيانة حقوقهم فكتب والي الشام الى مصطفى باشا يشدد عليه النكير ويظهر له التكدير من سؤ اجرائه وامره بوجوب حضوره للمختارة بنفسه استرضاء لسعيد بك وحسماً لذلك المشكل فصدع الباشا بالامر وغدت ركابه متحركة نحو المختارة . اما سعيدبك فلما رأى طلائع ركبه فوق الجديدة امر رجاله وخدمه بالتربص وعدم الحركة في فناء الدار وظل في مقعده حتى وصل الباشا وخيله الى دار البركة وعند ذلك خرج مرحباً بالزائر الكريم معتذراً له بعدم علمه بقدومه في تلك الساعة ثم ادخله الى احدى القاعات وقال له فليسترح سعادة الباشا فاجابه الباشا كيف ارتاح وخيلي ورجلي خارجاً تحت السحب المنهملة فابتسم البك قائلا ارتح فلا احد خارجاً بل كل قد اوى الى غرفة والخيول ادخلت جميعها الى الاصطبل فاطل الباشا على صحن الدار فوجد الامر على ما وصف له فتعجب وقد بقي مصطفى باشا وحشمه وجميع ارباب المناصب واعوانهم والجموع الغفيرة الذين قدموا معه في هذه الضيافة ثلاثة ايام جرت في خلالها المخابرات بين البك وضيفه وبقية اولياء الامور بشأن الاوامر السلطانية الصادرة بوجوب اجراء النظام العسكري على الدروز واخذ من نصيبه القرعة منهم فتم الاتفاق على تقديم خمسة اشخاص من جميع المقاطعات الدرزية تنفيذاً للامر السلطاني فالذي تقدم باسم الشوف رجل من نيحا وكان مقيماً بعماطور واسمه محمود الكوكاش قبض لعيلته من سعيد بك الفين وخمسماية قرش مثل ثمن عن نفسه وارسلها فدى عن اهالي مديرية الشوف وقس على هذا الرجل الاربعة الباقين ومن ثم ارتفعت عن البلاد الاثقال وقر الاهلون في مواطىء الامن والراحة (٢)

وفي سنة ١٢٥٩ صدر الامير بتنصيب الامير احمد أرسلان قائمقاماً على الدروز وهو اول قائمقام درزي . ادار مهام مأموريته سنتين فقط وآلت بعده الاحكام الى اخيه الامير امين كما سيأتي بيان ذلك

---

(١) لعلها بلودان (٢) يظهر ان بعض اهالي الشوف ومنهم بنو عبد الصمد سآءهم نظام القرعة العسكرية فتمردوا عليه واخلوا اقرانهم يوضح ذلك رسالة بعث بها الفريق محمد رشيد باشا الى الشيخين احمد علي ويوسف جول عبد الصمد انظر الملحق الثاني رقم -٢-

وبعد ذلك جرى تنظيم بالك بمسح البلاد تحت نظارة امين افندي . اماهيئة المساحة فهي انهم كانوا يدخلون القرية او الضيعة ويتجولون في خراجها مناظرين املاكها وعقاراتها فيضعون عليها مالا مربوطاً كخمسة آلاف او اكثر او اقل وهلم جراً غير انه لم يجر بموجبها العمل ولا آلت الى نتيجة .

أما جماعة النصارى فلما رأوا الدروز قد فشلوا في محاربة عمر باشا ولم يظهروا فيها دفاعاً شديداً حدثتهم انفسهم باثارة الحرب والاخذ بالثأر فجعلوا يهجسون ويتداولون سراً في مباشرة هذا الامر وانجازه موصين بعضهم بعضاً بشراء السلاح والذخائر واعداد المعدات الحربية واخذالوجوه منهم يتجولون في الانحاء منبهين غفلة الغافلين ومشددي عزمات الواهين فلم تمض على حركة عمر باشا تسعة اشهر اكملت النصارى فيها معداتهم وانجزوا استعداداتهم حتى هبوا هبة زعماء الثورة عاقدي النية على اصلاء الدروز حرباً تضمن لهم الثأر وتنولهم الأرب . فطفقوا يقطعون على الدروز الطرق ويقتلون من يستفردونه في الامكنة القصوى منهم نافخين في ضرم الفتنة محركين عوامل السجس فاثاروا بافعالهم هذه ما كان قد استكن من خواطر الدروز واضرموها حرباً عواناً تأجج سعيرها واشتد زفيرها وتلبد دخانها وعجاجها فكسيا البلاد اسمالا من الحداد رثة واطماراً من الوبال بالية فتفاقمت الخطوب وعمت الكروب وآل الامر الى الدمار واقواء الديار واليك تفاصيل الحوادث التي كانت تمهيداً لتلك الحرب العوان وقد صدرت من الافراد مقررة من العموم

مسألة أهالي بمهريه

فمن ذلك ان سعيد بك جنبلاط ارسل ذات يوم رجلين من خاصته الى المتن لمصلحة له مع بعض انسبائه آل مزهر (١) مقدمي حمانا هما ظاهر عثمان ابو شقرا واسمعيل عاد عبد الصمد فبينما هما في الطريق المحاذية قرية بمهريه هب عليهم زمرة تقطع الطريق من عائلة ابي ملهم سكان بمهريه فسلبوهما حصانيهما وسلاحهما وابتزوا جميع ما عليهما من الرياش وما معهما من النقود ثم استنبؤهما واستسموهما فاذا احدهما شقراوي والآخر صمدي فذبحوا الصمدي وعفوا عن دم الشقراوي لانتماء عائلتهم الى العائلة الشقراوية في الغرض قائلين له اخبر بكل ما شاهدت وسمعت .

---

(١) انظر الملحق الثاني رقم — ٣ — نظام اقطاعي لبلدة حمانا امضاه الامير بشير ايام المقدم شرف الدين مزهر

مسألة الرزانية

ومنها ان احد دروز دير القمر المدعو علي صالح بينما كان في مزارعه الدلهمية والرزانية ومرج روح الواقعة في شمال اقليم الخروب وسمع بالقلاقل الجارية ولعب يد العيث في الانحاء دعا ولديه حسيناً وبشيراً فجمعوا مواشيهم ووجهوا معهـا بعض الشركاء فلاحي مزارعهم يسوقونها نحو المناصف لترتع في مأمن من غزو الغزاة وشن الغـارات وامتطوا هم خيولهم ميممين دير القمر على طريق الجاهلية وقدامهم ثلاثة نفر دروزاً من فلاحيهم ايضـاً فعند مرورهم بمزرعة الرزانية التقاهم جمهور يناهز الخمسين رجلاً من اهالي الدبية شاكي السلاح وقد كانوا ميممين علي صالح وولديه المذكورين الى الدلهمية قصد الايقاع بهم وبغية اتلاف منازلهم وكسب واغتنام مالهم وسواهم لما كان بين الفريقين من سابق المنازعـات وسوء المجاورة فرشقوهم بوابل من الرصاص فانفذ علي صالح واحداً من رجاله يستصرخ اهالي الجاهليـة واظهر هو والباقون معه دفاعاً شديداً وبسالة تذكر وأشعر الدبيون بانفـاذ علي صالح مستصرخاً الى الجاهلية فحذوا حذوه منفذين منهم من يستصرخ اهالي الدبية جميعاً ومـا جاورها من القرى ايضاً فلم تمض ساعة حتى وصلت النجدتان . ثلاثون رجلاً من الجاهليـة ومائتان وخمسون رجلاً من اهالي الدبية والبرجين وبقعون وعقليه وغيرها فاحتدم القتال وحمي الوطيس ما بين الستة والثلاثين والثلاثمائة في مرج عقليه ولقد كان علي صالح وولداه من الفرسان المشهورين بشدة البأس وحسن الرمي بالرصاص وسرعة حشو البنادق على ظهور الخيل فكانوا يوالون الكرات والهجمات على اخصامهم مجدلين منهم بضعـة نفر في كل حملة يحملونها ولم تكن ساعة حتى أخذ الثلاثمائة في التقهقر ثم انهزموا شر هزيمة تاركين جانباً من خيولهم غنيمة لاخصامهم فجد علي صالح ورفاقه في ملاحقتهم فاجبروهم على الاعتصام وراء جدران مزرعة خربـة اسمها الفسقانية ولكنها لم تكن لتمنعهم او لتصد هجمات مهاجميهم البواسل فاخلوها فارين بطريق الدامور فراراً حثيثاً غير ملتفتين الى الوراء فتقدم الستة والثلاثون الى الدبية فاحرزوا المكاسب والمغانم وانتقلوا الى البرجين لينهبوا بيوت النصارى من سكانها ويحرقوها فاتاهم اهلها المسلمون شافعين بمواطنيهم طالبين اليهم عدم القاء النيران لتلاصق بيوتهم وبيوت المسيحيين فقبل الدروز شفاعتهم اما الشيخ نجم نكد الذي كان يومئذ مقيماً في البرجين يناظر املاكه فقد ركب بشركائه المسيحيين عندما اتاهم المستصرخون ولكنه لم يقاتل علي صالح ورفاقه الدروز كما اتهمه بعض المؤرخين بذلك بهتاناً الا انه توسط في استبقاء اموال شركائه وحقن دمائهم بعد الانكسار وقد انجلت هذه المعركة عن سبعة

عشر قتيلا نصرانياً وعدد عديد من الجرحى اما الدروز فلم يفقد منهم احد قط ما عدا علي صالح فانه اصيب بجرح في يده اليسرى .

مسألة محمود الدغار

ومنها ان بعض دروز عماطور كانوا ابانئذٍ في مزارعهم باقليم التفاح فبلغتهم انباء القيامة القائمة واقتطاع الجزينيين عليهم الطرق العامة فتألبوا من مختلف مزارعهم قصد الاياب الى الوطن في طريق امينة فلم يمروا بالجادة الاصلية المـــارة باقليم بسري خشية وثوب قاطعي الطريق وتعرض المزارعين لهم وابتعاداً عن حدوث ما لا تحمد عقباه في مسيرهم ولذا ساروا في طريق الجسر الاولي جهة اقليم الخروب مارين بزبود فشحيم فغريفة فعماطور وبقي واحد منهم هو طراد عباس ابو شقرا في مزرعته المجيدل لم يغادرها مع من غادر لقضاء حاجة له .
ولما ازمع الشخوص ركب جواده ليلا وسيّر خادمه قدامه ماراً بجادة بسري غير مبالٍ بما يحف به من الاخطار لسوء رأيه ولاعتماده على جودة حصانه وشدة بأسه فلما وصلا الى ساقية بسري ثار عليهما كمين من شباب قتالي ومزرعة المطحنة وغيرهما مطلقين عليهما بنادقهم فقابلهم طراد بالمثل وبعد تبادل الطلقات اصيب حصانه برصاصة في فخذه فافلت من قواه وسرعة حركته ووثوبه فدفعه على النهر (نهر الباروك) خائضاً به العباب الى القاطع الغربي فنجا بنفسه مستأنفاً سيره بطريق الشوف السويجاني واما خادمه واسمه محمود الدغار (من نيحا) فما زال يدافع اولئك الاشقياء دفاعاً شديداً بعصا كان يتوكأ عليها غير حامل غيرها سلاحاً حتى انتهكت قواه واستسلم اخيراً للكثرة فاوثقوه بالحبال ومضوا به الى جزين حيث كان المطران يوسف بو رزق وفي جزين التأم مجلس غير عدلي تحت رئاسة شديد المعوشي طرحت فيه مسألة ذلك الاسير في مجال البحث والمذاكرة فقر القرار اتباعاً لرأي الرئيس بوجوب الرمي به من حالق الى اسفل درك ليكون عبرة لمن اعتبر فنفذ الامر في الحال ورمي بذلك المسكين عن شلال جزين الشاهق الى اسفل الوادي فوقع على تلك الصخور فتحطمت عظامه تحطيماً وسحقت اوصاله سحقاً وترك جسده غذاء لمفترس الطير وضاري الحيوان دون ان يؤذن بمواراته في الثرى لبعض من حاول ذلك من فلاحي الضياع المجاورة .

وانه بعد مضي سنوات قليلة اصيب شديد المعوشي هذا بمرض دموي في رأسه فوصف له طبيبه النزهة في الخلاء وانتشاق النسيم النقي فكان كثيرا ما ينتاب شلال جزين عملا برأي الطبيب فبينا هو ذات يوم يشارف الوهاد والهضاب من علوة ذلك الشلال اذا بنوبة اصابته فوقع مغمياً عليه ولم يكن بجانبه أحد فهوى من حيث كان جالساً فسقط من اعلى الشلال الى

حيث ... فتحطم كما تحطم ذلك البريء الذي أهلك بامره ورأيه . رحم الله الشاعر حيث يقول :

« وما من يد الا يد الله فوقها   وما ظالم الا ويبلى باظلم : »

مسألة الشيخ حمود جنبلاط

ومنها ان الشيخ حمود كايب جنبلاط (عين قنية) كان وقتئذ في مزرعة له تدعى روم من اعمال جزين فبلغت مسامعه المسائل التي جعلت تجري في البلاد مجراها فاخذ يتفكر في مسألة نجاته وادّى يتسنى له التفلت من مركز دائرة لها محيط من الاعداء وجعل يقول لنفسه ان انا مررت بجزين هلكت لا محالة وان انا مررت بطريق أنان يعترضني ثلاث قرى قتالي وانان ومزرعة المطحنة ويصعب علي الركوب والركض في العقبة صبباً فاذا ما عن لشرذمة من اشقيائهم اتباعي ادركوني بدون عناء . وانا ان سرت بطريق الحصية يعترضني الحصية وبتدين اللقش وبكاسين وغير ذلك من القرى ويكون الخطر اعظم . فما الحيلة والعوائق جمة ؟ فارتأى اخيراً ان يسلك اقرب الطرق من الشوف مسافة واكثرها سهلاً واقلها وعراً وهي الطريق الشاقة قرية عازور . فعلا فرسه الصقلاوية التي اشتهرت بجودتها وخفتها وتوجه تواً نحو عازور وقدام فرسه شاب يسير سيراً حثيثاً فدخلا عازور وجازاها مارين بوسطها على حين بغتة من اهلها وعدم ارتقاب مرور الشيخ حمود بتلك الطريق المكتنفة بالخطر فارتفع الصراخ في انحاء عازور : الشيخ حمود . مرّ الشيخ حمود . فتناول نفر من الشبان سلاحهم وتسارعوا متأثرين خطواته ولا همّ لهم الا اعدامه وكسب فرسه وثيابه . اما هو فلما فرغ من السهل واضطر للجري صبباً من حيث اطل على الجوبة وكان ذلك امراً لا يستطيعه ثنى لحجرته العنان وجعل يسير الهوينا متظاهراً للاحقيه بهزئه منهم وعدم مبالاته بهم فما عتموا ان ادركوه في منتصف تلك الشعبة الوعرة فقصد ان يلهيهم بالغنيمة فطرح لهم عن وسطه شال طرما فالتهوا به ريثما ابتعد عنهم رمية السهم فلحقوه ثانية فرمى لهم بالفرو عن كتفيه فتشاغلوا به وتخاصموا على تحقيق من وصل اليه او التقطه منهم اولا ولم ينتصفوا على احراز تلك الغنيمة الثمينة حتى كان الشيخ قد انتهى من الوعر وبلغ السهل فاعمل في جانبي حجرته المهماز ناجياً بنفسه بعد اللتيا والتي .

مسألة عوكر وأهالي الميدان وبتدين اللقش

ومنها انه كان لرجل من عماطور يدعى عوكر دسكرة في مرج بسري وكان مقيماً بها فهجم عليه ذات ليلة زمرة من اشقياء بتدين اللقش والميدان وغيرهما وكان هو ليلتئذٍ غائباً فسرقوا متاعه واستاقوا سوامه واحرقوا دسكرته ومضوا الى غير ذلك من الاعمال والافعال التي نقتصر بما ذكرنا منها عما لم يذكر .

وقعة بيدر الرمل

جرت كل هذه المسائل والدروز ساكنون تتواتر عليهم النصائح والتوصيات من رؤسائهم الروحانيين والجسمانيين أمل فض تلك المشاكل والمعضلات بالذي هو أحسن وبغية ابقاء زلال السلم والامن خلواً من شائبة الكدر والترنيق فساء هذا السكون والسكوت نصارى دير القمر اذ كانوا يترقبون شبوب الهيجاء بفروغ صبر وكانوا قد ظنوا ان الدروز لتقوم قائمتهم وتثور ثائرتهم لاول مسألة اعتدائية افترائية يجريها بهم بعض النصارى فيأخذون خطة الهجوم فلا يبقى على الديارنة الا الدفاع فلما اخفقت في هذه الآونة مساعيهم وخابت آمالهم . عقدوا اجتماعاً عمومياً جعلوا الحرب فيه امراً محتماً لا مناص منه ولا سبيل الى القعود عنه وقرروا باتفاق الآراء وجوب اضرامهم تلك الحرب واتخاذهم في هذه المرة خطة الهجوم لا الدفاع وبناء على ذلك اتفقوا على عشرين من وجوههم يبثون في الانحاء والقرى نافخين للفتنة في ضرم ومستنفرين الى نفس دير القمر جميع الشباب والمقاتلة من نصارى الجهات رجاء ان يحتشد لديهم من القوات ما يستطاع به احراز قصب السبق على الدروز والظفر بهم والاثار منهم فوصل من هؤلاء الدعاة الابرار فريق الى الاقليم الجنوبي فاستنفروا اهالي الرميلة وعلمان وجون والجية والمعنية وغير ذلك وألبوا من تلك الناحية جمهوراً غفيراً قادوه بطريق الدامور فانضم اليهم جانب من اهالي المعلقة وتقدم الجميع نحو الدير فعندما وصلوا الى دميث احدى قرى المناصف القوا النار في مساكنها سالكين طريق السلب والنهب فلما تبين المناصفيون الدخان المتصاعد وتنوروا الوقود المتأججة هرعوا الى اسلحتهم فتألب منهم في كفرحيم نحو ستمائة شاب فانقضوا على العساكر الزاحفة المضاهية الثلاثة آلاف محارب وصدموهم في بيدر الرمل صدمة شديدة حلت منهم القوى وأوهت العزمات ثم دارت عليهم رحى القتال فاكثرت فيهم النوب والاهوال فجعلوا يرجعون القهقرى وهم مع تقهقرهم يتطلبون للنجاة مفراً اذ كانت تلك الواقعة في

مكان وعر كثير المضايق حرج المآزق فلم يتبينوا الا الطريق المؤدية الى مزرعة البقيعة وهي طريق لم يستطع فرسانهم ركوب افراسهم فيها عتاقاً ام هجانـــاً لعدم مهارتهم في فراسة الافراس والثبات على ظهورها في مثل تلك الشعـــاب الوعرة فترجلوا كلهم عن خيولهم تاركيها للدروز غنيمة باردة وكروا متغلغلين في غابة المغيرة تغلغل القطيع ومـــا برحوا جادين في الهرب حتى حصلوا في جزر الدامور وقد تركوا في ساحة القتال ثمانين من القتلى ما عدا الجرحى ولم يقتل من الدروز الا ثلاثة رجال فقط اما الديريون الذين باتوا على انتظار وصول هذا العسكر من الطريق الغربية فلما رن في مسامعهم دوي البنادق ورددت الاودية تجاهيم صدى طلقات البارود تيقنوا حدوث ما كانوا حاسبين لحدوثه الف حساب فخرجوا من القصبة على بة الانحدار الى حيث اشتبكت الجحافل وتصادمت الاقران فلما غدوا على مقربة من الخلوات الواقعة غربي الميدان العتيق والمطلة على بيدر الرمل محل الواقعة شارفوا من هناك الجيوش المتلاطمة فشاهدوا النصـــارى منهزمين والدروز يجدون في لحاقهم فقفلوا الى الدير يحرقون الأرّم مقطوعـــة آمالهم من تلك النجدة العظيمة ووصولها . وقد كان هجس في خواطر الديريين الانصباب على المناصف حينما كان اهلها في مقاتلة هؤلاء الاقليميين فمنعهم من ذلك تأكدهم بقاء حامية شديدة في كل قرية من المناصف وكانت تلك عادة المناصفيين وديدنهم اذا ما زحفوا الى حرب او استصرخوا لنجدة فيتبـادر نصف اهل القرية الى القتال ويبقى النصف الآخر محافظاً على الاموال والعيـال ويتناوب النصفان مـالتي القتال والحرب والحفاظ والذب .

ولما شاعت اخبار هذه الحادثة في انحاء البلاد بلغ الكدر من أنفس النصارى الغـــاية القصوى فجاهروا بالعدوان والشنآن وكاشفوا بما انطوت عليه ضمائرهم من ملل السلم والميل الى الحرب فاضرموا في جبل لبنان حرباً عواناً يعبر عنها بالحركة الثانية .

الحركة الثانية

١٢٥٨ موافق ١٨٤٢

ان الحركة الثانية (١) لأشد هولاً وأفدح امراً من الحركة الاولى لانها بنيت على اسس توطدت لها ورتبت على قواعد جرى العمل بموجبها وقبل ان تجري المباشرة في ايقاد جمارها كان كل نصارى البلاد السورية على استعداد لها وعلم بساعة حدوثها التي جرت عليها الموافقة العمومية السرية مدخلة في السر الاعترافي على يد الرؤساء الروحيين كيلا يباح بها ولا يتجاوز علمها الى احد من سائر الطوائف الاسلامية وبناء على ذلك رأينا النصارى في هذه المرة ايضاً هم المفترون والمتجاوزون الحدود هجوماً ولكن اي هجوم هجوم على كافة الثغور الدرزية من الجهات الاربع في يوم واحد وساعة واحدة واليك بيان الوقائع مفصلة واقعة واقعة .

الحركة الثانية في الشوف

لما تمّ تعيين القادة وغمست الايدي بالدم وتفهم القرار الاتفاقي لكل زعيم وكل اليه تكتيب الكتائب والزحف بها على ثغر مقرر تفرّق القادة كلٌّ الى ناحيته يستنفر منها المقاتلة ويقضي المهم الموكول اليه فألف يوسف بك المبيض من اقليم التفاح الفي مقاتل وجاء بهم نحو الشوف الحيتي عن طريق مرج بسري وانما كان قاصداً عماطور . وأتى يوسف الشنتيري الى البقاع الغربي فجمع من اهالي صغبين وعين زبدة وخربة قنفار عسكراً وقصد بهم الشوف الحيتي أيضاً من ثغرة معاصره منقضاً على ثغرة مرستي فالحريبة وصعد ابو سمرا البكاسيني جهة مشغرة وألّب فيلقاً جسيمة من اهليها واهالي عيتانيت والقرعون وكفرحونة ثم عبر من هنالك الى مرجعيون فضم الى جموعه ما يضاهيها عدداً من اهالي الجديدة والقليعة وخربة مرجعيون ويمم بذلك العسكر الجسيم الشوف الحيتي ايضاً من ثغر جباعه . وجيش

---

(١) يجعل بعضهم هذه الحركة في سنة ١٨٤٥

المطران يوسف ابو رزق من اهالي جزين ونصارى جبل الريحان وبــلاد الشقيف كالنبطية والحمرا والكفور معها انضم اليه من سكان قضاء مرجعيون ايضاً جيشاً ضخماً تقدم فيه نحو الشوف الحيتي ايضاً من ثغر نيحا بطريق توأماتها . وجمع الامير حسن اسعد شهاب من اهالي الاقليم الاسفل كقيتولي وروم وعازور والغبطية والحصية عسكراً عرمرماً الى قرية بكاسين وسار به من تلك القرية فانضم اليه اهلها واهالي عريه وبجنين وما جاورهـا وتقدم بهم الى الى الشوف الحيتي ايضاً من ثغر باتر وكان الاتفاق بين هــؤلاء القادة الخمسة انهم يخربون ويحرقون الثغور التي قدموا عليها في ساعة واحدة من صباح يوم سبت بعينه من شهر نيسان سنة ١٨٤٢ موافق شهر ربيع سنة ١٢٥٨ ثم يتقدمون الى عماطور فيتم اجتماعهم في ذلك المكان الواقع في منتصف الشوف .

هذا في الشوف وهكذا في الغرب والجرد والمتن وغيرها فانه في نفس الساعة المعينة كانت عساكر النصارى الغفيرة المتألبة من سواحل بيروت محاذية جدران الشويفات تطلق عـلى دروزها الوابل بعد الوابل من الرصاص وكان نصارى الجرد المتألبون في عــين تراز ثم في رويسة النعمان من اهالي رشميا وعين تراز وشرتون وبحمدون وسلفايا ورمحالا وبجدل المعوش وما يتبعها من القرى يهاجمون دروز الجرد في نفس الساعة المذكورة وهكذا قل عن المتن التي دهمتها العساكر النصرانية المتجمهرة من انحاء برمانا وحمانا وعين سعادة وغيرها في تلك الساعة نفسها .

هكذا جرى هذا الاتفاق العجيب أملاً ان تكون آخر المرات على الطائفة الدرزية يتم بها اضمحلالها وفناؤها وتستأصل شأفتها فلا يبقون احداً من الدروز حياً قط .

ولنعد الآن الى سرد الحوادث وما توقع لكل عسكر من العساكر المهاجمة لكل ثغر وناحية على حين بغتة من الدروز .

اما يوسف المبيض فوصل بعسكره الى محلة البلّيط (١) ورابط على مقربة من ملتقى النهرين هناك واما الأمير حسن اسعد فلدى اندفاعه على باثوهب الباثريون الى دفاعه مستغيثين باهالي عماطور وحارة جندل فتسارع اليهم من العماطرة والجنادلة جماعــة شددت أزرهم وخولتهم الانتصار على جموع الامير الكثيرة فتقهقر الاقليميون الى مزرعة خفيشة منثورة منهم الهلكى في هاتيك الفجاج واما المطران يوسف بورزق فقد احاط بنيحا بخيله ورجـله وبادر بيوتها بالحريق فلم يشعر النيحيون الا والدخان الكثيف يتصاعد في الجو من حارة بني

(١) مكان في خراج عماطور جنوبي القرية على طريق مرج بسري

قيس . فلم تكن ساعة تمكنوا فيها من مناولة اسلحتهم وامتطاء خيولهم حتى غصت شوارع القرية وازقتها برجـال المطران فاحتـدمت الحرب واشتد الطعن والضرب وضاقت الازقـة والمسالك بما تطرح فيها من جثث المهاجمين فلمـا رأى المطران كـثرة القتلى في عسكره امر بانطباق اجنحة عساكره على المدافعين من كل جهة فهال النيحيين كثرة العدد وخامرهم اليأس من التغلب على ثمانية آلاف مقاتل وهم لايناهزون الثلاثمائة فانسحبوا اخيراً عن القرية تاركين ألسنة اللهيب تدمدم في ابنيتها وانحدروا من هناك الى باتر فتبعهم المطران الى باتر فبلغها في حين كان عسكر الامير حسن اسعد مكسوراً امام النجدة العماطورية الى خفيشة وكانت باتر ساعتئذ خلواً من الحامية فالقى فيها النيران وجعلها طعمة للهب فحانت من الباتريين ورفاقهم التفاتة الى الوراء فما راعهم الا مرأى الدخان المتصاعد من القرية والعساكر المتساقطة من ذلك الجبل كالجراد المنتشر فاستحال عليهم الوقوف بين نارين والثبات في وسط معسكرين واعياهم ايضاً الرجوع الى القرية والذب والذود على الحياض فهبطوا من موقفهم على محلة باتر العتيقة وقطعوا من هناك النهر الى محلة قبو البحاصيص ولما تقدموا الى محلة جبلين بدت لهم النيران المتأججة في حارة بني جودية بقرية حارة جندل وعساكر ابي سمرا البكاسيني المتجاوزة الالفين وخمسمائة مقاتل منصبة على تلك القرية الصغيرة اما ابو سمرا فقد هاجم قرية جباع غير المتجاوزة المئة محارباً فأبـدى الجباعيون من البسالة والشجاعة في دفاعه ما هو مشهور عنهم ولكنهم عندما فرغت ذخائرهم وتكاثرت عليهم الاقران انسحبوا عن القرية منهزمين فرماها ابو سمرا بالنيران المحرقة ثم تقدم في عسكره الى بعذران فالتقى هناك بالشنتيري الذي كان قد هجم على مرستي بغتة فشتت شمل اهلها وغادر ابنيتها اثراً بعد عين وحينما اتحد العسكران في بعذران حملوا على من بها من الدروز فبددوا شملهم وتركوا بيوتهم رمماً ونزلا من بعذران على حارة جندل بطريق العين الصيفية فالقيا النار في منازل بني جوديه وهي النار التي بدت للعماطرة ورفاقهم في جبلين وما اكملت النار التهام حارة جندل حتى التأمت العساكر الاربعة في خراج تلك القرية واصبح المطران ابو رزق القائد العام على نيف وعشرين الف مقاتل وعندما عنت لهم تلك الجماعة القادمة الى جبلين وهم يحاولون ان يهتدوا من النجاة الى الشوف سبيلاً امر المطران بالفين من رجاله يقطعون عليهم سليخ الزاروب وقـد كانت من العماطوريين فئة انتحت الطريق العامة وجعلوا يتقهقرون امام عساكر المطران والامير حسن شيئاً فشيئاً وكل هنيهة يردون على القفا ويحسنون الكر والاطلاق قصد اعاقة تلك الجماهير وتأخير وصولها الى الشوف ريثما يتسنى للشوفيين التأهب والاستعداد للدفاع وابعاد النساء والاولاد الى

المحلات الخالية من الحرب وما اشبه وما انفكت هـذه الفئة تطارد العساكر النصرانية الكثيفة ويطاردونها وتجبرهم على الهويناء والسير البطيء حتى محلة الدلاغين حيث ولوا الادبار ونجوا الى عماطور سالمين . واما الباقون الذين توغلوا تحت قيادة علي بك حماده في متابعة عسكر الامير حسن اسعد عند انكساره الى خفيشة فقد انقطعت عليهم الطريق قبل ان يتسنى لهم التملص والنجاة فتقدموا من جبلين الى سليخ الزاروب حيث يعهد العماطوريون معبراً في الصخر الرفيع المشرف على الوادي فعبروا منه وتبطنوا الوادي صاعدين حتى شالوف عين قنية

واما علي بك حماده فلما ضايقته الاعداء أبت نفسه ان يترك جواده غنيمة (قليعة) للنصارى وينجو بنفسه من المعبر بل أشرف بالجواد على شفير ذلك الصخر العالي واعمل في جانبيه المهماز فقفز به من حالق فتلقته دكة في الصخر انكسرت عليها رجله وتحطم حصانه فربض في مكانه لا يستطيع حراكاً حتى اليوم الثاني حيث علم به اهله فجاءوا اليه ونقلوه الى بعقلين(١) ثم ان العساكر الجرارة تقدمت من اراضي حارة جندل الى عماطور فحرقت منها خمسة بيوت فاذا بسعيد بك حمادي مقبل في بضعة نفر من بعقلين انضمت اليهم الجماعة التي صعدت من الوادي الى شالوف عين قنية ومن بقي في عماطور من الحامية فبلغوا سبعمائة مقاتل فحملوا على الجيوش المهاجمة وثبتوا في مواقف الدفاع الشديدة ساعات من النهار وقد ثارت النخوة في رأس سعيد بك حمادي المذكور فاقتحم معسكر النصارى حتى اذا وصل الى نبعة الحمام اصيب برصاصة من العسكر الذي احتل الحارة الوسطى فكانت هي القاضية فحمله البعقلينيون ورجع جميعهم بجثته الى بلادتهم وفي اثناء ذلك كله كان سعيد بك جنبلاط قد كاتب عبدالسلام بك القائد العثماني الموجود يومئذ في بتدين وخابره في شأن اطفاء نيران الحرب وردع المهاجمين عن الشوف فانفذ القائد المذكور اليه مائة وستين جندياً عثمانياً واكلا اليه امر قيادتهم بعد ان دفع سعيد بك له اربعين الف غرش من جيبه الخاص فركب سعيد بك بذلك البلك النظامي الى عماطور صاعداً بطريق بعذران فلما اشرف على عماطور وجميع اراضي الشوفين من محلة المعابير معرضاً بالجنود فوق تلك الربى المرتفعة وجد الدروز قد لموا شعثهم على شالوف عين قنية وتقدموا هاجمين على عساكر النصارى الزاحفة على عماطور فامر بالابواق فنفخت وبالطبول فقرعت فدوت الوهاد والهضاب بالصدى وكان لمرأى الجند

---

(١) رآه من قاطع مزرعة الشوف المقابل رجل نصراني من المزرعة نفسها وقيل انه استدل عليه بلمعان سيفه في الشمس فعمل على انقاذه وأعلم اهله فجاءوا وأخذوه الى بعقلين وقد ظل ذلك الرجل النصراني يتناول معاشاً سنوياً من علي بك حتى مات .

الشاهاني روعة في قلوب عساكر النصارى الجسيمة وحين رأوه قادماً عليهم خارت منهم العزائم وانحلت القوى فجعلوا ينفرون ويتشتتون قبل ان يصل اليهم ثم انهزموا شر هزيمة تاركين منهم خمسة قتلى في ساحة عماطور اما العسكر البقاعي فاخذ بهربه جهة البقاع صاعداً على طريق بعذران فالتقوا بسعيد بك فوق عماطور فالقوا القبض على اربعين رجلا منهم كانوا في مقدمة الجمهور لكونهم اسرعه ركضاً فلما شاهد المتأخرون ماحل برفاقهم توغلوا في الحرش المشارف عماطور صاعدين منه الى اراضي بعذران فالجبل فالبقاع وهكذا بقية العساكر فكل طار الى ناحيته غير ملتفت الى الوراء واما الجنود المئة والستون فلما رأوا ان الامر قد قضي ودنت الشمس من الطفل استأذنوا من سعيدبك بالانصراف آخذين الاربعين بقاعياً مكتوفين الى بتدين .

وفي صباح اليوم الثاني (اي الاحد) اجتمع الدروز دروز الشوفين فصعدت سرية منهم الى بعذران لاذلال بني القهوجي ومن معهم من النصارى المحاصرين في سراي آل جنبلاط هناك فضيقوا عليهم الحصار حتى صرخوا الامان الامان غير انهم لم يسلموا الا على يد يوسف جمول عبد الصمد وجيه عائلته غير ان اهالي عينبال وكان لهم ثار عند بني القهوجي وهو قتلهم رجلاً اسمه امين حمود فلما فتحت ابواب السراي انقضوا عليهم وحذا حذوهم بضعة نفر من ذوي الضغائن والاحقاد على القهوجيين فذبحوا منهم اربعين رجلا

وتوجه الباقون الى اقليم جزين تتبعاً لعساكر النصارى المنهزمة فادركوهم في بعض الطريق فارتد النصارى عليهم وحمي بين الفريقين وطيس الحرب فدارت الدائرة على النصارى لان دروز الشوف بعد الفجعة التي حلت بهم يوم السبت كرهوا الحياة وعافوا البقاء فاصبحوا يظهرون من ضروب الشجاعة وشدة البأس ما لا يفي بوصفه القلم فكنت تراهم يصرخون الموت او الظفر وهم منقضون على العداة انقضاض الصواعق شاهرون بايديهم السيوف او البطقانات او الخناجر هازئين بالرصاص المنطلق وناره الآكلة ولذا منحوا اكتافهم وأبلوا فيهم احسن البلاء فاركن النصارى الى الفرار فتبعتهم الدروز ولما وصلوا الى عين الثغرة الواقعة فوق جزين عند مطل قيتولي عثروا على الامير حسن اسعد شهاب فذبحوه وكسب حصانه رجل نيحوي ثم عمدوا الى عسكره فافنوا منه جانباً عظيماً واما يوسف المبيض ومن معه من العساكر فقد جدوا ايضاً في الهرب يصحبهم ابو سمرا البكاسيني فدخلوا متوغلين في احراش الصنوبر الكثيفة المشارفة قيتولي وريحات ولم يقر لهم قرار حتى بلغوا برته من اقليم التفاح وطاروا منها الى صيدا .

واما عسكر المطران يوسف ابو رزق الذي اتخذ في هربه طريق مزرعة جبل طوره فقد

بقي معملا في الهزيمة حتى بلغ جباع الحلاوة فالنبطية وهناك التجأ المطران بحسين بك الأمين ضامناً له مبلغاً وفيراً من النقود فاصحبه البك المحرر بكوكبة من خيله اوصلته الى مدينة صور بطريقة مأمونة .

الحركة الثانية في الغرب

هذا ما جرى في ناحية الشوف واما ما جرى في ناحية الغرب فان النصارى المتجمعين من السواحل البيروتية قد دهموا الشويفات في نفس الساعة المضروبة من يوم السبت المعين واخذوا في اطلاق الرصاص على الدروز على حين غفلة منهم فانفشلوا في بادىء الامر حتى اذا وافتهم النجدات من القرى المجاورة فصدقوا الحملة وهجموا على العداة يتقدمهم الاميران الارسلانيان امين واحمد المشهوران بشدة البأس فظهروا عليهم . ودارت على الباغين الدوائر ففروا هاربين نحو حارة حريك وبرج البراجنة والدروز في أثرهم ولم يردهم عنهم الا انسدال استار الظلماء وما الم بهم من الظمأ في تلك الرمال الحارة اما متاولة البرج فلما اخلى مواطنوهم النصارى بيوتهم اعملوا فيها ايدي النهب والسلب ثم القوا في اكواخهم لدود القز النيران فاتلفوها جميعاً .

الحركة الثانية في الشحار

واما ما جرى في الشحار فانه في نفس الساعة المتفق عليها باغت نصارى الدامور وما جاورها من القرى دروز عبيه فتقهقر الدروز امامهم لاول وهلة الا ان مشايخهم النكديين المشهود لهم بشدة البأس وصعوبة المراس لموا شعثهم بعد ان استنفروا دروز البنيه وكفرمتى وغيرهم وأغاروا بهم على الغزاة فردوهم على الاعقاب ثم اطبقوا عليهم فضيقوا عليهم سبل الهرب والنجاة فألجأوهم الى التزام بنايات الامراء المعنيين (١) والتحرز بها فاحاطت الدروز بتلك القصور الشواهق احاطة الاسورة بالمعاصم وطفقوا يثيرون من البارود بروقاً لوامع يطلقون من البنادق رعوداً قواصف انهلعت لها قلوب المحاصرين وتفتحت بها ابواب معتصماتهم المنيعة فاخذتها الدروز عنوة واقتحموا داخل تلك القصور وفتكوا باولئك المحاصرين جميعاً .

---

١) لعل هؤلاء الامراء هم التنوخيون

الحركة الثانية في الغرب الاعلى

واما ما جرى في الغرب الاعلى فانه في الساعة التي تقررت عليها الموافقة هاجم الامير قيس ملحم شهاب ومعه ثلاثة آلاف مقاتل والامير سلمان شهاب والامير فارس سعد شهاب ومعها الف وخمسماية مقاتل دروز عاليه بغتة فما احس العاليهيون الا والرصاص يخرق حيطان بيوتهم منصباً عليهم من كل جانب انصباب السحب الهواطل فاخلوا القرية فالتهى النصارى بحريق منازلهم وكسب اموالهم وسلعهم ريثما وافت عاليه النجدات من القرى المجاورة لها فتجمع من الدروز كتيبة تناهز الف ومايتي مقاتل فصدقوا الكرة على الاعداء وصدموهم فتضعضعت قوات الامراء وكثر في معسكرهم القتل والجرح ورأوا انفسهم محدقين بخطر القتل والقتل طعام تمجه الانفس فاركنوا الى الفرار وهم القادة وقد فعلوا ما فعلوا فماذا يفعل الجنود وخلاصة القول ان ذلك العسكر المؤلف من ثلاثة آلاف وخمسماية محارب لم يثبت في وجه الالف والمايتي محارب ساعة من الزمن حتى قتل منه ستماية محارب ما عدا الجرحى وطار الباقون في البيداء وتشردوا في الاودية والوهاد واختبأ بعض من انتهكت قواهم واشتد عليهم اللغب في قرية وادي شحرور لكنهم لما احسوا باقبال الدروز على تلك القرية خفوا الى الهزيمة مستأنفين الركض فما قرّ لهم قرار حتى دخلوا مدينة بيروت ورتعوا وراء أسوارها وهم على حياتهم آمنون .

الحركة الثانية في المتن

واما ماجرى في المتن فانه في الساعة التي ضربت ميعاداً لاصلاء نار الحرب اطبقت جموع النصارى المتجمهرة من جهات بكفيا وبيت شباب والشوير وجهات حمانا وبرمانا وبيت مري وعين سعادة وخلافها على الدروز بغتة فاندهش الدروز في بادىء الامر وتقهقروا امام الغزاة الكثيري العدد فاعمل النصارى مواد الحرق في البيوت والمنازل سالكين سبل السلب والنهب وقد كان يوم السبت هذا يوماً على دروز المتن مشؤوماً لما نابهم فيه من النكبات ومباغتة الغزاة اما في اليوم الثاني وقد انجدهم الشيخ حسن محمود تلحوق بفريق من شباب عاليه الشجعان ووافاهم الشيخ يوسف عبد الملك بنجدة قوية من الجرديين البواسل فاشتد أزرهم وهجموا على النصارى المتجمعين في الشبانية وحمانا ورأس الحرف فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ومنحوا اكتافهم فألجأوهم الى الهرب ففر النصارى أمامهم وجمل الدروز يتبعونهم من قرية

الى أخرى وكلما غادروا قرية غادروها مأكلا للنار واللهب وعاد الدروز ظافرين غانمين من اموال النصارى مالا تحصى له قيمة بعد استرداد اموالهم المسلوبة بالأمس وقد احرق في هذه هذه الواقعة دير الكحلونية وقتل جانب عظيم من رهبانه الذين جعلوا ذلك الدير كمعقل للمحاربين من ابناء جنسهم فرمى الدروز عليه الحصار وأخذوه عنوة وانجلت هذه المعارك المتنية عن اربعمائة قتيل من النصارى وعشرين قتيلاً من الدروز . آه .

اما حرم الدروز وعيالهم عند حلول الكسرة بأهل الثغور التي هوجمت في يوم السبت المذكور فكان الرجال يبعثون بها الى القرى الداخلية التي لا حرب فيها ولا تبرح الحامية في مواقف الدفاع الشديد حتى يتيقنوا من وصول عيالهم الى دار الأمن وربما بعث بالعيال من قرية الى اخرى فالى أخرى بحيث مرت تلك الوقائع كلها وانقضت المحاربات برمتها ولم تمس درزية بشين ولا طيل طفل بضرر . واما عندما انقلبت كفة ميزان الغلبة واستوت القوة والانتصارات بأيدي الدروز في جميع الانحاء والثغور واركن الغزاة الى الهزيمة والهرب نحو الديار السحيقة تاركين نساءهم واولادهم بين ايدي اخصامهم دون حام ولا مدافع فقد ظهر من الدروز من الشرف والشهامة وكرم الاخلاق ما يسطر لهم بماء الذهب على صفحات التاريخ كيف لا والعفة عند المقدرة . كانت النصرانيات بين خرائد وآنسات يلذن بالدرزي فيقيهن كل غائلة دون ان يمس احداهن بما يتخدش به وجه الانسانية وعندما كان الدروز يلقون المشاعيل في بيوت النصارى فما كانوا يحرقون الا البيت الخلو من الناس واما ما كان مأهولاً بالنساء المتجمعات فكانوا يعفونه من الحريق ويحمونه ممن يحاول اليه دخولا اذ النصرانيات في القرى كن عند انهزام رجالهن يتجمعن عشرات عشرات حاملات اولادهن وقد كن يحملن الى تلك المجامع النفيس من حليهن ومتاع بيوتهن فيسلمن ويقين جميع ما حملنه من ضنائنهن من اولي السلب والاكتساب ويسلم بيت أوين اليه فازعات. وقد يتفق وجدان امرأة واحدة في بيت ما فتطرد منه الى حيث فزعت زميلاتها ليحرق ذلك البيت بالنار. وقد طالما خُبِّرت عن رجال كرام من عقال الدروز كانوا يجدون اطفالا وغلماناً متروكين في الازقة من امهاتهم للهول المفاجىء والخوف الطارىء فيحملونهم او يأخذون بأيديهم الى مجتمعات النساء حذراً عليهم من وطء الخيول المغيرة او المام النيران المتسعرة وقد اتفق لرجل من عماطور انه رأى احد البيوت قد امتدت اليه السنة اللهيب من بيت ملاصق له فالتهبت جوانبه التهاباً شددته نافخات الرياح زفيراً فحانت منه التفاتة الى طفل يصرخ في مهد قد احاطت به النيران فاصبح على وشك الاحتراق فحرك صراخ الطفل منه عوامل غيرة بشرية وحماسة درزية فرمى بنفسه على الجمار المتوقدة مقتحماً غمرات اللهب

المتأججة واختطف ذلك المهد اختطاف النسر فالقاه خارجاً وانتزع الطفل منه حاملاً اياه الى حيث النساء المتجمعات .

وعقيب ذلك ركب سعيد بك جنبلاط الى البقاع الغربي بعسكر من اهل الشوف لا اهل المتن كما قال بعض المؤرخين خطأ فحرق قرى تلك الناحية التي اهمل اهاليها الحفاظ والذود عن حياضهم نافرين عنها الى الناحية الشرقية لفرط ما استولى عليهم من الخوف وخور العزائم وغنمت عساكر البك من نفائس المنقول شيئاً كثيراً . ثم تحركت ركابه من سهل البقاع الى جبل الريحان حالاً في كفرحونة حيث اخذ يكتب الى النصارى ويسترجعهم الى مواطنهم (لأن معظم جبل الريحان وبقية الانحاء المؤلف منها اليوم اقليم جزين كانت ملكاً لسعيد بك فسكان مزارعها مزارعون له او شركاء بالعمولة عنده) بعد ان مهد لهم سبيل الامن والطمأنينة ثم جعل يتنقل من محل الى آخر في الاقليم واضعاً في كل قرية او ضيعة حامية من شبان الدروز تحظر الاعتداء وتحافظ على المزروعات والمواسم والغلال فالفلاحون من مزارعين أو شركاء عمولة ثابوا شاكرين لسيدهم مادين لاملاكه ايدي الشغل والعمولة واما اصحاب البيوتات منهم كيوسف المبيض ومنصور المعوشي وحبيب نصيف الجزيني (كلاهما جزيني) وحبيب جبر بوعنمة (مشموشة) وبعض الوجوه من غربي البقاع فقد انقلبوا بعد مفرهم الى بيروت وطفقوا يرفعون شكاويهم على سعيد بك صاحب مقاطعتهم واتى بيروت هكذا وجوه بقية النصارى من العرقوب والجرد والغرب ودير القمر والمتن رافعين الشكاوي كل على سيده صاحب المقاطعة التي ينتمي اليها

الحركة الثانية في زحلة

غب ان جرى في انحاء جبل الشوف ما جرى من قيام قائمة النصارى على الدروز واضرامهم نيران الحرب في جميع الثغور في ساعة واحدة من يوم واحد وانتصار النصارى في اول النهار ثم انكسارهم وانتصار الدروز في عصر ذلك النهار او في اليوم الثاني تفرق النصارى ايدي سبا جالين عن البلاد الا من استجار منهم ببعض زعماء الدروز او نال حماية من جرات(١) عيالهم وما اشبه .

وان وفوداً كثيرة من المسيحيين وجلهم من اهالي العرقوب قد أووا ابائذ الى زحلة لائذين بابناء جلدتهم الذين يعمرون تلك المدينة اللبنانية فلما انتهى الدروز من أمر فل شبابهم

(١) انظر الملحق الثاني رقم -٤-

وكبح جماحهم في سائر الجهات عن لهم التطرق الى زحلة ايضاً . وكان زعيم هذا المشروع نصيف بك نكد فألب نحو الف وخمسماية مقاتل من الدروز وسار بهم نحو زحلة يحاول فتحها فلما بلغ الزحليين نبا الغزوة العتيدة اكبروا الامر وقاموا له وقعدوا وغدوا يتدبرون ما يقيهم شر ذلك الخطب الطارئ بما استطاعوا اليه من الوسائل سبيلا . فوجهوا كبارهم واعيانهم الى الاميرين خنجر الحرفوش ومحمد الحرفوش حكام البلاد البعلبكية يستغيثون بهم وقد حملوا اليهم الهدايا النفيسة والاموال الوفيرة فانجداهم بسبعماية من المتاولة

اما نصيف بك فلدى اول مناوشة حصلت بين طلائع عسكره والزحليين ورد عليه كتاب من سعيد بك جنبلاط مبني عن امر روز بك الانكليزي يقضي عليه بوجوب رجوعه حالا حاظراً عليه محاربة الزحليين ولا سيما حريق شيء من مبانيهم فعظم على نصيف بك امر الرجوع دون ادراك الوطر الذي جاء من اجله او احراز الفوز ولو في غارة واحدة يشنها على زحلة فأبى الرجوع غير ممتثل للامر الوارد ولكن فشا بين المعسكر نبا الرسالة المنفذة من صاحب الشوف فقلقت لها الافكار وزادت البلابل وجعل القوم يضربون اخماساً لاسداس فيما لعله حدث في البلاد من الامور المهمة في غضون تغيبهم فاقعدت الهمم وفترت النخوات وبينما هم على تلك الحال اذا بالاميرين الحرفوشيين قد اقبلا في خيلهما الجرارة فاشتد بهم أزر النصارى وغدوا يتخذون خطة المهاجمة ويبرزون لمناجزة الدروز مغيرين على معسكرهم فلم يكن الا مناوشات غير ذات بال حتى عن للدروز الاقلاع عما كانوا قد انتووه واتوا من أجله فقوضوا خيامهم وتولوا نحو الوطن قانعين من الغنيمة بالاياب . ولم تتبعهم الزحالنة لانهم كانوا يطلبون بعدهم ويتمنون انجلاء غيابة امرهم ولان الدروز لم يكن رجوعهم رجوع هزيمة وانكسار بل كان اختيارياً دفعهم اليه قلق البال والفاء مطلوبهم صعب المنال . وآبوا وهم يسيرون ذميلا لا وخداً ولا عنقاً دون ان يتعرض لهم احد بسوء ممن أمامهم او وراءهم . ولم يقتل منهم في هذه الغزوة الا سبعة رجال فقط .

شكيب افندي

ولما رن صدى هذه الحوادث اللبنانية في المابين الهمايوني ورفعت الى اعتاب الباب العالي تشكيات المشتكين وادعاآت المتداعين انفذت الدولة العلية من قبلها ماموراً رسمياً هو شكيب افندي فوضت اليه مسألة ضبط الحوادث وتحقيقها واصلاح ذات البين بين ابناء رعيتها مع تقويم ما تأود من الاحوال وترميم ما لعبت به يد الحدثان واحياء ما اندرس من الآثار واعتمار ما تخرب من الديار وأصحبته بقوة عسكرية جسيمة يقودها عـلو باشا

وسليمان باشا ومصطفى فعندما حلت الجنود العثمانية المظفرة في بيروت وجه القادة اليهم فصائل من الجنود ترابط النقط المهمة في الجبل حيث يكثر اجتماع الناس ومرورهم للمحافظة على الامن والراحة العمومية فوضعت الفصائل في عبيه والحازمية والكحالة وخان الحصين وغير ذلك .

ثم ان شكيب افندي استدعى اليه رؤساء عشائر لبنان طراً فحضر رؤساء العشائر المسيحية اجمع واما رؤساء العشائر الدرزية فلم يحضر منهم الا الامير احمد ارسلان ويوسف بك عبد الملك والشيخ حسين تلحوق فقط وأما الباقون فلم يحضروا ولا ابدوا اعذاراً فكرر شكيب افندي عليه الطلب فاصروا على عنادهم فوجه وراء كل منهم قوة مسلحة لاحضارهم بوجه الاجبار . فأتى في احضار سعيد بك جنبلاط مائتا خيال ممن خيموا في بتدين يقودهم اسماعيل آغا ورد (نيحا) بصفة دليل فاحاطوا بالمختارة آخذين في البحث والتنقير عنه فلم يهتدوا الى مقره سبيلا . اذ كان قد حذر بالامس امر هذه الكبسة فدلج في تلك الليلة الى عين قنيه الشوف وفيها نام ولما شاهد في الضحى احاطة الركب بداره امر بكوكبة من خيله فركب فيهم ماراً في عماطور وهو يسير سيراً وئيداً لا يحث جواداً ولا يطلق عناناً رغماً عن الرجال والنساء الصوارخ السرعة السرعة يا سعيد بك . السرعة السرعة يا سيدنا فقد دهمتك الخيل وما زال على مثل هذه الحال حتى اجتاز القرية وبلغ عين العريش حيث اوما الى من تقدمه من الخيالة باتباع الجادة العمومية وخداً وعنقاً ففعلوا وانتحى هو طريق الحارة الوسطى حيث تقدمه احمد سليمان ابو شقرا قائلا له اتبعني يا مولاي فساروا تخب بهم الجياد في اعالي حارة جندل فالامين الصيفية فجباع فحلت ركابهم في تلك القرية الصردية ذات الموقع المنيع المطل على ما حوله من الانحاء واما الخيالة الذين استطرقوا الجادة العامة فظلت الجنود في ملاحقتهم حتى اراضي نيحا وكانوا هم قد افترعوا هضب التوأمات فقنطت الجنود من استتباعهم فثنوا عنهم الاعنة ورجعوا الى مضاربهم خائبين وقد عرجوا في طريقهم الى المختارة فاعملوا فيها ايدي السلب والنهب . اما سعيد بك فلم يزايل جباع الشوف حتى وافاه اليها صديقه الامير امين ارسلان الذي وجهت اليه تهمة مقتل الامير بشير ابي طحين واشتدت عليه الازمة من جرّى ذلك . وبعد ان تباحثا مليّاً صمما على الذهاب الى جبل حوران فاعدّا المعدّات والاهبة اللازمة وتحركت ركابهما في بضعة وخمسين خيالا وبعد خوض الفدافد والسباسب ومعاناة مشقة السير والسري حلاّ ضيفين كريمين على بني عامر شيوخ مشايخ المقرن الشمالي .

اما الامير امين فلم يمض عليه مدة في حوران حتى ملّ الحضر ومال الى السفر اذ سئم انتظار

الفرج وأتيانه من حيث يؤمل فركب في تسعة عشر فارساً من خيله وسار ميمماً بغـــداد جائباً ذلك الدوّ ، الشول ، الشاسع مقاسياً في هاتيك المفـاوز المهلكة من طوارىء الحر والظمأ والمشقة واللغب شدائد فادحة فضلاً عما عاناه من الاهوال في صد هجمات عربان البادية وشنهم عليه الغارات المتتابعة التي كان يلتقيها هو ورجاله بوابط الجأش وصادق العزم والحزم ويبدون من الشجاعة ومر الدفاع ما يحلو ذكره بكل لسان وربما كانت بعض القبائل تحلهم على الرحب والسعة وتحسن ضيافتهم وقراهم ثم يشيع بعضهم الأمير الى حيث يهدونه سواء السبيل . والحلال (١) ان الامير لم يزل هو وخيله في حل وترحال وبـــين هدى وضلال واصلين السير بالسرى حتى بلغوا دار السلام بعد شق الانفس وتجشم عرق القربة وكان بين الامير امين ووالي بغداد نجيب باشا صداقة وثيقة قديمة فاطلعه الامير على جلية امره وما حداه الى قصده من الشام الى العراق فوعده الوالي خيراً وأكرم وفادته غاية الاكرام ثم سلحه بكتب ورسائل الى بنيه وأصدقائه ممن لهم الكلمة النافذة في الآستانة العلية وبعـــد ذلك استأذن الامير منه في الرحيل واستأنف السير والسرى من بغداد الى القسطنطنية في البر ايضاً وبعد اللتيا والتي وبلوغه الى حيث أمّ لقي في الاستانة العلية من مساعدة من جاءهم بكتب والي بغداد ووصايته به ما ايد دعواه وتنصله واثبت براءة ساحته مما رماه به اخصامه واقاموه عليه من الدعاوي الجزائية المهمة .

وهنا حادثة لا بأس من ذكرها وهي ان الامير لما طلب وهو في الآستانة لاستنطاقه واخذ تقريراته بحضرة احد الصدور العظام هاله امر تلك الدعوة وخاف سوء العاقبة وشر المنقلب فقال له احد صحبه ابراهيم (٢) ابو ابراهيم انا اذا امرت يا مولاي احضر هذه الجلسة تحت اسم الامير امين فاذا كان ثمة من شر او نقمة جعلت نفس عبدك فدى عن نفس مولاه واجتهدنا في كتمان الامر ما استطعنا واما اذا آلت المحاكمة الى خير وكان ثمـــة نعمة فانما النعمة لك وانا استقيل من ذلك واوضح لهم واقعة الحـــال فقال له الامير : انت وذاك لا عدمتك ايها الخادم الامين والخل الوفي . فدخل ابراهـــيم ابو ابراهيم المتندى المؤلف من جلة من الوزراء الفخام تحت اسم امين ارسلان واحسن الاجوبة عن كل مـا القي عليه من سؤال وامتحان فما لبث اذ ذاك الامر العالي ان صدر بتوجيه قائمقامية جبل الدروز لعهدته بعد ان شمل بالرضى الملوكاني مبرأة ساحته من كل ما نسب اليه فلما طلب ابراهيم ابو ابراهيم أبان اذ ذاك انه لم يكن الا بعض اتباع الامير امين فسئل الامير امين عن ذلك فأجاب .

---

(١) لعل هذه الكلمة (والخلاصة) (٢) هو علي الاصح عباس ابو ابراهيم

ان من لا يهاب مثل هذه الهيئة السامية فلا يخشى الله وقدرته . وبعد رجوع الامير امين الى لبنان اجزل على ابراهيم النعمة وأقطع له كثيراً من العقارات ومنحه لقب بك وكان ذلك امراً نادراً زمنئذ مكافأة له على وفائه واخلاصه . آه .

وكان شكيب افندي في اثناء هذه المدة قد اكمل الفحص والتحقيق فتبين له ان المفترين اغام النصارى وان مهاجمتهم للدروز في ساعة واحدة من يوم واحد في جميع الانحاء انما بنيت على قاعدة التصمم والتصور العمومي غب عقد المؤامرات ومداومة التهييج للخواطر والتنهيض للهمم الفواتر فرفع معلوماته بذلك الى المابين الهمايوني فجاءت مؤيدة لتقريرات الامير امين بمهدة لسبيل الرضى عنه وتقليده منصب قائمقامية جبل الشوف . وكان ذلك سنة ١٢٥٩ (١٨٤٣م)

اما مسالة التحقيقات والمرافعات التي ضبطها شكيب فقد تلقاها عن الوكلاء الذين اقامهم عن المقاطعات لكل مقاطعة وكيلان : فقد اقام ظاهر عثمان ابا شقرا واحمد علي عبد الصمد وكيلين عن الشوف . واحمد يونس طي وعلي صالح بو علي يونس وكيلين عن المناصف وهلم جرا[1] ثم اتفق الوكلاء جميعاً فوكلوا بموجب وكالاتهم المطلقة اثنين منهم يرافعان بالأصالة عما وكلا به وبالوكالة عنهم وبعبارة اخرى بالوكالة عن طائفة الدروز جميعاً وهما الشيخ حسين تلحوق والشيخ احمد تقي الدين والد الشيخ ابي صالح فبعد انتهاء المرافعات وضبط التقريرات والمذاكرة بما قرره الوكلاء الاربعة وكلاء الطائفتين قرّ القرار اخيراً باعتبار دم الزائد من القتلى النصارى على قتلى الدروز هدراً وكانت الزيادة مئات جمة وذلك لانهم قتلوا وهم حاملو السلاح في ايام غارات شعواء . اما المحروقات والمسلوبات فقد نافت قيمة ما خص النصارى عما خص الدروز منها ستة آلاف كيس . فحكم على الدروز بوجوب ادائهم مثل ذلك المبلغ للنصارى ولما عجزوا عن الدفع فاضت مكارم الدولة العلية أيدها الله بدفع مثل ذلك من الخزينة العامرة غير مغرمة احداً من الدروز من ذلك بارة قط . ولعمر الحق تلك مكرمة تؤثر ونعمة من النعم الشاهانية التي ما برحت غامرة للطائفة الدرزية الشديدة الاخلاص للعرش العثماني الأنور .

القائمقاميتان

ثم ان الوزير شكيب افندي فصل الامير احمد عباس ارسلان واقام اخاه الامير امينا قائمقاماً على الشوف وجعل الامير حيدر بللمع قائمقاماً على المتن وما يليها قاسماً البلاد الى قائمقاميتين جنوبية درزية وشمالية مارونية جاعلاً سكة الشام وبيروت حداً فاصلاً بينهما ضاماً نصف ساحل بيروت الى قائمقامية الامير امين فاعترض الامير حيدر على ذلك . ثم جرت المنازعة والاختلاف على السواحل البيروتية التي معظمها من اقطاع آل ارسلان غير ان معظم

---

(١) وقد اتصل بنا ان سلمان محمد المغربي من كفرسلوان وحسن شقير من ارصون اقيما وكيلين عن المتن

سكانها من الموارنة وبعد الاخذ والرد وادعاء الامير حيدر على الارسلانيين مرور الزمان على رفع ايديهم عن الساحل وضمه الى اقطاع الشهابيين الى غير ذلك بما حسم اخيراً بانقسامه وجعل سكة دير القمر هي الحد الفاصل بين القائمقاميتين في ساحل بيروت .

وعين لقائمقامية الشوف الف وخمسماية كيس تجري منها الوظيفة السنوية على القائمقام ومأموري الحكمة ووكلاء المقاطعات (المقاطعجية) ولقائمقامية النصارى الفي كيس وذلك مثل المبلغ الذي كان يجبوه الامير بشير المالطي . المال ثمانية اموال . وذلك أن آل معن كانوا يجمعون من الجبل خمسماية كيس فقط فالامير بشير تقاضى ضعف هـذا المال اي الف كيس فسموه مالين ثم بعد محاربة الشيخ بشير جنبلاط اخذه ضعف الضعف اي الفي كيس وسموه اربعة اموال وبعد قليل اخذ ضعف ضعف الضعف اي اربعة آلاف كيس وسموه ثمانية اموال . والخمسماية الكيس الفاضلة عن وظائف القائمقاميتين تـدفع للخزينة السلطانية العامرة .

ثم جرى تشكيل مجلس للمحاكمات فاقام شكيب افندي الشيخ محمد القاضي من السمقانية قاضياً شرعياً للدروز وقاضياً حقوقياً بدائياً وعين مجلساً كبيراً مؤلفاً من رئيس وستة اعضاء جعل رئيسه الامير ملحم حيدر ارسلان والاعضاء الشيخ محمد الخطيب من برجا والشيخ احمد تقي الدين وعضواً شيعياً اجهل اسمه ودرويش روزا مارونى وجرس نصور ارثوذكسي وخليل جاويش كاثوليكي . فاختلف الاعضاء على توقيع امضاآتهم فصدر الامر بان يجري التوقيع على راسي المضبطة يوقع على الرأس الايسر الاعضاء المحمديون المسلم فالدرزي فالمتوالي وعلى الرأس الايمن الصليبيون الماروني فالارثوذكسي فالكاثوليكي .

اما مديرية الشوفين فاناط شؤونها بنعمان بك جنبلاط جاعلا عنده لكل مقاطعة وكيلاً فجعل لنصارى الشوفين سلوان القهوجي ولنصارى اقليم جزين الموارنة الخوري بطرس المعوشي وللكاثوليك ابراهيم الحداد (من جزين) ولمتاولة جبل الريحان المقدم علي المحمد ولنصـارى اقليم التفاح يوسف المبيض ولنصارى اقليم الخروب نصيف لطفي من البرجين والكاثوليك الشوف يوسف نقولا طعمه من المختارة وكان هؤلاء الوكلاء يقيمون في دار نعمان بك والوظيفة تجري عليهم خمسماية غرش في كل سنة ذلك فوق زادهم وعلف خيلهم .

وأقام خطار بك عماد مديراً على العرقوبين الشمالي والجنوبي (الجرف) ووكلاء الطوائف عنده سليمان دميان من مجدل المعوش (مـارونى) وابراهيم صقر الحداد (من البارو ك كاثوليكي) الخ .

وأقام الشيخ محمود العيد مديراً على العرقوب الاعلى ووكيل النصارى عنده حنا شكور

من عين زحلتا (ماروني) واسعد الحداد من عيندارة «ارثوذكسي» واقام نصيف بك نكد مديراً على المناصف «وذلك بعد جلاء آل نكد عن الدير[١] بامر سام واقامتهم في كفرفاقود» وقاسم بك حمود نكد مديراً على الشحار والوكلاء عنده جبران الخوري من عبيه ورجلاً من بيت سجعان من معلقة الدامور . واقام الشيخ حسين تلحوق مديراً على الغرب الاعلى الخ اما الغرب الاقصى فبقيت ازمة مديريته بيد الامير امين القائمقام ايضاً . واما دير القمر فبعد ان خرج اصحابها النكديون منها اقيم عليها حاكم تركي اسمه صالح افندي وسمي متسلماً .

جرت كل هذه الامور في البلاد وسعيد بك غائب في الديار الحورانية فلما راقت مياه الامن وهدأت احوال الشوف جرت المكاتبة والمخابرة بينه وبين روز بك صديقه الحميم ثم انتقل الى دمشق واقام في ضيافة احمد آغا الشمري مدة ريثما تمهد له سبيل التوجه الى بيروت والمثول لدى شكيب افندي فاكرم شكيب افندي وفادته واحسن عنه الرضى فآب واخويه نعمان واسمعيل الى المختارة حيث ما عتمت ان حدثت بينهم وبين ابنـاء عمهم حادثة سيأتي الكلام عليها . وبعد حصول تلك الحادثة ارسل نعمان بك اخاه اسمعيل الى لندن مصحوباً ببعض الخدم وتظاهر بارساله تلميذاً يتلقى المعارف والعلوم في احدى مدارس تلك العاصمة لا سيما تعلم اللغة الانكليزية التي كانت قليلاً من يتكلم بها يومئذ من اهل البلاد . وبعد ذلك بدا لنعمان بك مغادرة الشوف والاقامة في بيروت . فتخلى لاخيـه سعيد بك عن ادارة الشؤون السياسية رافعاً يده ايضاً عن املاكه الوفيرة وادارتها واقـام في بيروت زمناً طويلاً حتى وافته المنية وكان يتقدم له من اخيه سعيد بك في كل سنة خمسة وسبعين الف غرش لتقوم باوده ومع ذلك فقد ترك ديوناً عليه كثيرة وبقي سعيد بك جنبلاط متربعاً في دست الحكم ثماني عشرة سنة .

---

(١) وقبل ذلك ، في ايام الامير بشير ، جلا عن الدير آل شنيف الى عين اوزيه ، وآل السعدي والصفي الى كفرنبرخ لخلاف شجر بينهم وبين آل نكد . وبعد سنة ١٨٦٠ جلا عن الدير كل من كان فيها من الدروز فنذكر منهم العيال التالية : علي صالح بوعلي يونس (عماطور) . ابو ثامر الدين (بطمه) الحنيص (كفرنبرخ) هنام (كفرحيم) نجار (بعقلين) ابو ضرغم (دميث) .

سعيد بك جنبلاط

مرت على الدروز ثماني عشرة سنة على عهد سعيد بك جنبلاط وسحائب الخيرات تنهل على ربوع عزتهم هوامر وجداول البركات تنساب بين رياض رفاههم زواخر فكانت عهد نجاح باهر وفلاح زاهر وزمن مجد وعلاء وآونة صفاء ورخاء انبسطت في خلالها يد السلطة الدرزية فهيب جانب الدروز واتسعت بسطة جاههم وتحددت نصال شوكتهم وسؤددهم كما قد توفرت وارداتهم ومحصولاتهم فرحبت املاكهم وشسعت ضياعهم وتوطدت دورهم وتشيدت قصورهم وارتبطت عندهم الخيول المطهمة وكثرت لديهم الاسلحه العتيقة الى غـير ذلك من نفيس المقتنيات وفاخر المأثورات .

وكان سعيد بك مع شدة اخلاصه وطاعته للدولة العلية العثمانية أشبه بدوك اوربي في الازمنة الوسطى او بأمير عربي في العصر الخوالي وناهيك ان موكبه أنى سار واتجـه لم يكن يقل عن خمسمائة فارس من متفرق اهالي الشوف وقد كان لهؤلاء الخيالة راتب معين ينقدونه منه سنوياً اما عليق خيولهم فقد كان يؤدى لهم في كل يوم على يد ناظر الحاصل بطريقة انه في كل يوم يأتي المختارة نصف خيالة البك فيأخذ الواحد منهم عليق حصانه وحصان جاره ايضاً بحيث ان دار المختارة كانت لا تخلو من مئتين وخمسين خيالا يتناوبون في كل يوم ميدان الكر والفر ويتناوبون ضروب الفراسة والنضال بالجريد فضلا عن وفود الاضياف التي كانت لا تنفك قادمة من داني الجهات وقاصيها بين زرافات ووحدان يحطون الرحال وينيطون الآمال بصاحب تلك السراي الشامخة الشهيرة وبناء على ذلك فقد كانت طهاة البك تطبخ في كل يوم ما يقوم بقرى خمسمائة او ستمائة خليقة وعندما تدنو ساعة الفطور تمد الاطباق النحاسية على كراسيها من اقصى دار البركة الى اقصاها ويتصدر البك الطبق الاول ثم يأمر ضيوفه بالجلوس الواحد فالآخر ثم العائلة الاولى فمن بعدها او أهل هذه القرية فالاخرى حسب منزلة الافراد لديه وجرياً على ترتيب يراعى فيه علو نسب المدعوين وحسبهم او كرامة الاهلين واهميتهم الخ ويتناوب مناولة الطعام الحشد تلو الحشد والبك جالس لا يبرح مكانه حتى يقوم الحشد الاخير ولا يبقى احد جالساً .

عند ذلك : ان لسعادتك اليد الجائز لها التصرف في جميع شؤوننا نسبة ابناء الشوف انفسهم وما نحن الا خاضعون لك ومنقادون اليك . وعند ذلك امر بالمتناوشين فدنا بعضهم من بعض وتصافحوا متساقطين كل حق ودعوى ثم انصرفوا مؤيدين عقد المصالحة مخلدين الى السلم والسكينة . ولشدة ما عظم البك في عين ذلك الوزير شأناً وارتفع قدراً وشد ما نال سعيد بك في هذه المهمة من الثناء العاطر والصيت الطائر والدعاء المتكاثر . وما هذه الا نبذة من سيرة سعيد بك التي لا تزال مرددة على افواه أبناء الشوف يرويها الكبير للصغير وهي كلما زادت الافواه لها ذكراً ازدادت المسامع بها شغفاً وازدادت هي في المسامع طلاوة . الخ .

غير ان الدروز مع ما حصلوا عليه من العزة القعساء ودر عليهم من وابلات الاقبال والتوفيق على عهد سعيد بك جنبلاط ، قد حدث بينهم في خلال تلك المدة السعيده جملة وقائع اهلية كانت شائبة في زلال رغدهم وكدراً في بدر سعدهم . فمن ذلك حادثة حصلت في حارة جندل ما بين بني ملاك وبني جودية انجلت عن قتيل واحد ملاكي من بيت هاشم اسمه حسين وعن عدة جرحى من الفريقين .

شر عماطور

وحادثة خطيرة اتقدت نارها في عماطور ما بين بني ابي شقرا وبني عبد الصمد انضم فيها الى بني عبد الصمد بنو ملاك السابق ذكرهم ما عدا بيت قاسم عمار منهم وذلك سنة ١٢٧٢ للهجرة (١) وسببها طفيف جداً وهو مشاجرة حصلت ما بين نجم احمد سليمان ابي شقرا وصالح علي صالح عبد الصمد . لسبب حرق صالح توتة لنجم لدى حريقه عليقه بقطعة ارض له فتعاظمت المسألة واتصلت بهم الى تناول السلاح وخوض غمرات القتال فجعلوا ساحة القتال في اعلى القرية ولبثوا يتطالقون الرصاص مدى اربع ساعات وهم منكشفون لا يبعد القرن عن قرنه اكثر من ثلاثين ذراعاً فاسرع اهالي الشوفين لاخماد نيران القتال محيطين بالمتحاربين من كل جهة فلم يستطيعوا الى كفهم والمحاجزة بينهم سبيلا لشدة احمرار النار وتكاثف الدخان بين الصفين ولما فرغت ذخيرة السلاح الاسود استلوا شفرات السلاح الابيض وانطبق بعضهم على بعض وعند ذلك تمكن النظارة من المحاجزة وحقن الدماء وقد انجلت هذه المعمعة المهولة عن تسعة قتلى واحد عشر جريحاً من بني عبد الصمد وعن قتيل واحد من بني ملاك اسمه يوسف ابو صعب وجريح منهم ايضاً اسمه فياض ملاك . وعن عشرة قتلى وخمسة جرحى من بني ابي

---

(١) الصحيح ان هذه الحادثة حصلت في سنة ١٢٧١ ﻫ (١٨٥٤) يؤيد ذلك كتاب ورد الى بني ابي شقرا من ريجارد وود يظهر فيه سروره بالمصالحة بين الاسرتين . مؤرخ في ٨ رمضان سنة ١٢٧١ فضلا عن صك المصالحة الذي كتب في دار سعيد بك جنبلاط وبه التاريخ الصحيح للحادث . انظر الملحق الثاني ، رقم — ٥ —

شقرا . اما القتلى الشقراويون فهم : قاسم حسين سيد احمد واخوه يوسف . وحسن سرحال واخوه يزبك وابراهيم منصور ابراهيم وشاهين وهبه ابراهيم وبشير رامح وعلي بشير حسن وشاهين اسمعيل وظاهر حسين واكد . واما القتلى الصمديون فهم علي فارس وعلي منصور شاهين ووهبه علي بويزبك وناصيف نجم وحسين محمود ومحمد شاهين وعابد زرافيل وصالح علي صالح وابو علي عباس. اما الجرحى الشقراويون فشفوا كلهم شفاء تاماً واما الجرحى الصمديون فقد تعطل منهم اثنان واصبحا كالمقعدين وهما حسن بو حسن شبلي عقلت رجله وسليمان عباس كسر حقه وهكذا فياض ملاك فقد تعطلت يده رجله .

اما اولاد المتقاتلين لدى شبوب نار المقاتلة فقد عمد اليهم قس نصارى القرية فألبهم جميعاً الى الكنيسة ولم يزل قائماً على رعايتهم حتى انقشعت غمامة القتال وسكنت اصوات البنادق وثاني يوم المحاربة جاء سعيد بك عماطور وأجلى بني عبد الصمد الى باتر وانزلهم في حارة بني كيوان واجلى بني ابي شقرا الى الحريبة وانزلهم بحارة الشيخ يونس جنبلاط ثم عين سليم بك جنبلاط مأموراً للمحافظة في نفس القرية وحظر عليه الترخيص لاحد الجالين بدخول القرية وذلك حذراً من التقائه باحد من العائلة الاخرى وفتك احدهما بالآخر .ثم امر بوضع الجرحى الشقراويين في بيت محفوظ يونس ابي شقرا وكانوا خمسة ، وعين لهم طبيباً يعالجهم هو صالح بوحمد من غريفة وبوضع المجاريح الصمديين في بيت الشيخ ابي محمد حسين سلمان عبد الصمد (١) وكانوا احد عشر وعين لهم طبيباً يعالجهم هو داود الحلاق من دير القمر .

وبعد مضي خمسة عشر يوماً على هذه الحادثة حضرت الى المختارة هيئة محكمة قائمقامية الشوف ما عدا رئيسها الامير ملحم ارسلان وحضر معها من قبل مجلس الولاية في بيروت السيد فتيحة واحمد افندي الصلح والشيخ محيي الدين اليافي لاجل ضبط الحوادث المحلية واجراء التحقيقات والمعاملات النهائية.فتقدموا الى باتر وشرعوا في استنطاق بني عبد الصمد فلا أحد اجاب الا بقوله : لا أدري السبب ولا اذكر من الحادثة الا ونحن في ساحة القتال ودخان البارود فوق رؤوسنا واخيراً دخل بيننا اهالي الشوف وجماعة سعيد بك جنبلاط وفصلوا بعضنا عن بعض فقتل من قتل وسلم من سلم . ثم انقلبوا من باتر الى الحريبة لاجل اخذ تقريرات بني ابي شقرا فاجابوا الجوابات المذكورة وطبقاً للتقريرات السابقة . ثم اسقطت كل عائلة حقوقها قبل العائلة الاخرى وبعد ذلك انصرف المستنطقون الى المختارة واطلعوا سعيد بك على جلية ما توقع لهم ثم جرت المخابرة مع الامير امين قائمقام الشوف الشوف ومع متصرف بيروت ايضاً فاجابا ان لا مانع من اجراء الصلح اذا لم يكن ثمة من

---

(١) هو شيخ العقل يومذاك : وقد عهد اليه بالمشيخة بعد معركة سهل السمقانية بين الامير بشير والشيخ بشير : وهو منشيء مجلس آل عبد الصمد وواقف الوقف التابع له . وله وصية مستفيضة اوصى فيها بمال كثير في سبيل البر . وقد توفي في سنة ١٢٨٥ هـ .

خطر تخشى عاقبته وشر يخاف منقلبه وبناء على ذلك استدعى سعيد بك العائلتين الى المختارة فمثلوا لديه فجعل يعظهم ويوصيهم بالخير والولاء وينذرهم عاقبة الشر والعداء وبعد ذلك امرهم بالتصالح والتصافح . فتصافح الكهول والكهول والشبان والشبان ثم استأذنوا بالانصراف الى عماطور معاً كأن لم يكن بالامس شيء وثاني ليلة وصولهم كانت ليلة الجمعة فاجتمعوا في مجلس واحد وأدوا فروض الصلاة سوية . وهذا من نوادر الاتفاق .

حادثة المزرعة وغريفة

وحادثة في مزرعة الشوف ما بين بني البعيني وابي كروم فريق اول وبني ذبيان فريق ثان قتل فيها اربعة : من كل فريق قتيلان . وحادثة في غريفة ما بين بني حماده وبني ابي حمدان فريق واحد وبني حرب فريق آخر وسببها انه حصل يوماً مشاجرة فيما بين مصطفى وسليمان وعبدالله اولاد شبلي حماده وفياض حماده اخي بركات حماده فاوسعوه ضرباً مؤلماً ففزع الى بني حرب ونزل عليهم دخيلاً ، فاجاروه . فاتفق له في الليلة الثانية ان مر بحذاء بيوت ضاربيه فضربوه ثانية فعلا صراخه وعويله فهب اليه بنو حرب واغاثوه فاشتد الخصام والملاكمة بين الفريقين فتحاشد الغريفيون شاكي السلاح من كل صوب فافضى الامر الى اطلاق البارود واستطارة شرر القتال بين الغرضين وانجلت الواقعة عن قتيل وجريحين من كل فئة ثم حضر سعيد بك الى غريفة فاجلى بني حماده وابي حمدان الى عين قنية وبني حرب ومعهم فياض حماده الى السمقانية ولم يمض على جلائهم اسبوع واحد حتى تفلت فياض حماده من بين مجيريه وجاء اقرباءه في عين قنية باكياً مستعفياً فغفروا له وانضم الى سربه وقد اتفق لراوي هذا التاريخ ان سأله ذات يوم لمَ فعل هكذا مغايراً شروط المروءة والشهامة فاجابه قائلاً : رأيتني بين بني حرب كطير عري من ريشه آونة البرد القارس وقد زادني قلقاً وبلبالا كتمانهم عني الاسرار وعدم ايقافهم اياي على ما كان يدور بينهم من المخابرات ففعلت ما فعلت من (١) هجري لهم ملجأ اليه من تبكيت الضمير واتيت اهلي ولو كانوا شراً عليّ لان شرهم خير من خير اعدائهم وليس بضم العين غير جفونها . آه . وبعد مدة يسيرة استدعاهم سعيد بك الى المختارة فاصلح ذات البين بين الفريقين ونظم لوائح تصالح وتساقط حقوق بينهما بعد ان صار تأدية مقادير من المال لاهالي المقتولين

حادثة بني الجوهري وبني شيّا

وحدثت حادثة فيما بين بني الجوهري من عرمون وبني شيّا من بدغان بسبب ناطور جوهري قتل رجلاً من بني شيا كان مشتياً ماعزه في مراح بخراج عرمون فلما اتصل نبأ قتله باهله اغاروا على بني الجوهري ولما كانت المسافة بين الفريقين شاسعة حجز المهاجمون عن

---

(١) هنا كلمة مطموسة

مهاجمتهم فجعل الشبان منهم يترصدون بني الجوهري حول قريتهم ليلاً حتى ظفروا اخيراً برجل منهم فقتلوه نهاراً آخذين به ثأرهم

حادثة بني سعد وبني ابي قايدبيه

وحدثت حادثة ما بين بني سعد وبني ابي قايدبيه في عين عنوب لقتل رجل سعدي سليمان شبلي ابا قايدبيه فصار اجلاء السعديين من عين عنوب ردحاً من الزمن وبعد المصالحة وعجز المقتول منهم عن ثأر قتيلهم قام حسن عمار لاخذ ثأر بني قايدبيه اصدقاء عائلتـــه فكمن بجماعة من ذوي قرباه لجماعة من بني سعد ذاهبين الى بيروت منهم القـاتل نفسه فقتل ذلك الرجل المكمون لاجله ومضى .

حادثة بني حمادي مع سعيد بك جنبلاط

ان سعيد بك جنبلاط على انفراده في ارباب المناصب الجنبلاطيين بازاء ارباب المناصب اليزبكية الكثيري العدد كان يسودهم مجـــداً ونفوذاً وسلطة كما سادهم رأياً وحسن سياسة وادارة فانه قد استمال الشيخ كنج وملحم بك من آل عماد واقامهما خصم لنسيبهما خطار بك واستمال بشير بك النصيف من آل نكد واقامه سداً منيعاً لمجرى سياسة بقية ذوي قرباه واستمال قاسم بك اليوسف وذوي قرباه من آل حماده(١) جاعلاً اياهم نظراء لبني الشيخ حسين حمادي فسوى لكل اسرة خصما منها وفيها لما امتاز به من سمو المدارك وطول الباع في السياسة ولمـــا كان يبذله من العطـــاء وبعينه من الوظـــائف والرواتب فساء صنيعه هـــذا الباقين من العيال المذكورة فجعلوا يعملون على ما به نكاية سعيد بك وانكساف بدر اقباله وتخديش حسن صيته وقد كان قاسم بك نكد يصطاف في مقصف الامير امين في بتدين وكان خطار بك عماد وعلي بك حماده يطرقان منتداه ويتكاشفون ما تكنه ضمائرهم من الحسد والشنآن لسعيد بك جنبلاط لما كان عليه من الغنى الوافر والعز الاقعس والجاه الرفيع فتآمروا ذات يوم على حرق زروعه ومزارعه وتم الاتفاق على ان بني حمادي يتوجهون مصحوبين بنفر من رجال قاسم بك فيحرقون الجرمق والرميلة سوية وان خطار بك يرسل من رجاله الى خربة قنفار من يحرقها في الوقت المعين اما قاسم بك الذي كان ذا مزاج نكدي حاد فقد انفذ في الحال جبرائيل الخوري وعلي فرج وبشير علي صالح يصحبهم جماعة من الشجار الى سقي صيدا على اتفاق ان الحماديين يوافونهم الى الجسر الاولي فلم يوافهم

---

(١) انظر الملحق الثاني رقم —٦—

منهم احد فالقوا النار ليلاً في مطحنة الشيخ علي التي كانت مسقوفة بالاخشاب و الجذوع وفي خان الجسر الجارين على ملك سعيدبك ثم جعلوا يتنادون بيا يوسف واجج (حمادي) وتارة بيا نعمان بك (حمادي) وغير ذلك ايهاماً للشركاء بانهم بعقليديون واما خطار بك فلما تحرك نحو الحربة اشعر الشيخ كنج بها بنويه فاعترضه قائلا ان انت احرقت الحربة احرقت انا عميق وكانت ملك خطار بك فتوقف راجعاً عن غيه . ولو ان بشير بك نكد اطلع على دسيسة قاسم بك قبل نفوذها لكان منعه وتهدده ايضاً . اما سعيد بك فلما ابلغه الشركاء بان الحماديين قد اتلفوا املاكه سنداً على ماشاهدوه وسمعوه من نداءاتهم بادر بارسال ستين شاباً من بني ابي شقرا وبني البعيني وابي كروم الى الرميلة وعمان مشدداً عليهم الامر بصيانة املاكه ووجوب القاء النيران في املاك بني حمادي (فيها [1]) جزاء لهم على ما فعلوا فاحرقوا جميع ما يعرف بملكهم في تلك الجهة ما عدا الذي قطعوه واتلفوه من اشجار التوت والليمون وغير ذلك جرياً على قول عنترة العبسي

واذا بُليت بظالم كن ظالماً واذا رأيت ذوي الجهالة فاجهلِ

وارسل مصطفى سيف بنفر من عائلته الى جبل الريحان لحماية الجرمق وما يتبعها وارسل فريقاً من بني عزام وابي عاصي الى البقاع لحماية خربة قنفار وما يجاورها .

ولما شاهد الحماديون ما حل باملاكهم من التلف والدمار خفوا الى بيروت رافعين شكواهم الى وامق باشا متصرف تلك المدينة فاحيلت دعواهم الى محكمة الشوف في الشويفات وبعد المرافعات واللتيا والتي تأكد عند سعيد بك براءة ساحة الحماديين من ايقاع الحريق باملاكه فرضي بمصالحة الحماديين عن دعواهم على شرط ان الحماديين يسقطون كل دعوى وحق وطلب قبله او قبل احد من رجاله وانه يعين لهم ثلاثين علاقـــة [2] ليلية وثلاثين الف غرش في كل سنة وتعهد بنو حمادي لسعيد بك مغلظين اليمين بانهم يخدمونه بالمال والدم خدمة امانة ومحبة كبني ابي شقرا وبني البعيني وتم عقـد الصلح الشرعي على هـــذه الشروط ثم اقبل الحماديون على المختارة وباشروا بخدمة سعيد بك فعين لكل منهم غرفـــة يقيم فيها من داره الرحيبة الشهيرة وكان هؤلاء الحماديون الثلاثون مداومي الاقامة في المختارة لا يبرحونها الا ما ندر .

---

(١) فيها : كذا وردت وهي لا لزوم لها .

(٢) في كتابتها ابهام ، والمرجح انها علاقة ، يراد بها عليق الفرس

مسألة اولاد رامح في صيدا

انه في سنة ١٢٧١ بينا كان احمد وحسين ولدا رامح ابي شقرا في صيدا الحاجات لهما وخرجا من المدينة متوغلين في البساتين اعترضهما جماعة من الضابطة اتهموهما بالسلب وقطع الطرق لاستحصال مبلغ من النقود منهما فلم يدفعا فقادوهما الى حاكم صيدا فاودعهما السجن ظلماً فلما وصل الخبر الى عماطور ركب من العائلة الشقراوية خمسة وعشرون خيالا شاكي السلاح وترجلوا في خان الفاخورة قدام بوابة صيدا وتبعهم ستون رجلاً وصلوا الى الهلالية والمراح فرفعوا علماً فوق احد السطوح فوافاهم جمهور من اقليم التفاح من كل مزرعة رجل او رجلان مصحوبون بنفر من شركائهم فلما بلغ قائمقام صيدا نبأ قدومهم في هذه الهيئة خشي عاقبة الامر واستولى عليه الخوف فاخبره بعضهم ان تاجراً صيداوياً اسمه يوسف الشاغوري بينه وبين احد وجوه الشقراويين المدعو خلف قاسم معرفة اكيدة وصداقة وثيقة فطلبه القائمقام وارسله بلسانه الى صديقه المذكور يسترضيه ويسترضي عائلته بواسطته ففعل معتذراً لهم ان القائمقام لم يعرف ان المسجونين من آل ابي شقرا . قالوا له اذن فليخل اسبيلهما قال واذا خلى سبيلهما افترضون وترجعون عن غيكم قالوا نعم نرضى ولكنه اذا كرمهما والبس كلاّ منهما خلعة يزيدنا امتناناً ويحملنا على زيارته والشكر له . فعاد القائمقام واخبره بما توقع له فسري روعه وامر باطلاق سراح الرجلين ثم البس كلا منهما عباءة مقصبة وارسلهما نحو اهلهما بالسلامة فتوجه من اعيان الشقراويين اربعة يسألون خاطر القائمقام ويشكرون له حسن صنيعه فاكرم وفادتهم واعتذر لهم شفاهاً عما فرط منه .

مقتل صالح فيصل ملاك

هو رجل شديد البأس مشهور بحسن المرمى وكان له ولاخويه يوسف ومحمود قطيع من الماعز ففي سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧) شتوا ماعزهم في مزرعة البرغوثية وكان اخواه المذكوران ينزلان في اكثر الليالي الى بساتين صيدا . وارتاب اصحاب البساتين بهم فجعلوا يحرسون بساتينهم ليلاً فاتفق ذات ليلة انهما سطوا على بستان يدعى الطقشية بوابته بقرب الرملة الحمراء فهب عليهما البستانيون وكانوا من بني الواوي فامسكوهما واوسعوهما ضرباً واثخنوهما جراحاً ثم نزعوا عنهما الثياب وارجعوهما عريين مجردين مما يستر عورتيهما فلما اقبلا على اخيهما بهذه الهيئة اكبر الامر وثارت في رأسه النخوة غير انه تربص حتى كانت الليلة التالية فتناول

سلاحه وانحدر الى بستان الطقشية المذكور فحين رآه البستاني حاملا بندقيته هرب من وجهه مذعوراً فاتبعه صالح الى بيته فدخل البستاني البيت مدقرا بابه وراءه ثم تناول بندقية له واطل من الشباك فرمى صالحاً برصاصة اصابت فمه فخرجت من قذاله فكانت هي القاضية وبعد ذلك احتمله الى الرمل فطمره ليلا كاتماً امر قتله فلحق بالقارظ العنزي (١) وذهب دمه هدراً .

مسألة علي بك الاسعد وتامر بك السلمان

هما حاكما بلاد بشارة وكبيرا طائفة المتاولة هناك وكان علي بك يحكم جبل تبنين وتامر بك يحكم جبل هونين ومركزه في بنت جبيل غير انهما كانا في نزاع دائم وخلاف مستمر فوشى علي بك الى وامق باشا بان نظيره المشار اليه يكاتب محمد علي باشا صاحب مصر ويفضي اليه بالاسرار السياسية المهمة عن تلك البلاد واحوالها ولم يزل به حتى حصل على امر بخلع تامر بك وتعيين شقيقه سلمان بك في منصبه وكانت سياسة هذين الشقيقين على طرفي نقيض فتوجه تامر الى مصر واستحصل من صديقه محمد علي باشا على كتابة الى وامق باشا يرجو منه اعادة القديم الى قدمه فكان فعله هذا مثبتاً عليه التهمة ومؤيداً مقالة علي بك بحقه فأبى وامق باشا اعادته الى تخت البلاد نابذاً كتابة عزيز مصر ظهرياً فعظم الامر عليه فاخذ يجمع الجموع ويكتب الكتائب مثيراً خواطرهم وحاثاً عزائمهم لخطب منصب الحكم بالسيف الاحدب وتحقيق الاماني بالقوة ورأى الخطب شديداً والامر خطيراً فارسل الى صديقه خطار بك عماد مستنصراً به ومستنجداً اياه قوة تدحض القوة القادمة من قبل سعيد بك لمعونة خصمه علي بك (وذلك لان علي بك الاسعد جنبلاطي الغرض وتامر بك يزبكيه) فانجده خطار بك بعشرة من فرسانه كعلي سعيد وفارس حاطوم واولاد الجاريه وكلهم من المشهورين بشدة البأس والشجاعة اما سعيد بك جنبلاط فقد انجد علي بك الاسعد بعشرين فارساً من بني ابي شقرا فقط لوجدان معرفة اكيدة وصداقة قديمة بينه وبين الشقراويين من زمن الامير بشير حيث نزحوا الى بلاد بشارة واقاموا في كنف علي بك وآبائه ردحاً من الزمن . ولما تم تألب جموع تامر بك السلمان هجم بهم على قلعة تبنين حيث يقيم علي بك

---

(١) القارظ العنزي : وهما القارظان ، رجلان من عنزة خرجا يجنيان القرظ (وهو ورق السلم يدبغ به او ثمر السنط) فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى . يابه فيقال : لا افعل كذا حتى يؤوب القارظان . او حتى يؤوب العنزي .

وحيث كان سلمان بك ملتجئاً فالتظت نار الحرب واحتدمت سعير الوغى فاستولى على علي بك الخوف وحدث نفسه بالهرب فتدلى بحبل من اعلى القلعة قاصداً النجاة بنفسه وظهر تامر بك واوشك ان يأخذ القلعة عنوة غير ان العشرين الشقراويين الذين كانوا في نفس القرية حماية لها فقد ثبتوا في مواقفهم يطلقون على عساكر تامر بك المهاجمة للقلعة من الرصاص وابلاً بعد وابل فاتفق لعلي بك غداة فراره من القلعة ان التقى بظاهر عثمان ابي شقرا في القرية فلامه وشدد عليه النكير لهربه مشدداً عزمه وحزمه فاجاب علي بك (الدنيا وهمية) فقال له ظاهر اذن فاتبعني فتبعه وحمل العشرون على تامر بك مصدقين الكرة فمنحوا اكتافهم وحملوهم على التقهقر الى خارج القرية واخيراً دارت الدائرة على معسكر تامر بك فانهزم شر هزيمة وبقيت ازمة الاحكام بيد سلمان بك حتى فصل وامق باشا عن منصبه فادال خافه تامر بك من اخيه .

لمحة
في تاريخ الأسرة الجنبلاطية
في جبل الشوف

ان آل جنبلاط لاسرة كريمة النسب شريفـــة الحسب يتصل نسبهم بالامراء الايوبيين اصحاب الشام ومصر سابقاً وموطنهم الاصلي الديار الحلبية واسمهم هناك آل جانبولاد وهم يسودون اهالي تلك الديار الذين يعترفون لهم بالاقدمية والفضل والسيادة وقد نشأ منهم الافاضل الكرام والسادة الفخام الأولى تفانوا في الاخلاص للدولة العلية وصادق خدمتها فاحرزوا الرتب الرفيعة والمناصب السامية كولاة وباشوات وما اشبه واول قادم منهم الى جبل الشوف هو الشيخ ربح جنبلاط قدم على عهد بني معن يصحبه جماعة من رجاله كبني نصر الله وبني سليم وغيرهم ونزل في مزرعة الشوف وابتنى له فيها داراً واسمة الذرى بازاء عين تلك القرية وقد كان من قبل منازيل في القرى تطرقهـــا الغرباء والضيوف للأكل والمنامة وينفق عليها من عموم الاهلين او من فريق منهم ولذا كان من الاتقياء الكرام من يقفون قسماً من املاكهم على منزول ما يصرف ريعه على ابناء السبيل امـــا الشيخ ربح فعند حلوله في المزرعة استقل بالنفقة على منزولها لما كان عليه من السخاء وكرم الاخلاق فسماه الناس شيخ الطبق وتسلم جميع الاملاك المعروفة باسم المنزول وما اقام في المزرعة ردحاً من الزمن حتى جسمت ثروته واتسعت عقاراته وارتفع شأنه بين العباد ونأى صيته في البلاد اما المختارة وإبانئذ فقد كانت خاصة الشيخ محمد(١) القاضي(*) خاتمة ذكور تلك الاسرة الكريمة ولم يكن لذلك الشيخ الفاضل الا ابنة وحيدة كانت ثمرة شيخوخته وسلوة لأواخر اباه فخطبها

---

(١) المشهور انه الشيخ قبلان .

(*) بنو القاضي ثلاثة القاضي التنوخي اي الذين كانوا قضاة على عهد الحكام التنوخيين ومنهم بنو القاضي سكان بيصور الغرب . والقاضي المتني اصحاب المختارة الاقدمون وقد بادت ذريتهم المذكور . والقاضي الشهابي وهم سكان السمقانية الآن . (المؤلف)

منة الشيخ ربح (١) فرغب في مصاهرته ولما دنت وفاته أوصى بجميع تركته في الساحل والجبل لابنته المذكورة فادعى الحاكم وهو الامير احمد معن (٢) او والده على تلك التركة الجسيمة طالباً الحاقها ببيت المال لعدم وجود وريث ذكر فاعترض عليه الدروز شادين ازر الشيخ ربح لما له من رفيع المنزلة بينهم وتمكن حبه من قلوب العموم داحضين دعوى الحاكم بكون الميت محرراً صك وصية لابنته فاشتد الخلاف واحتدم النزاع واخيراً دخل المصلحون فاصلحوا المتداعين مقررين وجوب دفع الشيخ ربح للحاكم مبلغاً من النقود قدره ستة وثلاثون كيساً وذلك مثل ثمن نصف التركة بعد التعديل والتخمين . فدفع آل نكد خمسة اكياس ودفع آل الخازن خمسة اكياس وقيل عشرة وما تبقى لغلاقة المطلوب صار توزيعه على السمية من اهالي الشوف وبعد ذلك نقل الشيخ ربح من المزرعة الى المختارة واستوى في دار حميه سيداً عظيماً مهاباً ومثرياً كريماً وهاباً ورزق من زوجته ولداً سماه علياً وهو الشيخ علي جنبلاط المشهور المدعو (ابو فاروق) . ولما قضى الشيخ ربح نحبه وبلغ الشيخ علي اشده رأى اقامته بالمختارة محفوفة بالمخاطر وموقفه فيها حرجاً اذ كانت تلك الايام ايام حروب وغارات وفتن ومقالات فارتأى السكنى في بعذران لكونها امنع من المختارة جانباً وأعز حمى على من جاءها طالباً فاشترى الحارة القبلية من بني ابي حسن وشاد في تلك الروابي الحصينة والاكمات الوعرة داراً رحيبة الفناء واسعة الذرى ثم اقام فيها يدير شؤون مديرية الشوف بالعقل الثاقب والرأي الصائب .

الشيخ علي شيخ للعقال

لقد كان الشيخ علي من اعظم رجال دهره واجل سادة عصره اذ خصه المولى بنصيب وافر من حميد الصفات وكريم المناقب والاخلاق وحلاه من الفضل والكمال والتقى مع عزة الجانب ولين العريكة وشدة البأس بخلال يندر وجودها فيمن سواه ولذا احرز السيادة على البلاد جسمانياً وروحياً اذ اتفق الرأي العام وتم عقد الخناصر على اقامته شيخاً لعقال الطائفة الدرزية (٣) ولا تسل عما كان يومئذ لمنصب المشيخة الروحية من الاهمية الكبرى لما كان من السذاجة والجهالة الضاربتين اطنابها على العقول والبصائر ولما كان للامور الدينية

---

(١) يروي بعضهم ان صهر الشيخ القاضي هو الشيخ علي ابن الشيخ ربح . (٢) اذا كان الشيخ علي هو صهر الشيخ القاضي فالحاكم زمانئذ كان الامير حيدر الشهابي لا الامير احمد معن .

(٣) انظر الملحق الثاني رقم - ٧ -

من الشان الخطير لشدة تمسك الناس بها وفرط طاعتهم وانقيادهم لكل رئيس ديني فاتسع جاه الشيخ علي وطبق صيته البلاد السورية اذ غدت داره محط رحال الاقوام عموماً ومناط آمال الدروز خصوصاً .

اما من جهة ادارته الداخلية فانه كان مع فرط جوده وسخائه احسن قيم على املاكه واعظم سيد تدرج في سلم النجاح والفلاح فانه كان دائما يتجول في الانحاء متفقداً املاكه ضيعة ضيعة وقطعة قطعة فما كان في احتياج للعمارة والاصلاح يصدر امره بعمارته وتشجيره وما كان من السباب والارض الموات صالحاً للزرع يأمر بازدراعه واستدرار بركاته وكان مع كل ذلك يجزل مكافأة من يجده من الشركاء متقناً ما بيده من البساتين توتاً كان ام زيتوناً ام ليموناً ام غير ذلك ويتهدد بالمجازاة والطرد من يجده مهملاً ما عهد اليه اتقانه من العقار بحيث انه لم يمر عليه بضع سنوات حتى تضاعفت محصولاته وتفاقمت وارداته فأخذ يبتاع الحقل تلو الحقل والمزرعة بعد المزرعة .

سهل البقاع يحال الى عهدة الشيخ علي

اما السبب الاعظم في توطيد ذلك البيت الجنبلاطي العريق وصيرورته اضخم بيوت المشرق ثراء واجزلها غنى فهو وضع يد الشيخ علي جنبلاط على سهل البقاع واستدرار خيرات تلك الاراضي المشهورة بخصبها وسعتها واستثمار بركاتها عصراً بعد عصر حتى شاء الله نزع اليد الجنبلاطية عنها غب حدوث حركة سنة ١٨٦٠ كما سيأتي الكلام عليه . والسبب لذلك هو انه بينما كان الشيخ علي في بعذران وفد عليه مندوب من قبل والي عكة يسأله ادانة مولاه ثلاثين الف قرش يستعين بها على سفره العاجل الى الآستانة العلية ايجاباً للامر الملوكاني ولم يكن بين هذا الوزير والشيخ علي سابق معرفة غير ما يسمعه الوزير المشار اليه من صيت الشيخ علي وعميم مكارمه فاستشار الشيخ علي خاصته في ذلك فبعضهم اشاروا بالسلب حذر عدم الوفاء وتعسر مطالبة الغريم او خشية المام الموت به قبل تمكنه من الوصول الى اهله او الى حيث يؤم وما اشبه ذلك من الآراء الحازمة والبعض الآخر اشاروا بالايجاب في نصف المبلغ ضناً بخيبة الآمل وحرصاً على كرامة المأمول منه غير ان نفس الشيخ علي المفطورة على الكرم والكبر ابت الا تحقيق امل ذلك الوزير الكريم وعدم تخييب ظنه فيها فنقد ثلاثين الف قرش لكتخداه ابي سليمان نجم حسين ابي شقرا وتناول السند المرسل مع المندوب فمزقه بحضرته وامرهما بالمسير الى حاصبيا معاً حيث كان الوزير في انتظار رسوله

فاعطيا الدراهم له بعد ان اطلعاه عـلى جلية الامر وما دار بين الشيخ ومستشاريه الخ .
فاعجب الوزير غاية الاعجاب من تلك النفس العصامية ومكارمها الحاتمية وعلق يسأل كتخداي الشيخ عن مواطنه هل هي ارض خصيبة كثيرة السهل غزيرة الريع اجاب كلا بل هي جبال صخرية وآكام وعرة وهلم جرّا ثم تناول الوزير يراعة وقرطاساً وحرر عـلى نفسه سنداً آخر بالمبلغ وعرضه على مندوب الشيخ فرفض قبوله عملا بوصية مولاه فازداد الوزير على اعجابه من مكارم الشيخ اعجاباً وعظم في عينه شأن مندوبه ايضاً الذي ما عتم ان استودع منه ومضى. ولما انجز الوزير أهبة سفره شخص نحو القسطنطينية برّا ماراً بسهل البقاع فجعل يتساءل عن قرية الشيخ علي على مساواة اي قرى البقاع هي؟ فحين وصوله لارض خربة قنفار قيل له على مساواة هذه القرية تقريباً فترجل عندئذ وشخص جهة الغرب مهدياً الشيخ علي تحيته القلبية فوق طود لبنان الحائل دون اعالي الشوف والبقاع الغربي قائلا له : (سلام عليكم يا شيخ علي) ثم زاد بقوله بعـد ان ادار الحاظه في ذلك السهل الفسيح الذي يشقه النهر الليطاني منساباً انسياب الافعوان بين غياضه النضيرة ومروجه الخضراء « تالله لئن اسعدني الحظ وعدت والياً على الشام لاحيلنّ هذا السهل الخصيب لعهدة الشيخ علي واجعلنّ ريعه هبة له الى ما شاء الله » قال هذا وواصل سيره وسراه الى الآستانة العلية «اتفق له بعد بلوغه العاصمة ان خدمه السعد وظافر التوفيق مساعيه فحصل على الرعاية الملوكانية ولم يلبث ان توجهت لعهدته ولاية سورية الجنبلة ولما حصل بدمشق دعا اليه الشيخ علي جنبلاط فلبى دعوته مصحوباً بكتخداه ابي سليمان نجم ابي شقرا فاكرم الوالي وفادته وانزله على الرحب والسعة ثم بالغ في تبجيله واحترامه لدن جرت بينه وبين علماء دمشق المباحثات والمذاكرات العلمية وشهد به للوالي بانه ضليع بالعلوم الفقهية ،علم بالاصول الدينية . آه . وقبل ان ادى له الوالي دينه قال له : بلغني ايها الصديق الفاضل ان معظم بلادك جبال وصخور وغابات قليلة الغلال نزرة المنافع ولذا فقد ارتاحت نفسي لاحالة بلاد البقاع الى عهدتك وتحويلك ذلك السهل الجيد التربة بوجه الالتزام فاعطني اسماء القرى التي تشتهي التزامها ليحرر بها صك نظامي وائتني بكفيل يضمن دفع بدل الالتزام باوقاته .فقيّد الشيخ اسماء قرى غربي البقاع وشرقيه جمعاء اي من جسر عنجر الى جسر برغز فدخلت كلها في التزامه على شرط ان يتناول هو ربع المحاصيل ويأخذ المزارعون الثلاثة الارباع بالقسمة العادلة .

ولما آب الى الشوف وعلمت عشائر الدروز بما تم له في دمشق اعظموا الامر جداً فطفقوا يتوافدون عليه ويسألونه الحذّيا من الغنيمة فاعطى آل عماد قريتي جبجنين وكامد وآل نكد قرية عينة وسوامة جبجنين وآل ابي علوان قرية غزة وآل العيد قرية تـل الاخضر وآل

عطاالله قرية قب الياس وآل تلحوق قريتي قبر عباس والمنصورة ...

وبقي في حوزته القرى الآتي ذكرها : ميذون ولوسا وعين التينة ومشغرة وعيتانيث وعين زبده وخربة قنفار وعميق وقلايا ولبايا وزلايا وسحمر ويحمر والشميسة المحيدثة وبجدل بلهيص وجرن النحاس وعزة والذكوة وخيارة مظلوم والقرعون وبعلول ولالا (١) .

فادار امور هذه القرى وشؤونها أحسن ادارة مجيلاً في فيافيها ايدي الزراعة والاستعمار فابتنى فيها البيوت والحظائر والاصطبلات مسكناً فيها كثيراً من الفلاحين الذين جعلوا يتقاطرون اليها افواجاً من جهات الغوطة وبعلبك وغيرها نظراً لعدل وليها المشار اليه وما شاع عن انصافه وكرم اخلاقه وحسن معاملته للحراثين ورفقه بهم .

نشوء الغرضية

انه قبل ان رست قواعد السلطة الجنبلاطيـة في الشوف كان الشوفيون ينتمون الى عائلتين متناظرتين في السؤدد متكافئتين في القوة هما اسرتا عبد الصمد وابي شقرا اما سيادة هاتين الاسرتين فلم تكن من قبيل تربع في دست الاحكام او من وجه ادناه احد الولاة لهم كغيرهم من العيال التي بولغ في ادنائها وترقيتها من الحكام الاسبقين ماحقة بالعشائر المترأسة بواسطة كتابة ذلك الحاكم للواحد منهم (جناب الاخ العزيز) وما اشبه بل كانت سيادتهم بواسطة ما فطر عليه افرادهم من علو الهمم وسمو المدارك وتجردهم لكل مشكل او معضل ينعقد في البلاد فيعمدون الى حله ولا يغادرون فساداً او ذات بين بينَ قوم الا اصلحوه ولما

---

(١) روى لي السيد وهبي طلمع عن والده خبر الشيخ علي جنبلاط مع الوالي على نحو ماجاء في متن هـذا الكتاب الا انه استدرك عليه ما يأتي ، قال : كان الرأي باداء المال للوزير رأي الشيخ ابي سليمان نجم ابي شقرا ، وان المال ارسل الى الوالي مع رسول لا مع الشيخ نجم ، وان هذا الوزير لما رجع من الآستانة والياً على الشام كتب الى الشيخ عـلي يدعوه لزيارته فأوفد الشيخ علي ابا سليمان للسلام عليه والتهنئة بالولاية وهناك سأله الوالي عن الشيخ علي فقال : ان الشيخ قد تقدمت به السن ولا قبل له بركوب الخيل مسافة طويلة كالمسافة بـين بعذران ودمشق. وسأله عن اراضي الشيخ علي في بلاد الدروز فقال : ان معظمها وعر لا يصلح للزراعة ولو ان لدولة تحيل اليـه اراضي خصبة لكان الشيخ يستفيد من غلالها والدولة تستفيد من عمارتها واعشارها. ولذا احال الوالي قرى سهل البقاع شرقيه وغربيه الى عهدة الشيخ علي

وكان ابو سليمان من الظرفاء وطلاب الفكاهة .. سأله الوالي : هل انت وكيل الشيخ علي ؟ فأجاب : بل انا وكيل وكيله الذي يدعى علاء ابو العين وكان علاء هذا اعور ساذجاً من ساسة خيل الشيخ علي . ولما رجع ابو سليمان الى بعذران حمل كتاباً من الوزير الى الشيخ علي وكتابا آخر باسم علاء ابو العين فرىء على مسمع من الجمهور فكان موضوع دهشتهم . فقال الشيخ علي : عجباً . تظل على طبعك ؟ كيف اجزت لنفسك مثل هذا مع الوزير . وهب انه طلب منا هذا الرجل . فكيف نصنع ؟ فقال : وهل هنالك كبير مشقة في قولنا : انه مات؟

كان عليه عمومهم من شدة البأس والمهابة بين الناس فضلاً عن جود ايديهم المشهور و كرم اخلاقهم المعروف ومما ايد مساعيهم بالفوز وقرن ادبياتهم بالظفر هو غناهم وسعتهم في الماديات ولذا انقسمت عيال الشوف في الغرض الى قسمين شقراوي وصمدي انقساماً لم تخل منه قرية قط ولم تنحصر فاعليته في الشوفين بل سرت في البلاد سرياناً حثيثاً فاستحكمت عراها في العرقوب والغرب والشحار والمناصف(١) ثم نشأت غرضية ثانية في الجرد هي الاحمدية والصايغية نسبة الى عائلتين مهمتين تقطنان قرية شارون هما بنو احمد وبنو الصايغ غير ان بني احمد ارفع [من]الصياغ نسباً اما هذه الغرضية فلم تتجاوز حدود الجرد وغرضية ثالثة في المتن هي الاعورية والهلالية نسبة الى عائلتي هلال والاعور القاطني قرية قرنايل وغيرها وانحصرت هذه الغرضية في المتن وحدها غير ان الغرضيتين الهلالية والاحمدية كانتا على وتيرة الغرضية الشقراوية والاعورية والصايغية على وتيرة الغرضية الصمدية اما رؤساء المقاطعات اوانئذ فكانوا يسودون كلتا الغرضيتين في مقاطعتها ويحسبون الفريقين رجالا وعدةلهم دون تفضيل احد على الآخر بغير الذاتية والخلال الشخصية .

امـــا الشيخ علي ربح جنبلاط وما كانت تساوره نفسه الكبيرة فلما احيلت لعهدته حكومة الشوف رأى استمالة بني ابي شقرا اليه مـــع من ينتمي اليهم من عيال البلاد فاحصف معهم العلاقـــة وبالغ في تقريبهم اليه واعزاز جانبهم لديه فمال بنو ابي شقرا بكليتهم الى ذلك السيد العظيم متفانين في حبه سالكين في خدمته سبيل الامـــانة والمروءة والاستقامة فاشتد بهم الشيخ أزراً واعتز فخراً . ولذا فقد افضى بجميع اشغاله ومهماته اليهم فعين المستشارين والكتاب والنظار والجند والحرس من الشقراويين عموماً ومن بني ابي شقرا خصوصاً فغدا والشقراويون له عدة وعديد مرهوب الجانب مخشي الصولة والشوكة بعيد الهمة منتشر الصيت طيب الذكر وهاك قصة من بعض نوادر ذلك الشيخ الكبير التي لا تزال مرددة على السن ابناء الشوف في الليالي الطوال

قدم عليه ذات يوم بيك من اكابر بلاد حمص وحماه يشكو اليه نوب الزمن و كيف قلبت له الايام ظهر المجن (٢) فاذلته بعد العز وافقرته بعد الغنى وقبضت عـــلى اخ له الحمل على الادهم (٣) وايداعه في دمشق محبس الدم يتقاضاه ولاة الحل والعقد عشرة آلاف قرش ليخلوا له عليها سبيلا والا فلا . فقال له الشيخ ايمت الشيخ علي جنبلاط عـــلى امل

(١) يروي بعضهم ان في المناصف اربع عشرة عيلة كانت تكدّبة الغرض ، لا جنبلاطية ولا يزبكية
(٢) تغيرت عليه من حسن الى سيء (٣) ي بات محبوساً مقيداً .

انّ بجديك مثل هذا المبلغ ام لكي يشفع لاخيك تجاه ارباب الامر ويسعى في امر اطلاق سراحه ؟فقال لا بل صيت الشيخ الذي تأرّجت به ارجاء حمص وحماة قد حملني على المثول لديه شاكياً مجتدياً . فجئت وملء فؤادي الامل بأنه يتبرع عليّ بنصف المبلغ المطلوب من جيبه الخاص حيث انه نصف هذه البلاد ويصدر امره بكتاب الى بقية السادة في البلاد فيجمع لي النصف الآخر شاشة منهم فابتسم الشيخ وقد هزته الاريحية الجنبلاطية فنفح ذلك المسكين بخمسة آلاف قرش وشفعها بكتب الى رؤساء العشائر الأخر لتجمع له غلاقة المطلوب فنقد ذلك البيك الجدوى مقبلا يد الشيخ ثم شكر له ودعا ومضى على طريق الجبل فقال له بعض خدم الشيخ يا هذا طريقك من هذه الجهة نحو العرقوب والجرد وديو القمر لا من حيث توجهت فاجابهم نعم ولكنني بعد نيلي من الشيخ علي هبة خمسة آلاف قرش يصعب عليّ حمل منة غيره من السادة الاماثل الكرام بل اني فكرت في أن لم يزل لنا شيء من السلاح والخيل وحلي النساء فنبيع من ذلك ما يقوم بغلاقة المبلغ فنفكّ به سجيننا ونبقى اعزاء لا يثقلنا فضل احد ولا تنحني رؤوسنا امام احد غير ذلك الشيخ الجنبلاطي الجليل فاسرع الخدم الى سيدهم واخبروه بما بدا من ذلك فامر للحال باثنين من خيالته يتبعانه ويرجعانه اليه . فادركه الخيالان عند عين ياقوتة حيث ترجل لمناولة الزاد فارجعاه الى بعذران وقد خامره الجزع من ذلك حتى انه جعل يغريهما بالمال ليخلياه وشأنه فلم يفلح ولما مثل بين يدي الشيخ ثانية قال له احقيقة ما قلته للخدم؟قال نعم قلت كذا وكذا فهلّ وجه الشيخ واشرقت اسرّته سروراً ففاضت مكرماته عليه بخمسة آلاف قرش أخر فاخذها مالثاً الارض شكراً ودعاء له وانصرف فرحا مغتبطا فتأمل .

ابناء الشيخ علي واحفاده

ورزق الشيخ علي خمسة بنين: قاسم ونجم وفارس ويونس وحسين. اما حسين فشب مغرماً ببناء القصور واعلاء الشرفات فابتنى في بعذران الدار الضخمة المشهورة باتقان بنائها المسماة الدار المصالبة وبنى ايضاً في صيدا جانباً من الجامع القائم قدام بوابة تلك المدينة ومات بلا عقب واما يونس فاقطع والده له الخريبة فابتنى فيها داراً مشيدة الاركان. واما نجم فخرجت المختارة بنصيبه فاقام في دور اجداده لامه بني القاضي المنقرضين واما قاسم فبقي في بعذران مكان ابيه . وولد قاسم بشيراً وحسناً واسمعيل وتوفي اسمعيل بدون عقب موصياً بنصيبه من جميع التركة لاخيه بشير ولم يحرز الشيخ حسن منها غير الحصان السقلاوي الذي كان سبباً لموت اخيه بوقوعه عن ظهره في بتدين. وبشير ولد نعمان وسعيداً واسمعيل . فنعمان واسمعيل ماتا بلا

عقب . وولد سعيد نجيباً ونسيباً وولد نجيب علياً وفؤداً . واما حسن فولد علياً واحمد وقاسماً وامينا وابا احمد وتوفي الاخيرون بلا عقب. وولد علي حسيناً وحسين سليما ومات سليم بلا عقب واما احمد فولد علياً وولد علي حسيباً وشكيباً وتوفي حسيب بلا عقب .

واما يونس فولد خطاراً وتوفي خطار عن ابنتين تزوجتا بالشيخ بشير والشيخ حسن غير انه اوصى بجميع تركته الى ابنته زوجة الشيخ بشير حارماً اختها وذلك لانه كان يبغض صهريه كليهما فلما دنت منه الوفاة جعل الشيخ بشير يحسن معه المعاملة ويبذل ما في وسعه لجعله قرير العين اما الشيخ حسن فعندما كان رجاله يشيرون عليه باحتذاء حذواخيه ويخوفونه عاقبة حرمانه من تركة عمه الجسيمة كان يشير الى السيف المعلق بالوتد اي لا يعز عليه مطلب مازال حسامه معلقاً . وعندما افاضت روح العليل تلا صك" الوصية احد خاصة الشيخ بشير فجعل يسرع في تلاوتها ويخفض صوته في العبارات الموصى بها للشيخ بشير وعندما وصل الى ما اوصي به للشيخ حسن قال بصوت عال: واما الحصان السقلاوي المشهور الازرق اللون فلولدنا حسن قاسم جنبلاط . آه . وهذا سبب زيادة ثروة بني الشيخ بشير جنبلاط عن ثروة بني الشيخ حسن اي ان بشيراً ورث اولا ثلثي تركة ابيه وكامل تركة عمه يونس ولم يرث حسن الا ثلث تركة والده فقط

واما نجم فولد علياً ومحموداً وابا قاسم وسيد احمد . اما ابو قاسم وسيد احمد فقتلا غير تاركين عقباً واما علي فولد نجماً وخليلا وداود ودعيبس واحمد . فنجم وخليل قتلا ودعيبس توفي بلا عقب. وولد داود بشيراً وسليمان وفريداً ورشيداً ومجيداً وولد احمد خليلا وعبد الحميد . واما محمود فولد احمد واحمد محموداً ومحمود ولد بهجت .

واما فارس فولد خطاراً وكليباً . فخطار ولد ابا سعدى وابو سعدى ولد خطاراً وعبد السلام وابا حسين وتوفوا كلهم بلا عقب منحصراً ارثهم بنسيب بك السعيد. واما كليب فولد حموداً وحمود ولد قاسما وامينا وفارساً . وقاسم ولد كاملا. وامين ولد شكيباً وفريداً ورشيداً. وفارس ولد شريفاً .

حادثة

ابناء الشيخ قاسم وابناء الشيخ نجم

سنة ١٢٢٠

ولما أفل نجم الشيخ علي جنبلاط الكبير وصرمت المنون حبل حيـاته (١) مرحوماً ومأسوفاً عليه استقل بالاحكام بعده ولداه قاسم ونجم دون اخوتهما فاضحى الحكم ومـا يجري عليه من الوظائف والواردات مناصفة ما بين داري بعذران والمختارة فحدث بينهما خلاف لا بد من حدوثه في مثل حالة كهذه ، وجعلت عوامل الشحناء تشتد واسباب الحفيظة والبغضاء تتفاقم بين ذينك الحاكمين المشتركين .

اما الشيخ قاسم فقد ورث مودة ابيه للشقراويين وعظيم ثقته بهم كما انهم سلكوا من سبل الاخلاص له وخدمته بالامانة والشهامة ما سلكوه في خدمـة والده واما الشيخ نجم فقد نبذ مبادىء والده ظهرياً فعادى اصحابه مصاحباً اعداءه اذ احصف مع بني عبد الصمد ومن ينتمي اليهم في الغرض مواثيق العلاقة والمحبة وعقدوا معه الخناصر على مقاومة الشيخ قاسم ومخالفة سياسته وما يتوخاه من المآرب والمشارب فكانت سياستهما هذه اشبه بامرأة علقت بحمل الا انها لم تضعه الا في عهد ابنائهما بشير وحسن ولدي الشيخ قاسم ، وسيد احمد وابي قاسم ولدي الشيخ نجم حيث استحكمت العداوة والشنآن من القلوب وتجاهر الفريقان بالمناقضة والبغض حتى اذا كانت سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥م) اخذ ابناء الشيخ نجم يتدبران مكيدة للفتك بنظيريهما والايقاع بابني عمهما بغية ان يستقلا وحدهما بتقلد الاحكام وامتلاك التركة الجنبلاطية برمتها فاستدعيا ذات يوم وجوه بني عبد الصمد ووجوه بقية عيال الشوف المنتمية اليهم الى المختارة وعقدوا مؤتمراً قر فيه القرار على الفتك بالشيخ بشير وشقيقه في الليلة التالية ثم ارفضوا على هذه الموافقة بعد ان تحالفوا مغلظين اليمين بكتمان السر وعدم اباحة الامر وكان ممن انخرطوا في سلك هذه المؤامرة الامير ملا الارسلاني محتداً والغريفي موطناً فعز على هذا الامير الفاضل الرزء العتيد بمثل الشيخين بشير وحسن ووصول العداوة بين

---

(١) مات الشيخ علي جنبلاط سنة ١١٩٢ هـ (١٧٧٨) سنة الثلجة القوية المشهورة (تاريخ ولاية سليمان باشا)

البيتين الاعظمين في جنبلاط الى درجة سفك الدم فحدثته نفسه بتحذيرهما من الشر المفاجىء والخطر الملم فتظاهر بالمجيء الى عين قنية وطرق صهره الشيخ ابي سعدى جنبلاط ليبيت عنده فلما وصل الى عين قنية ربط حصانه الى زيتونة تحت تلك القرية وخف مسرعاً الى بعذران فقرع باب الشيخين المذكورين فهب اليه بشير من سريره حافياً مكشوف الرأس فقال له مالك يا امير ملا ؟ فاجابه: من له خصم كأبي قاسم وسيد احمد لا يقوم هذه القومة في مثل هذه الساعة ومثل هذه الاحوال . فقال : مـــا الامر وما وراءك يا عصام ؟ قال : الساعة الثامنة من هذه الليلة سيتدحرج البطيخ في هذا الميدان قال زدني ايضاحاً قال اني — ابيت اللعن — لقد حلفت يميناً فلا يمكنني الايضاح باكثر مما اوضحت .قال هذا ومضى مهرولا فبهت الشيخ هنيهة وهو يتفكر في ما قد جرى وما سوف يجري فابانت له فطنته كاشفة نقاب الشك عن وجه اليقين ان المكيدة قد دبرت وانه واخاه ليذهبان فريسة المطامع اذا هما لم يتدبرا في تلك الليلة لنفسها تدبر ذوي الحزم والعزم وانشد في نفسه قول عنترة .

واذا بليت بظالم كن ظالماً　　　واذا لقيت ذوي الجهالة فأجهل

وفي الحال اعلم اخاه بالامر فبادرا بتأليب نحو خمسين رجلا من الاعوان والحشم وسارا بهم دون ان يطلعاهم على جلية الامر حتى دخلوا المختارة فعند ذلك فرق الشيخ بشير رجاله لمرابطة النقط المهمة واضعاً خمسة منهم في جنينة الفصة الواقعة تحت الممشى العتيق وخمسة على باب الدهليز الذي تحت الحمام وابقى خمسة على البوابة التي بين الميدان العتيق ودار البركة ثم عمد هو الى البوابة المذكورة فدفعها برجله دفعة اوقعتها افلاذاً ودخل في عشرة رجال نحو المصالب الذي يحاذي البوابة الشمالية حيث ينام الشيخ ابو قاسم فدفع بابه فكسره فاستفاق الشيخ ابو قاسم مذعوراً فقفز الى القمندلون يحاول الهرب والنجاة فاخفق امله حين رأى الخمسة الرجال المرابطين تحت الشبابيك قاطعين عليه سبيل النجـــاة. فدهمته الحيرة فاذا بالشيخ البشير قد خرق الباب مطلقاً عليه قرابينته فالقـــاه صريعاً فتركه يتخبط بدمه ورجع نحو اخيه فاعترضه رجل من بني شمس من غريفة كان نائماً عنـد الشيخ ابي قاسم قائلا له أنأكل لحمنا بايدينا يا سيدنا الشيخ ؟ فدفعه الشيخ برجله غير ملتفت الى نفاقه وهمّ نحو اخيه حسن فوجده يحاول عبثا كسر البوابة الشمالية التي على رأس الدرج فلما اتحدت قوتاهما تسنى لهما كسرها لاول دفعة رغماً عن صلابتها فدخلا الى الشيخ سيداحمد فلم يعثرا عليه اذ كان قد اخلى مكانه وفرّ ناجياً بنفسه غداة سماعه قواس اخيه في الدار القبلية فقال له حسن اما ان يكون عند الشيخ علي ابي حمزه (١) في الحريبة واما عند احمد

---

(١) لدى الشيخ سعيد خطار ابي حمزة وثيقة تثبت اجماع بني يزبك على تفويض امورهم الى الشيخ اسمعيل ابي حمزة (روحاني وجسماني) مؤرخة في سنة ١١٩٢ بامضاء الشيخ عبد السلام عماد وباشارة من الامير يوسف الشهابي.

السعدي في بطمه وبناء على ذلك صعد حسن ببعض نفر الى الخريبة وصعد بشير بالنفر الباقين الى بطمه فلما بلغوا ساحة هذه القرية تأملوا في بيوتها فرأوا جميعها مظلمة ماعدا بيتاً واحداً يتخلل الضوء من شقوق بابه وشباكه فسئل عنه فقيل انه بيت احمد السعدي فقصده الشيخ آمراً رجاله بالاحاطة به من كل صوب فاحاطوا به احاطة السوار بالمعصم وبينما هم اذا بالضوء قد أطفىء فقرع الشيخ بشير الباب ففتحوا له فأمرهم بالضوء فأضاءوا فسألهم عن الشيخ سيد احمد فانكروا وجدانه عندهم ففتش عليه فرآه مختبئاً في بيت المؤونة فاخذه بيده واخرجه الى صحن البيت وتناول قرابينته ليطلق عليه الرصاص فاذا بها فارغة فجعل رجاله يقدمون له بنادقهم ليقضي بها الامر فابى ان يسفك دم جنبلاطي بغير سلاح جنبلاطي وامهله ريثما حشا بارودته وبينما كان يحشوها كان سيد احمد يترامى على قدميه راجيا منه العفو فيقول له بشير مت شريفا يا سيد احمد ثم اطلقها على ظهره وهو جالس فاعدمته الحياة وبعد ذلك امر صحبه الثلاثة عشر رجلا بقتل احمد السعدي ففقسوا عليه بواريدهم الثلاث عشرة فلم تثر منها واحدة قط فحاولوا اعدامه بالضرب فمنعهم الشيخ قائلا ليس لله في موته ارادة وركب راجعاً نحو المختارة فلما اطل من رأس الرابية المشرفة على الشوف بدت له المصابيح المحمولة من الجماهير القادمة من بعقلين وغريفة والمزرعة وغيرها عند عين العبشة وزيتونات شرتاح تنفيذاً لمواعدة الشيخين اللذين ((قتلا قبل ان يَقتلا وأكلا عشاء قبل ان يأكلا غداء)) . فامر بان يحوربوا علامة للظفر فحوربوا مختتمين بقولهم : راعي الدار الشيخ حسن ذباح الخيل بوعلي . وفقسوا بواريدهم فثارت كلها (فتعجب) فاستولى الرعب والانذهال على اولئك المتآمرين بغتة وقد اصبح الحيّ عندهم افضل من الميت فانقلبوا على اعقابهم مخفقة منهم الآمال خائبة منهم الاماني .

وبعد ذلك استقل الشيخ بشير باحكام البلاد وبتركة آبائه متخذاً المختـــارة مركزاً له ومتخلياً عن نصيبه في دار بعذران لاخيه حسن ثم كان ما كان بينـــه وبين الاميرين يوسف وبشير الشهابيين كما سبق درجه في هذا التاريخ وقيام ولده نعمان بعده وما جرى له ولرفاقه من رؤساء العشائر في حوادث ابراهيم باشا المصري .

مسألة ودائع الشيخ بشير جنبلاط واخيه الشيخ حسن

لما اصطلت نار الحرب بين الشيخ بشير والامير بشير رأى الشيخ اخيراً ان الفشل سيحل بجنوده واعوانه وستغتالهم كثرة عدد الاعداء فعول على الجلاء من وجه الامير وكانت خزائنه مملوءة نقوداً وحلي وجواهر الخ . فخاف على تلك الخزائن ان تعبث بها يد الظافر المستبد فرأى ايداعها عند بعض بني عبد الصمد ولم يدعها عند بني ابي شقرا لاسباب منها ان بني ابي شقرا

مظنة للوديعة نظراً لثقة الشيخ بهم وانهم على فرض انكساره لايستطيعون كتم امرها لما سينالهم من المظالم والعقوبات وضرب الامير على ايديهم بعصا من حديد . ومنها انه على فرض انتصاره ونكرانهم اياها فلا يسعه معاداتهم واجراء الحيف عليهم لانهم رجاله الخاصة ويعز عليه فقد محبتهم . اما اذا كانت مودوعة عند بني عبد الصمد فلا يصعب عليه استحصالها بواسطة بني ابي شقرا وغيرهم من الجنبلاطيين فيفعل ما يبدو له فعله غير مبال برضاء منهم او كدر والله اعلم بالسرائر » فضرب الشيخ بشير لكل من ابي علي حمود ويوسف جمول واحمد علي عبد الصمد ميعاداً تصلهم فيه الاموال محمولة على ثلاثة بغال كل بغل يقوده رجل واوصى كل قائد بان يسير ليلاً في الطريق الفلانية حتى اذا وصل الى المحل الفلاني ورأى رجلا حليته كيت وكيت يسلمه رسن البغل ويرجع دون ان يسأله عن اسمه وهلم جرا. واما الشيخ حسن فقد ودع امواله عند حسين محمود فيصل عبد الصمد(١) وزين الدين ملاك وابو الخير ملاك من حارة جندل وسرحال سليمان عبد الصمد وعند بني فرحات من نيحا فلما دارت الدائرة على الشيخين وعساكرهما وصارت حالتها الى ما صارت اليه تصرف المستودعون بالودائع واكلوها غنائم باردة ولما طلبها ابناء الشيخين المذكورين انكروها فلا احد أقر بشيء منها ما عدا سرحال سليمان عبد الصمد فانه اقر بالوديعة لاحمد بك جنبلاط ورد له منها قسما يسيراً

(١) ويروى ان حسين محمود طمر الوديعة في الارض ومات دون ان يطلع احداً على مكانها وقد بحث ابناؤه عنها بعد وفاته فلم يهتدوا اليها.

حادثة
نعمان بك وابناء الشيخ علي النجم

انه بعد عود نعمان بك ابن بشير بن قاسم بن علي بن ربح جنبلاط من مصر بمن عاد من مقاطعجية البلاد واستقراره بالمختارة هو واخواه سعيد واسماعيل مديراً شؤون البلاد على عهد الامير بشير ابي طحين قام الشيخان نجم وخليل ابناء علي بن نجم بن علي بن ربح جنبلاط يدعيان بارث اسلافهما ويطلبان من نعمان بك رفع يده عما ابتزه من املاك عميهما سيد احمد وابي قاسم وتسليمهما ذلك بعد ان احسنا العلائق واحصفا الوثائق مع المقاطعجية من بني يزبك الذين كانوا يحسدون ابناء الشيخ بشير على وفير غنائم وبسطة يدهم وعظيم جاههم وسؤددهم فرفض نعمان بك طلبهما وجعل النزاع يشتد والاحن تحتدم بين ذينيك البيتين الكبيرين فركب المدعيان الى رؤساء البلاد شاكين اليهم امرهما وطالبين منهم مظافرتهما والاخذ بناصرهما في هذه الدعوى المهمة فاجابة لاستنصارهما ركب في احد الايام من سنة ١٢٧٩ (١) نصيف بك ابو نكد وخطار بك عماد ومشايخ شانيه الروحيون وحلوا في دار نعمان بك ضيوفاً كراماً فدار البحث بين هؤلاء الضيوف ومضيفهم على مسألة التداعي والخصومة الحاصلة بينه وبين ابناء عمه فأدى الى الاستشاطة والمنافرة ما بين نعمان بك وخطار بك فانتصب نعمان بك واقفاً وقال لو تفوَّه نصيف بك او قضى عليَّ بشيء لما صددت له ارادة او اعترضت له على حكم نظراً لوفير فضله وحصيف عقله ولأني اعده كوالد لي ذي يد مفوضة العمل والتصرف بجميع ما املك من الثابت والمنقول وما يتعلق بي من الامور والشؤون الخ ولكن انت يا كلب العرقوب ماذا يعنيك لتكون فضوليا في هذا الامر؟ الخ. فاستل خطار بك حسامه منتهراً اياه على هذا الكلام واستل نعمان ايضاً حسامه وهجم كل على صاحبه فحجزهما الحاضرون فسبقت من نعمان بك ضربة على خصمه اصابت العتبة العليا من المقعد الصيفي ففرت منها قطعة لم يزل أثرها بائناً الى اليوم اما نصيف بك فلسماعه من نعمان بك ما سمع غدا مائلا اليه بالباطن والظاهر فاخذ خطار بك ناحية واوعز اليه ان

(١) في هذا التاريخ خطأ ، لان نعمان بك اعتزل حكم الشوف وترك المختارة قبل هذا التاريخ بزمن .

يروح فراح دون وداع ولما خلا هو بنعمان بك خوّله نعمان بك التصرف ببضعة املاك جارية بملك الشيخ احمد حسن جنبلاط واخيه قاسم بك حسن واقعة بسقي صيدا . فبات نصيف بك تلك الليلة في المختارة وفي اليوم التالي راح مسرور الخاطر قرير العين بما حصل له من التخويل والتمليك بعقارات كانت من قبل لآبائه . وعلم الشيخ حسين تلحوق بما توقع في المختارة فهرع الى نعمان بك مسرعاً فبينما هما يتحدثان في مسألة الأمس اذا برجلين من البارودك هما ابو محمود محمود وابراهيم صقر الحداد حاملين عرضحال ممضياً وممهوراً من مئة وثمانين رجـــلا من وجوه العرقوب يسترحمون به عزل بني عماد عن مديرية العرقوب والالقاء بمقاليدها لبني ابي علوان وذلك لاستئناس ذوي الغرض الجنبلاطي من اهالي العرقوب بما شاع من نبأ الخـــلاف والتشاجر الذي حصل بين نعمان بك وخطار بك وقد دفعاه لنعمان بك فاخذهما على حدة وصرفهما وجاء بالعرضحال فدفعه للشيخ حسين تلحوق قائلا له اليك فوالله لولا حبي لخطار بك ومحافظتي على ما كان بين والدينا من الحب الاكيد والصداقة الوثقى "لأفعلن وافعلن" فحمل الشيخ حسين ذلك العرضحال الى بريح واراه لخطار بك مشدداً عليه النكير والملامة بما كاشف به ابناء الشيخ بشير من المخاصمة والعدوان مذكراً اياه بالحوادث الماضية وما كان بين والديهما من محصف عرى المودة والعلاقة ولم يزل به حتى اقنعه بالمجيء معه الى المختارة فجاءها معتذراً لنعمان بك عما فرط منه اليه واعتذر له نعمان بك ايضاً عما فرط منه من الاهانة له داعياً على نفسه مدعياً انه كان ساعتئذ سكران الخ .

وبالغ نعمان بك في اكرام وفادة ضيفيه تلك الليلة ولم يدعها يبرحان في اليوم التـالي حتى حرر لخطار بك صكاً بمزرعة عميق من البقاع الغربي . وللشيخ حسين صكاً آخر بمزرعة قبر عباس المحاذية لقرية جبجنين وهكذا غدا جميع رؤساء الطائفة الدرزية مائلين الى نعمان بك جنبلاط ومنتصرين له غير معترضين له على حكم ولا ممانعين له اجراء امر ووهت بازاء قوتـه قوة اخصامه وما يتشبثون به من الحق في دعواهم التي ادعوها ولما بلغ منهم اليـأس رضوا بمزرعة الجرمق وان يأخذوها تخارجاً عن جميع ما يدعون به من الانصبة والحقوق في بقيـة المزارع فتظاهر نعمان بك بالرضاء بذلك ووعدهم بأنه سوف يحرر لهم صكاً بالجرمق وجعل يماطلهم بالوعد ولما امضتهم المماطلة وشفهم الانتظار حرروا صورة صك واعطوهـــا لكاتبهم يوسف جمول عبد الصمد ليمضيها ويمهرها من نعمان بك فرأى يوسف جمول نعمان بك ماشياً نحو مجلسه فسأله التوقيع على الصك فتناول مهرهه مغضباً وطلب حبراً عـلى رأس خنصره وهو يقول:أعلى الطريق أعلى الطريق؟ثم وقع على الصك بشدة فمزقه فاظهر كدره من تمزقه وقال للكاتب حرر صكاً آخر وائتني به فمضى الى اسياده واخبرهم بما توقع اما نعمان بك فلم

تمض عليه ساعة حتى تناول قرابينته فحشاها بارودا ورصاصا ودعا خادمه عبد القادر الارناووطي الاصل وكان شديد البأس جداً فتبعه بعد ان حشا قرابينته ايضاً فدخلا على مقعد اولاد الشيخ علي النجم (الواقع فوق الميدان العتيق) فجعل نعمان بك يشدد النكير على يوسف جمول لتعرضه له في الطريق وهو ابن الشيخ بشير الجنبلاطي زاعماً ان في ذلك حطاً من شانـــه واخيراً قال لنجم وخليل ايتيانا بدواة وقرطاس لنحرر صكاً آخر فتشاغلا باعداد معدات الكتابة فاصلى نعمان بك قرابينته واومأ الى خادمه ففعل ايضاً واطلق نعمان بك على الشيخ نجم فرماه قتيلاً واطلق عبد القادر على الشيخ خليل فجرحه فهرب خارجاً وصعد سلم الدرج الشرقي فتبعه نعمان بك فضربه بحسامه فألحقه بأخيه فأتى محمد اسمعيل عاد عبد الصمد احـد خدم الشيخين المقتولين فكبر عليه ماحل بأسياده من الموت الزؤام فمد بندقيته فاطلقها على نعمان بك فأخطأته الرصاصة واصابت قاسم بك اليوسف حمادي فجرحته .

واستولى نعمان بك بعد هذه الحادثة على تركة البيتين برمتها مستقلاً وحده باحكام الشوف وتوابعها ولما كان وراء المقتولين اولاد قُصّر تخلى لهم عن مزرعة صليا بقرب مرج بسري وعن بعض عقارات في وادي بطمه فقط ليعيشوا من ريعها .

ثم بدا لنعمان بك الاعتزال فتخلى عن كرسي الحكم وعن بيته أيضـاً لاخيه سعيد بك واقام ببيروت ردحاً من الزمن يتفنن فيها العبادة والصلاة وتجري عليه الوظيفة من اخيه خمسة وسبعون الف غرش في كل سنة واخيراً تناقصت الى الخمسة والعشرين الفـاً وبقي في بيروت حتى وافته المنون سنة ١٢٩٦ وكانت مدة ولاية سعيد بك ١٨ سنة .

أسماء المزارع التي وضع نصيف بك نكد وأخوه الشيخ حمود يدهما عليها من املاك الشيخ أحمد جنبلاط

حصة كفرمتى وبواردين وبستان السفرجل في الشحار والفخيتة وقتلة عيسى وبقعون العليا وبقعون السفلى والبرجين والمرجيات في اقليم الخروب. والبرامية وبساتين السقي وهي مكسر العبد وبستان الامير بما فيه حصة الشيخ داود حالا وحصة السيدة خولا المشتراة من بني هاشم المشترين من سليم بك جنبلاط . وبستان بيت مور . وقد بقيت هذه الاملاك كلها بيد نصيف بك نكد واخيه تسع سنين وفي سنة ١٢٧٤ أقـام الشيخ احمد واخوه قاسم بك جنبلاط الدعوى بها فجرت المصالحة على قسمتهـا مناصفة نصف لهما ونصف للمدعى عليهما المذكورين .

اسماء القرى والمزارع الجارية بمالك بني سعيد بك جنبلاط حالا اى سنة ١٣١٨ هجرية (١٩٠٠)

(في ساحل بيروت) حصة في الحدث . حصة في صحراء الشويفات . حصة في بشامون . حصة في سرحمول . (في اقليم الخروب) بيقون . ربع بسابا . مجدلونا . قسم في المغيرية . مبلين . ربع الرميله . نصف علمان . البرغوثية . حارة جون . بزينة . جزيرة الوطاويط . (في اقليم جزين) الماصوص . رخصة . الغباطية . الهواتية . الشامخة . خربة الملايكة . قسم في عربه . وادي جزين . حصة عظيمة في جزين . الحميدية . القبع . القبع . خرخيا . حيداب . عين مجدالية . رمشيه . (جبل الريحان) الجرمق . الدمشقية . قروح . داريا . حصة في الريحان . حصة في القطرانة . (اقليم التفاح) نصف كفرحتة . زغدرايا . كفرفالوس . (سقي صيدا) بستان الشيخ . بستان البحر . (اقليم بسري تابع جزين) بسري . الزعرور نصف قتاله . بعانوب . اتال . نصف صفاريه . قلعة ابو الحسن . روس الافرنج . ماروس الجوانية . ماروس البرانية . يتبع ذلك من تركة خطار بك نصف عريض ناصر . الهلالية . نصف بيصور في اقليم التفاح .

المزارع التي بيعت مؤخراً

الحمصية . القبع . قسم من حصة جزين . حصة عريض ناصر . حصة بيصور . بزينه (اقليم الخروب ثمنها ٣ آلاف ليرا) مجدلونا زيتون بسري . حصة القطرانه . حصة كفرمتى . حصة الكحلونية . حصة حارة جندل . حصة بطمه . حصة بعذران . حصة مرستي . حصة بشامون حصة سرحمول .

مسألة الفتك ببني عبد الصمد [١]

انه لما فتك الشيخين بشير وحسن الجنبلاطيان بابني عمهما ابي قاسم وسيد احمد اجلاهما الامير يوسف الشهابي عن البلاد جرياً على العادة في ذلك العصر . فارتحلا الى جبل حوران واقاما عند الشيخ يوسف الحمدان شيخ السويدا وتوابعها سبعة اشهر . وقد كال للشيخ حسن

---

(١) ورد في كتاب : (لبنان في عهد الامراء الشهابيين) ص ١٨٥ ما يلي : « وفي هذه السنة (١٢١١ هـ) كبس الشيخ حسن جنبلاط بيت عبد الصمد الى عماطور وقتل اكثرهم وهرب منهم علي من الحبس وتوجه الى عند الجزار»

خادم من بني القهوجي اسمه خليل طابع وكان هذا الخادم كثيراً ما يجيء ويروح موفداً من سيديه الكريمين لقضاء حاجات ومهمات لهما. اما الامير يوسف ففي مدة غيابهما كمي الشوف قد اقام وكيلا للمديرية هو ابو عبيس علاء الدين عبد الصمد ووضع في داري الشيخين المذكورين جماعة من بني عبد الصمد وبني ملاك كحوالية عليهما اذ بقيت حرمهما في الشوف ولم يبرحن داريهما . فاتفق يوماً ان المدعو برجاس عبد الصمد اتى خليل طابع وقد علم بمجيئه من حوران فقال له (متى رجعت الى حوران سلم على روحك واخي ابي علي وقل له برجاس عبد الصمد صار صهرك) وسبب ذلك ان برجاس المذكور احد الحوالية قد رأى ذات يوم احدى السيدات مارة من غرفة الى غرفة فسلبها صفيتها عن رأسها . فحينما وصل خليل الى سيده البشير اخبره بما سمعه من برجاس عبد الصمد فعظم عليه ذلك الكلام جداً واخذ منه الكدر كل مأخذ ولكنه اخفى حنقه منتظراً ما تأتي به الايام واوصى خليلا بألاّ يخبر اخاه حسناً بذلك فاتفق وهو يوصيه بكتمان الخبر ان كان حسن داخلا عليهما فسمعه يقول اياك تخبر حسناً بذلك فسأله: عمّ توصيه بألا يخبرني ؟ فلم يوضح له وبدا عليه الغضب فتهدد الخادم بالقتل ان هو اصر على الكتمان فابان له عند ذلك وقص عليه الخبر فهاج الشيخ حسن (١) وغدا يبرق ويرعد ويتهدد ويتوعد وللحال امر بجواده فشد له عليه وبسلاحه فاعد لديه فاخذ بشير يحاول اخماد سورة غضبه ومنعه عن الركوب ريثما يترويان في القضية واتيانها من حيث يضمن لهما النجاح فلم يفلح فقال له اخيراً وما مرادك من الشخوص الى لبنان قال مرادي ان اذهب الى ذلك الجبل فاضربه بحسامي ضربتين متقاطعتين فيغدو قطعاً اربع ثم اركز الحسام في كل قطعة فاقلبها على جبال قبرص فقال بشير هذا كبير على مثلك فاجابه متى صار برجاس عبد الصمد صهراً لمثلي فلا يعود مثل هذا الامر كبيراً عليّ ولما اعيا الشيخ بشير اقعاد اخيه ركب هو ايضاً فأتيا اصدقاء آل جنبلاط بني الخازن الكرام حكام البلاد الكسروانية فتوسطوا بينهما وبين الامير يوسف فقبلت وساطتهم على مبلغ من المال دفعاه للامير نقداً ثم اتيا من الشوف بلداً طال اليهما حنينه اشتياقاً واستقر كل منهما في داره (اي الشيخ بشير في المختارة والشيخ حسن في بعذران) وعاودت الاحكام منهما سيدين عظيمين فلما مرّ على قدومهما برهة سكنت فيهما الهواجس وركدت الوساوس دعا الشيخ حسن ثلثمائة رجل من العيال الجنبلاطية المنتمي كبني البعيني وكروم حروب وزين الدين وسيف

---

(٢) في كتاب (لبنان في عهد الامراء الشهابيين) ص ١٧٨ ما يلي : واجتهدوا الشيخ بشير نجم وابو عبيس عبد الصمد في التفتيش والبحث عن الشيخ حسن جنبلاط ليقتلوه عوضاً عن من قتل منهم .

وما اشبه ما عدا بني ابي شقرا فانه لم يدع منهم احداً في هذه المرة ، واعلمهم بما وطن عليه النفس من الفتك والايقاع ببني عبد الصمد جزاء ما شيعوه في البلاد من الاراجيف السيئة في غيابه وما اقدموا عليه من قبول وكالة مديريتهم على غير رضى منهم ممالأوه على قصده ووطنوا العزائم علـى تنفيذ ذلك المهم في تلك الليلة نفسها وعندمـا عولوا على الزحف علـى عماطور ارسل الشيخ حسن الى بني ابي شقرا من يخبرهم بمـا سيحدث ويوصيهم بأمر الشيخ بلزوم ايقـاف المحادل على سطوحهم ليميز بين البيت الشقراوي والصمدي وتسكير ابوابهم منعاً لدخول احد الصمديين اليها والاعتصام بها فانفذ الشقراويون الوصية الاولى وبعض الوصية الثانية اذ عندما هجم الشيخ برجاله على دور بـني عبد الصمد بغتة فتح معظم الشقراويين ابوابهم فالجأوا جانباً عظيماً من ابناء وطنهم فأدخلوهم اليها وخبأوهم فيها لأن بيوت العائلتين مختلطة ولذا لم يعثر الشيخ حسن الا على ثمـانية عشر صمدياً فقط فقادهم الى بعذران . اما الضالتان المنشودتان اي بو دعيبس علاء الدين وبرجاس فلم يقعا في يده ليلتئذ اذ ان بو دعيبس الواقع بيته في اقصى القرية من الجهة الغربية عندمـا احس بالرجال المهاجمة ركب جواده متوغلاً في حقول الزيتون حاثّه نحو دير القمر غير انه لما وصل تحت عين قنية وحوّل حصانه على طريق بوكة العروس ظفر به حمية البعيني وطوبيا البعيني (١) اللذان اكمنهما الشيخ بشير من اجله فالقيا عليه القبض وكان يصحبه رجل اسمه قيصر عبد الصمد فتفلت منهما ونجا بنفسه فامر الشيخ بتقطيع رأس بو دعيبس (٢) واوصاله ووضعهـا على جسمه الى ان يصدر الامر بايداعها الثرى واما برجاس المذكور فقد كان ليلتئذ غائبـاً عن اهله وحين طرق مسمعه نبأ الفاجعة التي حلت بقومه بسببه اوسع في البر هرباً وغادر جبل لبنان متنقلا من مكان الى آخر في البلاد الجنوبية يقطع الطرق مرابطاً على البلاطة الصفراء ويعتاش بما يبتزه من ابناء السبيل وبقي على مثل هذه الحالة سبع وعشرين سنة لا يطأ ارضاً لبنانية بقدم سكناه الكهوف والبراري فلا يأوي القرى ابداً اذ طالما بعث الشيخان البعوث لقتله فما من احد ظفر به . وفي يوم الواقعة نفسه قتل بنو منكر المناولة اصدقاء آل جنبلاط اربعة رجال من العائلة الصمدية ظفروا بهم في عين الدلب من اقليم التفاح وذلك بايعاز من الشيخ بشير واخيه واما الثمانية عشر رجلاً الذين قيدوا الى بعذران فقد اودعوا القبو العميق ولما كان

---

(١) هو رجل من مسيحيي مزرعة الشوف انتسب الى بني البعيني لشدة محبته لهم وقـد كان ذا صفات حسنة وخلال محمودة . (المؤلف)

(٢) يجمل الامير حيدر الشهابي مقتل ابي دعيبس عبد الصمد سنة ١٢١٦ ﻫ (١٨٠١) ولا يذكر مقتل السبعة عشر المار ذكرهم مع مقتله (لبنان في عهد الامراء الشهابيين . ص ٣٥٧)

اصيل اليوم التالي وفد على بعذران خمسة وعشرون خيالا من قبل الامـــير يوسف يحملون للشيخ حسن امراً يقضي عليه بتسليمه لهم الصمديين الذين القى عليهم القبض بالامس ليؤخذوا الى دير القمر ولينظر هو في دعواهم بناء على الشكوى المرفوعة منهم لمقام الامارة على ايدي اهليهم فاظهر الشيخ حسن لخيالة الامير مزيد الاكرام واوسعهم هشاشة وبشاشة وجعل يعللهم بكؤوس الشراب ويلهيهم بالاحاديث وما قصده الا زوال النهار واستواء عذر له في عدم تسليمه اولئك المحابيس ليلا ثم امر الشيخ لهم بالزاد فتناولوا الطعام وبعد ان شربوا القهوة جعلوا يسألونه ويرجون منه تسليمهم المحابيس ليتمكنوا من الانصراف والوصول الى بتدين(١) قبل دهمة الظلام فقال لهم الشيخ اما اليوم فلا سبيل لانصرافكم اذ النهار قـــد اوشك ان يزول والمحابيس عديدون فلربما دهمت الظلماء وتفلت منهم احد فتقعون بذلك تحت طائلة الضرر والمسأولية واما في الغد فسأنفذ امر سعادته واسلمكم المحابيس باكراً ان شاء الله فلم يمكنهم الا الانصياع فوطنوا الانفس على المنامة في بعذران فلما كان نصف الليل امر الشيخ حسن ببضعة عشر نفراً من حشمه (و بزلمته) الخاص درويش سيف وكان رجلا طويل النجاد شديد السواعد والاضلاع ان يحضروا لديه واحداً من المعتقلين فاتوا باولهم مقبوضاً على عضديه من درويش سيف ويداه ممدودتان للامام فتناوله الشيخ حسن باليسرى واضعاً كفه اليمنى على عنقه وجعل يضغط عـلى بلعومه بشدة حتى التقت الاصبع بالابهام فجذب البلعوم فانقطع فوقع الرجل جثة لا حراك بها فامر الخدم بطرحها خارجاً واحضار رجل ثان فاحضروا الثاني والثالث الى السابع عشر فجرى بهم ما جرى برفيقهم الاول واما الثامن عشر واسمه صمود فلما احضر لديه جعل يقول كرخا كرخا اقدّم كرخا. فسأل الشيخ حسن عن امره فقيل له ان لهذا الرجل مزرعة اسمها كرخا فهو يحرر لسيدنا صك بيع بها اذا طابت نفس سيدنا بذلك واضرب عن هرقه دمه وكان الشيخ حسن مولعاً بالاملاك فلم يأبَ ذلك بل كتب على صمود صك بيع شرعي بمضي ومشهود به من شهود عدول «وقد بقيت هذه المزرعة بيد الشيخ حسن ويد ورثته مدة مديدة حتى استرجعها ابو علي ابن صمود المار ذكره من احمد ابن الشيخ حسن بعد حادثة سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢)».

ولما اصبح خيالة الامير طلبوا تسليمهم المحابيس فأمر الشيخ لهم بفتح القبو المودعين فيه فاذا بهم اشباح بلا ارواح وجثث ملقاة بعضها فوق بعض فراعهم ذلك المنظر وغدا الشيخ حسن يقول وهو يصفق كفاً على كف متظاهراً بالدهشة لا حول ولا قوة الا بالله العـــلي العظيم تشاجروا في هذا الليل فخنق بعضهم بعضاً فارجعوا يا اولادي واخبروا سيدكم الامير

(١) لعل دير القمر هي المقصودة هنا .

عما شاهدتموه وسمعتموه(١). اما الامير يوسف فلم يسمع دعوى مقتل بودعيبس علاءالدين اذ لم تقم على قتله بينة او شاهد قط واما القتلى الثمانية عشر فثبتت على الشيخ حسن فاصدر الامير الى الشيخ بشير أمراً يوجب عليه اجلاء اخيه الى حوران فابى حسن الجلاء فخوبر الامير بذلك فقال اذاً الى حاصبيا فابى حسن ايضاً . فقال الى كفرحونة فأبى ايضاً فقال اذاً الى اين يجلو؟فاجاب حسن انه لا يجلو الا الى جباع الشوف فخابر الشيخ بشير الامير يوسف بعناده ثم لم يزل به حتى اقنعه بجعل جباع الشوف محلي لاخيه فرضي قائلاً لا بأس فاننا قد نفيناه من محل اقامته الى محل آخر الى اجل غير محدود . فاقام الشيخ حسن بعيلته ردحاً يسيراً من الزمن في جباع الشوف ووضع الامير عليه خمسة وعشرين حوالياً من خيالته واخيراً دفع الشيخ حسن خمسين الف قرش دية القتلى فرفعت عنه اثقال الحوالية وفسخ عقد الجلاء

---

(١) انظر الملحق الثاني رقم -٨-

حركة الستين

مرت على دروز لبنان تلك السنوات الثاني عشرة كانها يوم واحد لفرط ما حصل لهم بخلالها من السعادة والاقبال وما اضحوا عليه من جانب السؤدد والعزة القعساء فساورت مهابتهم العباد وتجاوزت سطوتهم البلاد فقذيت عيون عداتهم لدن مرآهم على تلك الصورة يسكنون القصور العلية ويركبون الخيول المطهمة وهم شاكو الاسلحة الفاخرة عيشهم في الرخاء وخيرات الارض وبركات السماء تسح على ربوعهم وابلاً ورذاذاً .

وكانت المملكة الفرنسوية في ذلك الحين قد بلغت من القوة مبلغاً عظيماً وحلت من المجد على عهد امبراطورها نابليون الثالث اوجاً رفيعاً وقد كان هذا الامبراطور يحدق في جبل لبنان تحديق طامع الى افتراع هضبه طامع في ضمه الى ملكه ويؤنسه فيه وجود الطائفة المارونية الشديدة الاخلاص والتعلق بالدولة الافرنسية فكان الفرنسيس لا يفتأون عن بث روح الشقاق والنزاع بين سكان الجبل لعل لهم في نشوب حرب ضروس بين الدروز والنصارى سبيلاً الى احتلال لبنان ووضع سيطرتهم عليه فانبثت هذه الروح الشريرة بين جميع النصارى ونما لها في قلوبهم جذور متباينة الاصول والفروع فعقدوا الخناصر ووطنوا الانفس والعزائم على اضرام حرب يستطير شررها الى جميع الانحاء ويعم ضررها الاصدقاء والاعداء فشرعوا يزيفون عن خطـــة النصف والعدل غير مراعين حقوق الجوار وجعل بعضهم يقتفي آثار بعض في الافتراء وتحريك عوامل العداء كيف استطاعوا الى ذلك سبيلاً . واحست الدولة العلية بما غدا يدور عليه محور السياسة الافرنسية في جبل لبنــــان فجعلت تحاسن الدروز وتختصهم بالنعم حتى غدت على ثقة تامة من فرط اخلاصهم لها وشدة تعلقهم بالعرش العثماني الانور . وبناء على ذلك غدت المنافسة بين الطائفتين المذكورتين تتعاظم واسباب المباينة تتفاقم حتى برزت المشاحنات من حيز القول الى حيز الفعل وابتدأ اللبـنانيون في تشخيص دور هو اتعس الادوار واشأمها من رواياتهم التاريخية اما المبتدئون بالتمثيل فهم اخواننا الموارنة قدحوها شرارة فكانت شرارات تطايرن في سائر الانحاء فابلين معظم الجبل بنيران الحروب الاهلية الآكلة .

الشرارة الاولى

واول مسائل الفتك والغدر التي حدثت كانت في سنة ١٢٧٦ هجرية الموافقة سنة ١٨٥٩ مسيحة « اولاها مسألة بيت مري » واليك تفصيلها : بينما كان احد المكارين من دروز بيت مري يستورد من منهل تلك القرية ماء ينقله على ظهر حماره اذ دفع الحمار غلاماً نصرانياً في الطريق فاوقعه فصرخ الغلام فهب اليه نفر من اهله فاوسعوا ذلك المكاري اهانة وضرباً وطرحوه جريحاً مهشماً ومضوا . فعلا الصياح وتقاطر الاهلون الى حيث الضوضاء فجرت بين الدروز والنصارى منهم مشاجرة عنيفة افضت بهم الى مناولة السلاح وتطالق الرصاص فكانت معركة في تلك القرية هائلة انجلت عن مقتل ثمانية عشر درزياً واحد عشر نصرانياً اذ عدد نصارى بيت مري ضعف عدد دروزها فضلا عمن انجدهم من نصارى عين سعادة وبرمانا وغداة استفحل امر النصارى القوا النيران في منازل الدروز فاحرقوها وتصاعد دخانها في الفضاء فاتصل نبأ هذه الحادثة المحزنة بيوسف بك عبد الملك مقاطعه‌جي الجرد فجمع نفراً من رجاله واغار بهم جهة المتن فاوقع ببعض المتنيين وجعل يقتل اي نصراني اعترض له في طريقه وهو مع ذلك يحرق بيوت النصارى مقابلة للشيء بمثله وما انفك يهاجم الاعداء حتى دخل حمانا وقد انصرمت حبال ابن ذكاء وهجمت جيوش الظلماء فكف عن الهيجاء وقفل الى بتاتر ثائراً ظافراً .

وجيهي باشا يلافي الشر

فبلغ نبأ ذلك مسامع وجيهي باشا القومندان العثماني ببيروت فسار بعسكر جرار لملافاة الشر والحفاظ على السكينة . فضرب قبابه في محلة المديرج من حيث امر باطلاق المدافع على جورة المتن ارهاباً للمشاغبين وحقناً لدماء المتناضلين ثم بث الجنود في الانحاء تأييداً للسلم ومنعاً للحرب فلما سكنت الاحوال وحقنت مجاري الثورة والقتال باشر وجيهي باشا باستدعـــاء قائمقامي البلاد وجميع مقاطعجيتها فحضروا جميعاً ما عدا يوسف بك عبد الملك فانه لم يحضر خشية طائلة المجازاة عليه وممن حضر من مقاطعجية الدروز الامير محمد الامين الارسلاني الذي خلف اباه قائمقاماً على جبل الشوف سنة ١٢٧٥ (١٨٥٨) وخطار بك عماد وقاسم بك ابو نكد والشيخ حسين تلحوق وغيرهم وتأخر حضور سعيد بك جنبلاط وايسوا من مجيئه فعقد الباشا المخابرة والمداولة مع القائمقامين الامير محمد ارسلان والامير بشير بللمع ومن حضر

من المقاطعجية بشأن مسألتي اهالي بيت مري ويوسف بك عبد الملك فقر قرار قائمقامي الدروز والنصارى على الزام الدروز دفع ثلاثة وثلاثين الف غرش للنصارى مثل قيمة ما ناف من عدد القتلى ومن المحروق والمسلوب فبينما هم اذا بطلائع خيل سعيد بك جنبلاط قد اقبلت فقطعت جهينة (١) قول كل خطيب وساد السكوت حتى يحل صاحب الشوف ويؤخذ رأيه في القضية. فلما ضربت قبابه واجرى ما اجراه مما مر عليه الكلام عرض لديه القائمقامان ماقر عليه القرار بالاتفاق فاستحسن ذلك وكان عليه مصادقاً ولما أبرم عقد الصلح قال لمعشر السادة الحضور ان شئتم قيامي بدفع نصف هذه الغرامة فعليّ النصف وان سألتموني دفع كلها فلا بأس عندي بذلك فقالوا له انت وشأنك يا ابن عمود السماء فقام بدفع الثلاثة والثلاثين الفاً من ماله الخاص واعطى بها حوالة على احد الصيارف في بيروت . وبعد ذلك اخذ المتنفذون يفدون على منتدى سعيد بك تأدية لمواجب الاحترام ووقوفاً على منصرف ارادته ومشتهاه في الامر فجعل يوصي الفئتين بالمحبة الوطنية والحرص على الراحة العمومية مبيناً لهم نتائج الخير الحسنة وعواقب الشر الوبيلة فما منهم الا من هتف له بالدعاء منصاعاً لامره واشار عليهم بالصلح فتصالح الفريقان وارفضا بظواهر الوداد) .

اعتداآت اهالي جزين

رُتق هذا الفتق وبقيت افتاق يعوزها الراتقون . كيف لا والحقد لم تزل تغلي له في قلوب المسيحيين مراجل ولم يبرحوا مثابرين على تشديد بعضهم بعضاً متواصين في كل مكان باجترام ما استطاعوا الى اجترامه من الدروز سبيلاً باي صورة كانت . فجعل اهل جزين مثلاً يشتمون ويهينون اي درزي رأوه ماراً بقريتهم اعتداء حتى الجأ الامر الافراد من المكارين القادمين من النبطية والحولا او سوق الخان ان ينكبوا عن طريق جزين ويمروا بطريق توأمات نيحا الوعرة المستطيلة خشية ارذال جزين وافتراآتهم وجعل اهل دير القمر يتفننون في سوء معاملة من رأوه من الدروز منفرداً يستام من سوقهم سلعاً وكثيراً ما كانوا يوارون فرس الخيال وهي مرتبطة في احد خاناتهم فينكرونها عليه ولا يقرون له بها حتى ينقدهم حلواناً وقس على ذلك ولما كان الدرزي يشكو لوجوههم سوء معاملة ابنائهم كانوا ينسبون تلك القباحات للاولاد او للاوباش منكرين علمهم بها واطلاعهم عليها

(١) يقال جهيزة لا جهينة :

مقتل رئيس دير عميق

وقد كان حدث في تلك الآونة خلاف عظيم ما بين رهبان دير المخلص اللبنانيين والشاميين على منصب الرئاسة في الدير المشار اليه وكانت من ذي قبل مناوبة يلقى بمقاليدها تارة لاحد هؤلاء واخرى لاحد اولئك فاتفق ان رئيساً لبنانياً انقضت مدة رياسته اي ثلاث سنين فانتخب الرهبان الرئيس خلفهُ لبنانياً ايضاً فاكبر الشاميون هذا الامر وهاجوا له هياجاً عظيماً فقلق الدير من المقالات والبلابل فالجأت الحال الى ابتناء دير عميق في المناصف ونقل الرهبان الشاميين اليه ليكوّنوا فيه رئاسة شامية مستقلة اما العضو العامل في تمثيل هذه الرواية النافخ في ضرم هذه الثورة الرهبانية فهو راهب شامي اسمه يني كانت نفسه تشرئب الى منصة الرياسة فقام بما قام به سعياً وراء امنيته وجداً للحصول على بغيته فلما حصل الرهبان الشاميون في دير عميق وقاموا بانتخاب رئيس جديد لهم احرز اكثرية الاصوات راهب غيره فاخفقت آمال يني وذهبت مساعيه ادراج الرياح فشق عليه الامر جدّاً فاضمر لذلك الرئيس الجديد الشر وجعل يعمل على قتله ويتدبر لهُ مكيدة تغتاله لعل امر الرياسة يفضي اليه من بعده فاجال رائد الفكرة فيمن يجب ان يوكل اليه ذلك الامر الخطير الفظيع واخيراً وقع على اخوة ثلاثة من بريح كانوا شديدي البأس ذوي سابقات بالفتك فخابرهم بالامر واغراهم بان عند الرئيس صندوقة ملؤها ذهب وفضة ولم يزل بهم حتى وطنوا العزايم على قتل الرئيس وتآمروا اخيراً على انهم يوافونهُ في ليلة معينة يكون بها قضاء هذا المهم ففعلوا ففتح لهم باب الدير ودخلوا غرفة الرئيس فذبحوه وخرجوا فسكّر هو الباب وراءهم وقد تمّت هذه المكيدة دون أن يدري بها احد فاكبرت الرهبنة ذلك الرزء الفادح والخطب الجسيم واوقعت الظن بادىء ذي بدء على بشير بك نكد مدعية ان صندوقة الرئيس كانت تحوي ما يتي كيس من الدراهم فصادروه بهذا المبلغ فاورثت هذه الدعوى اضطراباً وهجساً في البلاد وكانت الرهبنة قد همت بتوجيه التهمة على بشير بك رسمياً لولا ان تأكد لها اخيراً براءة ساحته منها اما هذه القصة فقد حدثني بها الخوري ايوب من قتالي خادم كنيسة المحاربية حينئذٍ وانه كان لم يزل راهباً في دير المخلص ابان تلك المقالات التي افضت الى انقسام الدير الى ديرين

مقتل محمد ابي مطر

وبناء على تلك السواجس والاضطرابات جعل الناس يهجسون بحدوث حركة ثالثة في جبل لبنان فأهملوا اعمالهم وتركوا اشغالهم وغدوا يستنشقون نسمات الاخبار والاراجيف

من الثغور ويشومون بروق الحوادث اين يبدو وميضها فجعلت الانباء تتوارد على طالبيها بما كان يجريه النصارى من الاعتداء على افراد الدروز في اكثر الانحاء نفخاً في ضرم الفتنة وقدحــاً في زناد الحرب فمن ذلك ان رجلاً من الشويفات يدعى نصيف كامله ورفيقاً له من المتن يدعى اباغوش وكانا شجاعين فاتصل بهما ان مكاريين درزيين نائمان في خان الورواد ذات ليلة وهما محمد ابو مطر وابن اخت له من بعقلين فقصداهما وطعناهما بالخناجر فابقياهما منطرحين على بالقي بغليهما ولما كان هذان القتيلان ينتميان الى بني حماده رفع هؤلاء واقعة حالهم لسعيد بك جنبلاط وعرضوا لديه ان في نيتهم ثأر ولديهما من القاتلين نفسيهما أو من رجل من وجوه الشويفات بدل ناصيف كامله فلم يأذن سعيد بك لهم بشيء من ذلك بل ابى كل الاباء وغد ينتهرهم ويتهددهم بحرق بيوتهم وانزال الويل بهم اذا هم فعلوا فعلا مغايراً فقالوا له نرضى بقتل نصرانيين من خارج لبنان من الاماكن المجاورة لتخومه فرفض كلامهم ولم يسلّم بشيء من ذلك كله فانصرف الحماديون من عنده مغضبين غير انهم وجدوا الثأر عبأً على كواهل الرجال ثقيلاً فلم يخمد لهم متوقد ولا سكن لهم متحرك حتى القوا ذلك العبء المستثقل عن عواتقهم اذ ارسلوا ثلاثة رجال منهم بطريقة سرية وهم حسن نصيف ابو عجرم وشبلي شويشوي ويوسف راجح الى ما وراء لبنان فالتقوا بثلاثة رجال من قيتولي في محلة خان محمد علي شبيب على مقربة من النبطية فذبحوا منهم اثنين وصلموا اذني الثالث دون ان يعدموه الحياة ورجعوا الى قومهم خفية دون [ان] يطّلع احد على امرهم

شبوح الشباب

فلما اتصل النبأ باهالي قضاء جزين كثر بينهم اللغب والشغب وامتدت هذه العدوى الى النصارى في الجهات الباقية فاورثتهم القلق والبلبال فابتدأوا ينظمون اخويات في كل قرية اخوية يلقبون رئيسها بشيخ الشباب ويقيمون شيخاً على هؤلاء الشيوخ في قصبة المقاطعة التي ينتمون اليها ويسمونه شيخ مشايخ الشباب وكان كل شيخ يدرج اسماء شبان قريته في قائمة ويرفعها الى شيخ المشايخ ليحصي عدد شبان مقاطعته جميعاً اما في اقليم جزين فكان يوسف آغا نصيف الجزيني شيخ مشايخ الشباب واما في المتن فكان الشنتيري وفي غيرها غيره وهلم جرّاً وقد تسمى اولئك الشبان المنخرطون في اسلاك الاخويات جهالى واتخذ هؤلاء الجهالى زياً من الملبوس خاصاً بهم اذ كان الواحد منهم يلبس سراويل ابيض راخياً فوقه قميصا ابيض واسعاً اشبه بتنورات الارناؤوط الا انه اصغر ويكسو ساقيه بطاق من الجلد الاحمر وعلى رأسه لبادة ملفوف عليها منديل يزما تقليداً لعقال البدوي . وقد كان اولئك الجهالى

لا يفتأون متجولين من قرية الى أخرى شاكي السلاح وهم ينشطون بقية القوم من كهول واغرار ويشددون عزائمهم متعهدين لهم بكسر الدروز في الحرب العتيدة التي سيؤججون نيرانها . ومن المضحك المبكي في هذا الباب مايروى عن رجل بكاسيني يدعى مارون لبّس كان جزأ من اولئك الجهالى وما يتوخون اجراءه ويقول لهم دائماً . بمن تحاربون الدروز وتغلبونهم أبجرمانوس وقرياقوس وأندريا ومتى الخ؟ فهم يأتونكم بعلي وفتح الله وكساب وغلاب ودعاس وسيف الدين ونصر الدين وما اشبه . فكانوا كلما سمعوا ذلك منه شتموه واهانوه

شيوخ الشباب يتصلون بالقنصل الفرنسي

ثم ان اهالي اقليم جزين جعلوا يتآمرون ويتشاورون على ثأر القتيلين والا صلح القيتوليين فقر رأيهم على ارسال بعثة الى ساحل صيدا يقتلون من يعن لهم من الدروز وقد تألفت تلك البعثة من حنون قمر شيخ شباب جزين ومنصور مبارك شيخ شباب بكاسين وحبيب لطفي من بكاسين ورجل من قيتولي أجهل اسمه وقد ناموا اول ليلة بعثتهم عند خليل هاشم احد شركاء بني شمس في مزرعة المراح وفي اليوم الثاني ذهبوا الى صيدا فقابلوا المسيو دريكالو القنصل الفرنسوي واطلعوه على جلية امرهم فاستحسن رأيهم وشددهم فيما وطنوا عليه النفوس ثم ضمّ الى عددهم رجلاً استدعاه من سقي صيدا اسمه يوسف ابو نوفل الاعرج فلما توارت بالحجاب وانسدل من الظلام الحجاب غادرت هذه الزمرة دار القنصلية الصيداوية وأتوا فكمنوا في البستان الجديد الجاري على ملك يوسف ابو نوفل المار ذكره وابناء اعمامه الواقع بجانب الرملة الحمراء فمر من الدروز زرافات عديدة كخمسة رجال او ستة رجال معاً ولم يتجاسر الكامنون على مهاجمتهم حتى مر اخيراً ثلاثة مكارين ضعفاء فقراء من معاصر الفخار يسوقون حميرهم فاطلقوا الرصاص على اثنين منهم فاوردوهما الردى وعمدوا الى الثالث فصلموا اذنيه ومضوا مسرعين في ساقية ابي غياس وباتوا تلك الليلة في لبعة .

هياج دروز المعاصر

وفي اليوم الثاني بلغ دروز المعاصر نبأ مقتل ولديهم المذكورين فهاجوا وماجوا وابرقوا وارعدوا وحملوا بيرقهم هاجمين جهة اقليم جزين ولدى وصولهم لعين العريش (في عماطور) اوقفهم العماطوريون عن المسير ريثما اقبلت خيالة من قبل سعيد بك يأمرونهم بالرجوع الى

المختارة لمقابلة سعادته ففعلوا فأقنعهم سعيد بك بالسكون وعدم اثارة ثائرة حرب عمومية متعهداً لهم بالقاء القبض على الجازين انفسهم ليصير اعدامهم جزاء ما فعلت ايديهم .

حادثة الكحلونية

فاتفق عند ذلك لاهل قرية الكحلونية المشرفة على عماطور والمختارة انهم لما سمعوا الغوغاء ورأوا جموعاً يخفق فوقهم بيرق في عماطور ثم نظروا خيالة سعيد بك متوجهة نحو عماطور ايضاً تيقنوا ان سعيد بك لزاحف بخيله ورجله على اقليم جزين وان الحرب لا شك قد انقدت . فبينما هم اذا بخوري وثلاثة رجال راجعين من بتدين الى اقليم جزين بطريق الكحلونية وقد صاروا في اقصى القرية فتسارع اليهم الشبان فجدوا امامهم في الهرب فادركوا منهم رجلين فاعدموهما وتبع الخوري امين الدين ابو حمدان فاعجزه ادراكه فجعل يصرخ عليه ويقول : وقف يا خوري وقف يا خوري ، ولك بس بتتعب حالك وبتتعبني) وهذا من المضحك المبكي . . واخيراً ادركه فارداه ونجا الرابع فاختبأ في الوادي بطحنة ابي علي مطر ابي شقرا ثم توجه نحو الاقليم بطريق الزاروب من املاك عماطور فالتقى به فهد كنعان ابو شقرا في محلة الزاروب فامنه وسكن روعه ثم قاده الى بيته واحسن معاملته وقراه وفي اليوم التالي اصحبه العماطوريون برجلين رافقاه الى تحت قلعة نيحا اي حيث يأمن غائلة الدروز وغادراه فمضى في سبيله وقد كان من سكان مزرعة تعيد فسار الى جزين ونزل الى بكاسين ثم انقلب الى تعيد وقد اخبر جميع من رآه من قومه بما جرى له ولرفاقه ففشا الامر وشاع في جميع الانحاء

مبادلة حسنة

وكان حينئذ رجل من عماطور اسمه علي احمد حسن عبد الصمد في قرية روم التابعة جزين ولما سمع نبأ الحوادث المار ذكرها فزع الى حنا طنوس الحداد وكيل املاك اولاد الشيخ حمود جنبلاط فاقام ببيته مستجيراً فصعد اليه اهالي عازور واتوا به نحو عماطور ولم ينفصلوا عنه حتى اوصلوه الى مرج بسري الى حيث يأمن غائلة النصارى فكان صنيعهم هذا وفاء عاجلاً لدين اهالي عماطور لهم .

غير ان الهياج وقلق الخواطر لم يزل جارياً مجراه في كلتا الطائفتين فكنت ترى الجميع لا هم لهم غير جلاء السيوف وشحذ الخناجر وتطهير البنادق ودق الفشك وما اشبه من

اعداد معدات القتال وكانوا يقضون الليالي في هزج الاناشيد الحماسية واطلاق البارود (عراضات) ولكن بعد حادثة الكحلونية المحكي عنها قلت العراضات في اقليم جزين ضناً بالبارود وادخاراً له الى يوم الحاجة .

عماطور تفاوض جزين بالصلح

ثم ان سعيد بك جنبلاط استدعى اليه وجوه العماطوريين واستكتبهم مكتوبين الواحد الى حبيب نصيف الجزيني واخوته والآخر الى منصور المعوشي وابناء اعمامه وجوه جزين ومآل المكتوبين اسداء النصائح بالكف عما عقدوا عليه العزيمة من اصلاء الحرب والاقلاع عما يباشرونه من تهييج الخواطر واثارة السواكن مع الالماع والتبيان عما تجره الحرب الاهلية من الخراب العام والمضرات والنكبات بالمتحاربين وما يلم بكلا المنصور والمكسور من الويل والثبور الى غير ذلك من النصائح الغرر ضناً بالسلم وما يتوفر فيها من الرخاء والامن والنجاح والفلاح واحترازاً من الحرب التي يكون نتاجها الدمار العاجل والخراب الهائل ولم يسه الكاتبون عن ابداء رغبة سيدهم السعيد في السلم وميله الى السكينة والائتلاف وعظيم ما ناله من الكدر والغم من وقوع الشقاق وانبذار العدوان ما بين سكان مديريته خاتمين الكتابين بالاقتراح على المكتوب اليهم المذكورين وسؤالهم ان يوافوهم الى محلة عين ابي نجم الواقعة بين الشوف والاقليم لاجل تأليف مجلس مختلط من اهالي القريتين اي عماطور وجزين يبحثون فيه عن مصدر النزاع وداعية السجس فينصفون كل مظلوم من ظالمه ويوصلون الى كل ذي حق حقه ويضعون للقلق والاخلال حداً نهائياً بين ابناء طائفتيها واخيراً يعقدون المصالحة بين الفريقين على وجه مرض لكليهما فتتوطد اركان الامن وتعود مياه الراحة الى مجاريها وقد اصاب سعيد بك بارسال المكتوبين مع رجلين نصرانيين من عماطور احدهما صمدي الغرض وهو نصيف مخول يحمل كتاب بني عبد الصمد الى بني الجزيني الصمديين في الغرض والآخر شقرواي الغرض وهو فارس ابو سمرا يحمل كتاب بني ابي شقرا الى بني المعوشي الشقراويين في الغرض ايضاً . فلما اطلع الجزينيون على الكتابين اخذوا يتهددون الرسولين ويشتمون ويجدفون وقد سأل منصور المعوشي فارس ابي سمرا المرسل اليه قائلا : على فرض شبت الحرب بيننا وبين الدروز فانتم نصارى الشوف مع من تكونون فاجابه إنا يا ابا ملحم لجماعة ضعفاء فقراء نعيش في خير الدروز ونستظل بهم فلا يمكننا مناواتهم او الخروج من بينهم واما انتم فليس من الرأي والصالح قيامكم على الدروز ومحاربتكم لهم لانكم حاربتموهم مرتين فاحرزوا في المرتين عليكم النصر فغضب المعوشي لهذا الكلام فانتهر

الرسول قائلاً له « انا اذا فتحت حلقي وضممته يصير الدروز من اسناني وجوا: اي الى داخل حلقه » واخيراً طلب الرسولان جواب الكتابين فقال المعوشي لهما : لاجواب عندنا . ثم قال لهما : قولا لنصارى الشوف ان يخرجوا من بين الدروز ويأتوا الينا . فقالا : هــذا ليس بامكاننا اجراؤه فشتمهما واغرى بهما جهلة الشبان فتغاووا عليهما واوسعوهما ضرباً واثخنوهما جراحاً فهربا جادّين نحو الشوف فلحقوهما واوسعوهما رشقاً بالحجارة حتى محلة عزّيبة . اما نصيف مخول فما وصل تحت قلعة نيحا حتى برك من اوجاعه لا يستطيع حراكا واما فارس ابو سمرا فتقدم الى باتر فاعلم الشيخ امين حمدان بالامر وما حل برفيقه فارسل الشيخ اليه مكاريا احتمله على دابته الى عماطور فاستاء العماطوريون غاية الاستياء بما لقيه رسولاهم من الاهانة وسوء المعاملة واحزنهم تصميم الموارنة على الشر وايقاد نار الحرب غير انهم كظموا غيظهم سالكين سبيل الحلم والتؤدة لكيلا يكونوا اول قادحي شرر الفتنة وحتى لايقال انهم كانوا سبباً لحرب اهلية عمومية لم يعودوا مرتابين في شبوبها عاجلاً . واما سعيد بك جنبلاط فلما بلغه ما قد جرى بالرسولين المذكورين قال : ان جهل هؤلاء القوم سوف يجرهم ويجرّبنا ولكن الله على البغاة وان على الباغي تدور الدوائر .

المطران بطرس يشرف على رجاله

ثم ان المطران بطرس البستاني قادح زناد هذه الحركة فيما يقال نزل من مركز كرسيه الذي كان وقتئذ في مدرسة مشموشة الرهبانية الى قرية بسري لوقوع هذه القرية على جادة صيدا . ولكونها ادنى من مشموشة الى تلك المدينة وصولا فيما اذا اضطر للنجاة من وجه الغزاة . وارسل صعب الحووي الى جزين ليناظر العساكر النصرانية المتقاطرة اليها ويفيده عن مجمل احوالها فذهب ورجع الى سيده قائــلاً له اني رأيت العساكر بادية على وجوههم هيئة الانكسار وملامح الفشل. قال: مم عرفت ذلك؟ أجاب رأيتهم قليلي الكلام صفر الوجوه واني الحركة منطرحين تحت الجوز خاملين خامدين توقظ الواحد منهم فلايستيقظ. قال المطران وهو يهز رأسه : اني لموقن بأنهم سينكسرون وعليهم تدور دوائر الحرب فقال له صعب اذن لماذا لا تأمرهم يا سيدنا بالكف عن حرب انت موقن بانكسارهم فيها ولماذا لا تشدد النكير على منصور المعوشي وما يقوم به من الاعمال الآيلة للهلاك والخراب وتصدر اليه امراً قطعياً ليجيب العماطوريين الى ما سألوه وطلبوه اليه من امر الصلح الذي هو مرغوبهم ومرغوب سيد الدروز سعيد بك جنبلاط؟ فهز المطران رأسه قائلا له: ذلك لا يوافق. فقال صعب: كيف

لا وعساكرنا يهلك ثلثها في الحرب؟ فقال المطران انا عالم بذلك ولكن اذا فني منا الثلث يصطلح الثلثان الباقيان . (والله اعلم)

هذا ما كان يقوله المطران البستاني لذوي الافهام فقط من رعيته . قال راوي هذا الخبر واما ما عدا ذلك فاني قد اطلعت على مكتوب من خط يده الى جماعة النصارى في راشيا الوادي وهو احد الكتب العديدة التي ارسلت منه الى ابناء رعيته في لبنان وسورية في صورة واحدة واليك نصه بحروفه :

جناب وحضرة اولادنا الاجلا الاماجد الاكرمين مشايخ وخواجات واختيارية الابركسيس (١) في راشيا الوادي المحتشمين دام بقاهم

غب اهدائكم غزاير البركات السماوية والادعية الخيرية بحفظ حياتكم ونجاحكم ومزيد الهيام للحظوة بمشاهدتكم السارة بكل خير وعافية وبعده قد اطلعتم ما حصل من طائفة الدروز المفسدين بالارض مع تراكم تعدياتهم الشهيرة وافعالهم المغايرة التي اتخذوها ديانة ومع اجراء اعمالهم هذه قد انتبهوا طائفتنا المسيحيين المحبين بالرب انهم اصحاب الهمم العلية المتصانين بعناية السيدة البتولية ليردعوهم عن الطغيان الذي لهاهم به الشيطان وحينئذ قد صار مجلس عام في لبنان مع اوجه بندر زحله ومعمورة دير القمر وجزين و كسروان وما يليهم بان يكونوا يداً واحدة على هذه الطائفة القليلة العدد العادمة المدد على اعدامهم وسفك دماهم وسلب اموالهم وخروجهم من هذه البلاد التي هي عتيقة اجدادكم الارثوذكسيين ولذلك ينبغي بانكم تستعدون بالاسلحة الكاملة والجبخانات الوافرة وتقوون بعضكم بعضاً في بلادكم المسيحيين سراً وان شاء الله بيوم الاثنين يصير عندنا مضاربة بواسطة جناب الامراء المشهورين الذين ليس غابيكم الغيرة وتشديد البأس منهم لكامل شعبنا فاذاً كونوا قد حالكم وببركة السيدة تصبح الديار من اعدائكم خالية وعدوان الدين لا يلزمكم تفطين وبركتنا تشملكم للدوام .

الحركة تبدأ في المتن

لما كثرت الهواجس وتفاقمت الكوارث والحوادث اخذت نيران المناوشات والمحاربات تتقد اتقاداً خفيفاً غير ان القوم لما كانوا على استعداد لحرب جسيمة فما عتمت الحرب ان

---

(١) ابركسيس : كلمة يونانية معناها اعمال . وهي بالافرنجية (Actes) وهي اعمال ايضاً . وهي اسم السفر الخامس من العهد الجديد ويسمى غالباً اعمال الرسل وقد كتبه كاتب الانجيل الثالث المعروف بانجيل لوقا (راجع لوقا) وهو القديس لوقا . (عن دائرة المعارف للبستاني)

اضطرمت اضطراماً شديداً ولفحتها رياح الشحناء ومـــا كانت تكنه الصدور والضمائر من الاحقاد فزادت استعاراً وتأججت تأججاً هائلاً حتى كان ما كان مما سيأتي عليـــه الكلام .
وقد شبت بادىء بدء في المتن حيث تجمع عسكر نصراني من نواحي بعبـــدات والشوير وبيت شباب وبكفيا وخلافهـــا يربو على ستة آلاف مقاتل فشنوا الغارة على دروز المتن و كفرسلوان وصليما فتقهقروا امام الغزاة الى قرنايل حيث تألبت اليهم قوّات جديدة من القرى المجاورة وانجدهم نصر الدين بك عبدالملك بثلاثماية مقاتل من الجرد والشيخ محمود حسين تلحوق بمائتي مقاتل من الغرب مبقياً من تبقى من رجاله في عاليه لمهاجمة او دفـــاع الجيوش المستجاشة في بعبدا فتألف من الدروز في قرنايل عسكر يناهز الالفين والخمساية مقاتل فحملوا على العربانية حيث اتحدت قوات النصـــارى بعد ان اكملوا حرق وسلب منازل الدروز في القرى التي اكتسحوها فصدموهم صدمة ارتجت لها اضـــالع معسكرهم فانفشلوا منهزمين فرمى الدروز القرية بالنار وجعلوا يتتبعونهم من مكان الى آخر واولئك مجدون في الهرب لا يثبتون في وجه الدروز الذين فتكوا بهم فتكاً ذريعاً واحرقوا جميع منازلهم في القرى المختلطة من دروز ونصارى كصليما والمتين وبرمـانا وبيت مري والرأس وخلافها وقد فقد الدروز في هذه المناوشات (اي في اليوم الاول) خمسين قتيلاً واهلكوا من النصارى مايتي مقاتل . اما من نجا منهم مما زالوا جادين حتى بلغ بعضهم زحلة والبعض الآخر كسروان مستغيثين بابنـــاء مذهبهم فاغاثهم الزحليون بكتيبة جسيمـــة وامدهم الكسروانيون بخميس كثيف يقوده بعض المشايخ الخازنيين والتقى الجيشان المذكوران في حمى كفرسلوان حيث اتحدا منضمين ووطنا العزائم على مهاجمة الدروز والانصباب على كفرسلوان فبلغ الدروز نبأ تلك الفيالق الجرارة القادمة عليهم فابتدروها بالهجوم الى ذلك الحمى فالتقى الفريقان ودارت بينهما رحى القتال وحمي وطيس الوغى فكانت واقعة من افدح الوقائع ابدت فيها تلك الجماعة الدرزية من الشجاعة والثبات ما يذكر ويؤثر .

خطار بك يشهد القتال

ووصل اخيراً خطار بك عماد وولده علي فشهدا سوق المبايعة بالانفس فشريا بالسيوف وباعا فظهر الدروز ظهوراً على العدى مبيناً ودارت على النصارى دائرة الفشل والانكسار تاركين مايتين وثلاثين قتيلاً في ساحة القتال وبعد هذه الواقعة لم يعد النصارى يجسرون على مهاجمة المتن من جهة حمى كفرسلوان أبداً بل حولوا غاراتهم من جهـة المديرج وخان مراد وكان النصارى المغيرون من هذه الجهة عراقبة وبقاعية وزحالنة فقصدهم ذات يوم خطار بك

عماد وابنه علي بعسكر لا يتجاوز خمسمئة مقاتل من العرقوب والمناصف لان معظم دروز تينك المقاطعتين اقاموا على سلاحهم تجاه دير القمر فالتقيا بهم في ظهر البيدر فالتظت بين العسكرين نار حرب عوان لم يخمد لها لهب مدى ثلاثة ايام وكانت هذه الايام الثلاثة للدروز اذ كان النصارى يبيتون على كسرة وخسران وينقهقرون امام خطار بك الى شتورة فيتبعهم مسافة خمس ساعات ضرباً بالسيف حتى اذا انسدلت حجب الظلام يعود الى اراضي عيندارة حيث كان مخيما بجنوده غير انهم كانوا يلمون شعثهم ويتشددون معاودين عليه المهاجمة والكر في صبيحة اليوم التالي واما في اليوم الثالث فقد صادفوا وبالا عظيما اذ دارت عليهم رحى الحرب فطحنتهم طحناً وجد الدروز على اثارهم فمزقوا شملهم في كل واد وفرقوا جموعهم بين الهضاب والوهاد فانحل معسكرهم انحلالا لم يتم له بعده انعقاد وودعت ربوعهم الجمال وداعاً لم يشتهوا له بعده لقاء اذ هلك اربعماية رجل من عيونهم لقاء سبعين قتيلا درزياً منهم علي (١) ابن خطار بك عماد وقد جرح في هذه الواقعة نصر الدين بك عبد الملك . وقد لحظ من شهد هذه الوقائع سبب كثرة القتلى من النصارى وقلتها من الدروز لان النصارى كانوا اضعاف الدروز عدداً واكثرهم لا يحسن اطلاق الرصاص لا سيا بعد ما ذاقوا الكسرات المتعددة واستولى على قلوبهم الرعب والروع فاصبحوا لا يضبطون الرمي ولايجيدون الاصابة بالكلية بخلاف الدروز الذين مع قلة عديدهم كانوا يهاجمون الفيالق النصرانية من كل صوب فيصدقون الحملة ويظهرون من شدة البأس وثبات الروع والجأش واجادة المرمى والاصابة عجائب وغرائب فعندما يشاهد النصارى فرسانهم تكبو ودماءهم تجري يلوذون بالهزيمة ويقنعون من الغنيمة بالاياب

واما خطار بك فبعد احرازه النصرة على مناوئيه في ظهر البيدر نزل من هناك بمن معه الى قب الياس ولندعه في هذا المقام حتى اذا اتينا على ذكر معظم الحوادث التي جرت في بقية الانحاء عدنا اليه والى ما قام به من الاعمال الجهنمية الجسام .

القتال في الغرب والساحل

واما في الغرب والساحل فقد جيش الامراء الشهابيون جيوشاً غفيرة العدد ووافاهم الشيخ طانيوس البيطار يقود عسكراً مجراً من انحاء كسروان وزحفوا على الشويفات

---

(١) قيل : اقبل خطار بك على ابنه وهو جريح وفي حالة النزع فقال له : ان كنت قد اصبت في ظهرك فلا ردك الله . وان في صدرك فرحمة الله عليك وساقتص من قاتليك بعدد شعر رأسك .

ووصلوا في هجومهم قرب كنائس الحارة العمروسية فركب اليهم الامير محمد الامين والامير حمود الحسن الارسلانيان وثار دروز الشويفات أمام اميريهم مشاة فاجملوا الدفاع والذود عن الحياض ثم صدقوا العزائم واججوا النخوات فصدموا المهاجمين صدمات عنيفة اودت بكثير من فرسانهم واكرهت عساكرهم على التقهقر الى نهر الغدير وكان الشويفاتيون قد اوسلوا الصارخين الى القرى المجاورة فاسرعوا اليهم فمر اهالي عين عنوب الى عيناب ومن في جوارهم بطريق دير القرقفة ومر اهالي عرمون وغيرهم بطريق الشويفات فلما تبدت النجدتان لمقاتلة النصارى طرح كل سلاحه وما اثقله من مؤنته وثيابه وجد جميعهم في الهرب لا يلوون على شيء ولا يلتفتون الى الوراء فجد المشاة من الدروز في اتباعهم على الاثر واطلق الخيالة منهم لخيولهم الاعنة فنثروا تلك السهول الفيحاء بالجثث وما انفك الدروز في تتبعهم واستطراق اثارهم حتى الضيبة وكانت طلائع المنهزمين قد جاوزت عندئذ جونيه . وانه على كثافة عسكر النصارى وضخامته بازاء عسكر الدروز في هذه المحاربة لم يكن عدد قتلاهم وفيراً لعدم ثباتهم في مواقف النزال ولاركانهم الى الهرب لدى صدمات دروز الشويفات فقط اما الدروز فلم يقتل منهم احد البتة وهذا ما يقضي بالعجب . اما الامير حمود فقد ابدى من الشجاعة والبسالة في هذه الغارة ما لا يفي بوصفه القلم .

القتال في الشحار

واما في الشحار فقد قدم الاميران قاسم وسلمان الشهابيان واستحشدا الف وخمسماية رجل من نصارى تلك الناحية وجمهروا بهم حوالى كنيسة كفرمتى فتألف من دروز عبيه وعين كسور وبعورته ودقون نحو ثلاثماية رجل فهجموا عليهم من الجهة الشمالية واجتمع ثلاثماية درزي من البنيه وكفرمتى وحملوا عليهم من جهتي الجنوب والشرق مخلين لهم من الجهة الغربية باباً للهرب وانقضوا عليهم انقضاض الليوث الكواسر فثبت النصارى ساعة من الزمن هلك فيها خيرة شجعانهم وتوالت هجمات الدروز وتعالت صعقاتهم فخارت لها قلوب النصارى ووهت عزائمهم فولوا الادبار واركنوا الى الفرار فلحق بهم الدروز على طريق مزرعة البوم واوقعوا بهم المقاتل الذريعة فتفرق شمل الهاربين في كل غور ونجد وأوى جانب منهم الى الكهوف وتوارى الكثيرون منهم في الاحراش والغابات المظلمة وهلك منهم في ذلك النهار مايتا قتيل ولما توارت الشمس بالحجاب قفل الدروز غانمين تهزهم اريحية الفوز والظفر وهم لم يفقدوا الا ثلاثة عشر قتيلاً وفي اليوم التالي تجمع جهلة الشبان من الشحار فاغاروا على منازل النصارى فاحرقوها وسلبوا ما وصلت اليه ايديهم من الغنائم

فلما شاهد اهالي المعلقة الحريق الذي سيلم بمساكنهم هرعوا الى قاسم بك حمود ابي نكد يسألونه العفو عما فرط منهم من الاعتداء على الدروز والاساءة اليهم ويستجيرون به ليقيهم من الهلاك ويقي بلدتهم من الدمار العاجل فمنحهم العفو وتحرك الى المعلقة في جماعة من قومه فمنع الحريق عن تلك القرية ووقى اهليها من الهلاك وبعد بضعة ايام عن للداموريين الانزعاج عن المعلقة لفرط ما استولى عليهم من الخوف والرعب فظعنوا ذات يوم جمعة بمالهم وعيالهم وقضهم وقضيضهم ووجهتهم بيروت احتماء في تلك المدينة وتأميناً لأرواحهم داخل اسوارها. فلما بلغوا محلة خلدة التقت بهم شرذمة من دروز الشويفات يرابطون طريق البحر فوثبوا عليهم وأوقعوا بهم ممزقين شملهم كل ممزق وتاركين منهم مئة جثة تتقاذفها الامواج على شاطىء البحر.

وفي يوم واحد اي عصارى نهار الجمعة الواقع في ٣ خلت من شهر ذي القعدة سنة ١٢٧٦ (١٨٦٠م) حدثت حوادث جزين وبكاسين ودير القمر والبرامية واليك شرحها بالتفصيل

حادثة البرامية

اما حادثة البرامية فان سعيد بك جنبلاط كان قد ارسل قاسم بك اليوسف حماده في عشرين خيالا من اقاربه ومن خولة البك أيضاً للمحافظة على املاك آل جنبلاط في الرميلة وعلمان والبرغوثية وما جاورها فانضم اليهم خمسون راجلا من مسلمي قرية مزبود الموصوفين بشدة البأس ثم بينما كان قاسم بك المذكور يتمشى على سطح خان الجسر الاولي اذ بدت له رايات تخفق فوق عسكر يناهز الالفين محارباً قد جمعه يوسف المبيض من اقليم التفاح ومن بعض قرى بلاد بشارة كالحجة وعقتانيت والمعاريه وغيرها ومن جهة الكفور والحمراء وخلافها وتحرك به يومئذ من ديربسين نحو الرميلة وعلمان وما جاورهما من املاك الجنبلاطيين بغية اتلافها بالحرق والقطع ثم التقدم نحو الشوف جرياً على الاتفاق الذي عقد بينه وبين بقية القادة المسيحيين . فللحال ركب قاسم بك جواده واخذ المشاة جميعهم واربعة من الخيالة وقادهم من الجهة الشمالية الى البرامية رأساً وأمر اخاه اسعد فركب هو والخيالة الباقون وتقدموا نحو الجهة الجنوبية في الطريق المارة فوق البساتين فمروا بعين الدلافة وصعدوا من هناك الى سهل بارد فاصبحوا خلف عسكر المبيض فابتدروا تلك العساكر باطلاق الرصاص في ظهورها اي من جهة العسكر الشمالية ويصدقون عليهم الكر والهجوم حتى حاذوا كنيسة البرامية حيث سمعوا طلقات اسعد بك وخيالته في سهل بيت بارد فلما اصبحت عساكر المبيض بين نارين حل فيهم الفشل والانذهال. وساورهم الرعب العظيم فتمزقوا إيراباً اربا واعملوا في الهزيمة في كل غور وواد فتتبع الدروز آثارهم فتحول

معظم الهاربين نحو صيدا فلما شاهد الصيداويون تكاثر الفارين الى مدينتهم جعل الخيالة من مسلميها يفدون زرافات ووحداناً ويقطعون سبيل النجاة على اللائذين باسوار مدينتهم فيقتلونهم ويبتزون خيلهم وسلاحهم . فكانت هذه الواقعة صغيرة كبيرة حقيرة عظيمة اذ كانت غنية بالقتلى المتجاوز عددهم الاربعماية والخمسين قتيلاً اما الدروز والمسلمون فلم يقتل منهم احد ولم يجرح منهم احد قط فتأمل . وان شاكر مارون القهوجي واسعد نصيف القهوجي قد كانا في طليعة عسكر النصارى فلما حل بهم ما حلّ من الفشل اسرعا الى اسعد بك اليوسف فانضما الى خيالته معتذرين انهما كانا قادمين من طريق اخرى وجعلا يفتكان بابناء جنسهما ولذا عفي عنهما وبينما كان الدروز والمسلمون يهاجمون عساكر يوسف المبيض ويقتصون آثارهم اذا بعساكر النصارى المنهزمة في اقليم جزين من وجه الدروز الشوفيين قد ملأت الفجاج فاصبحوا كالمستجير من الرمضاء بالنار واختلط العسكران المهزومان فكان لاختلاطهما وقع في قلوبهم زادها على خفقانها خفقاناً فوقعوا في حيص بيص واشتدّ عليهم الضيق واعمت بصائرهم الحيرة وبعكس ذلك الدروز والمسلمون فانهم ازدادوا تنشطاً وعزماً وحزماً فجعلوا يبالغون في مضايقتهم وسد سبل النجاة عليهم وهم مع ذلك يوالون الضربات والطعنات حتى اشتد الويل والبلاء وقد كان رهبان ديري مشموشة وبحنين من جملة الهاربين من اقليم جزين فقتل منهم في ذلك المعترك نيف وخمسون راهباً .

حادثتا جزين وبكاسين

واما حادثتا جزين وبكاسين فانه في ذلك اليوم كان قد تجمع في جزين من اهلها ومن اهالي كفرحونة وجبل الريحان ومرجعيون ومشغرة عسكر يناهز الفين وخمسماية محارب وتقدموا الى مزرعتي عزيبة العليا والسفلى الجاريتين بملك المشايخ بني العساف من نيحا فاحرقوهما فاسرع النواطير الى نيحا واعلموا بني العساف بالامر فاستنفر هؤلاء اهالي قريتهم وارسلوا صارخاً الى جباع وبعذران واغاروا في اربعماية مقاتل على عزيبة العليا فاصطدم هناك الجحفلان وتأججت سعير القتال نحو ساعة ونصف الساعة فحل الفشل في جموع الجزينيين فولوا على اعقابهم هاربين تاركين خمسة عشر قتيلاً ودخلوا جزين لائذين بالدير والكنايس المشيدة في تلك القرية لتقيهم رصاص المنتصرين الذين فقدوا قتيلين مشهورين بالشجاعة والبسالة هما جبر سيف وابنه محمد وقد ثبتوا هنيهة في معاقلهم المذكورة وهم يطلقون رصاصهم من خلال جدرانها وما زالوا يدافعون عن قصبتهم التي اضحت محاطة بجحافل العداة حتى بدا لهم الدخان متصاعداً في الجو من قرية بكاسين والسنة النار تلتهم بيوتها وما حوته من القز

والقبائل يومئذوراوا حاميتها وهي قد نفرت وحل بها الويل والثبور فاستولى عليهم الخوف عندئذ وتضعضعت قواهم وعزائمهم فاقتفوا اثر جيرانهم البكاسينيين واخلوا منازلهم ممعنين في الهرب رجالا ونساء واولاداً فكانت ساعة عليهم مشؤومة ويوماً كثرت فيه المصائب واشتدت الخطوب والكرب اذ هلك منهم في الطريق خلق كثير منهم ظاهر المعوشي ولم يهلكوا من ضرب او طعن بل من شدة الرعب وتفاقم اللغب واصطكاك الركب وانتهاك القوى وبقي الدروز في اتباعهم ومطاردتهم الى جبل طورا ثم الى جل الشوك فالحصية حيث انسدلت دونهم استار الظلام فكفوا عن تتبعهم وآبوا مظفرين غانمين واما الجزينيون ورفاقهم فما برحوا هاربين حتى اجتازوا جباع الحلاوة وبلغوا صيدا ولم يعد امامهم غير مياه البحر. هذا ما جرى في جزين واما ما جرى في بكاسين فان اهل هذه القرية كانوا قد الفوا اليهم من اهالي عازور وروم وقيتولي وبوته وبتدين اللقش والميدان ومشموشة وبسري وما يتبع ذلك من المزارع والدساكر عسكراً يفوق الالفي مقاتل وغداة هجوم الجزينيين على عزّيبة هجموا هم على مزرعة خفيشة فالقوا في بيوتها النيران المحرقة فلما رأى اهالي باتر الدخان المتصاعد من تلك المزرعة ارسلوا الى عماطور وحارة جندل وعين قنية والمختارة والحريبة وبطمة من يستصرخون اهاليها فهاج شبان هذه القرى واستعدوا لاغاثة المستصرخين فمنعهم سعيد بك عن الذهاب وشدد النكير على اي شوفي يتحرك لهجوم او دفاع مفرقاً اوامره المشددة على سائر القرى المذكورة ولذا تقاعد الشوفيون عن نجدة الباتريين ما عدا اهالي عماطور وحارة جندل فانهم غدوا يتقلتون نحو باتر زرافات ووحدانا فوصلوا الى باتر اربع فرق الفرقة تلو الاخرى وكان اهل باتر عندئذ يصلون اهالي بجنين وعربه وبعض المزارع المجاورة لهما من الدفاع ناراً حامية تحت قيادة سليم بك شمس الذي كان في باتر يومئذ فاشتد ازرهم لدى وصول طلائع النجدات فانضموا معاً وحملوا على العداة فاجبروهم على التقهقر الى نهر جزين فلما شاهد البكاسينيون واتباعهم انكسار مقدمة جيشهم حملوا على الدروز بعسكر جرار فلما تقابلت القوتان عند النهر المذكور كانت النجدات العماطورية الاربع قد وصلت جميعها فاخذوا ناحية وانقضوا على العساكر البكاسينية انقضاض البزاة فمزقوهم كل ممزق فانقلب النصارى متقهقرين الى قرية بكاسين لعل لهم وراء جدرانها متمنّعٍ وهم مع ذلك على بعض الامل من دفاع يذودون به عن حياضهم ويذبون عن ذمارهم ولكن جدران بكاسين لم تكن لتدفع دروز الشوف وعزماتهم الشديدة ورصاص المدافعين لم يكن ليصد هجمات يستعذب الهاجمون عندها الموت فلم تكن ساعة حتى احرجوهم من حماهم قسراً ودخلوا البلدة عنوة فاطعموها للنار فالتهبت التهاباً هائلاً ذ كل اخشابها كانت من الصنوبر واستأنف الدروز

مطاردة المنهزمين الى خرايب صباح وروم وعند ذلك صعدت شرذمة من العماطوريين الى جزين حين كانوا معتصمين في ديرهم وكنايسهم يناضلون العسكر النيحوي ويحاولون دفعه عن قصبتهم المنيعة ولدى وصول هذه الشرذمة وهجومها على معاقل جزين انكسر الجزينيون ومن معهم وكان فيهم ما كان كما سبق لنا ذكره. وما انفك الشوفيون يطاردون البكاسينيين واصحابهم حتى قيتولي وعازور فافنوا منهم خلقاً كثيراً واما الذين نجوا فقد طـاروا في القفار وأعيا المطاردين اللحوق بهم وكان النهار قد زال فانقلبوا وباتوا ليلتئـذ في خرايب صباح بغية استئناف المقاتلة في الغد وضربهم الخصوم ضربة لا يقوون بعدها على القيـام والعود الى القتال ولما كان اليوم الثاني تألب العسكران الدرزيان: اي النيحوي والعماطوري واتباعهما واغاروا نحو عسكر النصارى فلم يجدوا لهم اثراً في تلك الارض كلها بل كان جميع الاقليم الجزيني خلواً خاوياً فعند ذلك عمدوا الى خبايا النصارى ودفائنهم المطمورة في الكهوف والدور فاكتشفوا من الخبايا شيئاً ليس بقليل واستنبطوا من المطمورات ما دلتهم عليه فطنة الحاذقين وبعد ان احرزوا من الغنائم ما احرزوه ولم يعد فيما سوى ذلك مطمع القوا النيران في جميع قرى الاقليم ومزارعه فغادروها حمماً بالية تذري الرياح رمادهـا في الفضاء هكذا اصبح ذلك الاقليم الرحيب مهمهاً يباباً لا ينعق في خمائله غـير الغراب ولا يصرخ في دوره الا البوم ثم ان الدروز آبوا وخمرة الظفر ترنح معاطفهم جذلا وطربا وقد كان لحدائهم يومئذ رنة ودوي تردد الوهاد صداهما وقد كان ذلك في يوم السبت الواقع في ٤ ذي الحجة سنة ١٢٧٤(١) الموافق سنة ١٨٦٠ . كان بالامس مأنوساً بذويه آهـلاً بساكنيه فوا عجباً لزمان يصيّر العامر غامراً ويحوّل الحاضر الى بائد في اقل من يوم واحد.

هجوم الديريين على الخلوات

وفي ذلك اليوم نفسه هجم اهالي دير القمر على الخلوات وكانوا مع من انضم اليهم من الانحاء زهاء ستة آلاف مقاتل فاحرقوها فلما تأججت النار وتلبد الدخان تنوّر جـيرانهم اللهيب فركب بشير بك نكد من المناصف وركب الشيخ حمود نكد بنحو خمسمائة مقاتل من الشحار ووافاهم جمهور من اهالي بعقلين الذين عندما تنوروا تأجج الحريقة في خلوات الدير وما كان من افتراء المسيحيين على الدروز فيها اسرعوا بارسال الصارخين الى الشوفين فوافاهم (٢) جمهور غفير من عينبال وغريفة والمزرعة والسمقانية اي من الشوف السويجاني

---

(١) الصواب : ١٢٧٦ . (٢) لعلها فوافاهم .

واما اهالي الشوف الحيتي فقد شدد سعيد بك جنبلاط عليهم النكير واخطرهم عن اجابة المستصرخين فلم يشهد تلك الواقعة من الشوف الحيتي الا عشرون فارساً وراجلا من عماطور فقط وقد تفلتوا من المختارة خفية عن سعيد بك واما من تبقى من العماطوريين فقد زحفوا الى باتر كما مر اذ المستصرخ الى الدير اتى الى الشوف قبل الصارخ الباتري بنحو نصف ساعة من الزمن فلم (١) بلغت الجموع دير القمر احاطوا بها من كل جهة ما عدا الجهة الشرقية وغدوا يطلقون الطلقات العنيفة فقابلهم الديريون بوابل من الرصاص واقتم الفضاء ورددت الاودية صدى قصف البارود الذي اشبه بهزيم الرعود فوقع من الدروز ٤٧ صريعاً ما عدا الجرحى قبل ان يقتل رجل ديري وذلك لان الدروز كانت في العراء وكانت النصارى داخل البيوت المشرفة على حيارة الدير وجوانبها وفوق ذلك فان جبران مشاقة كان قد اعـــد في الدير معدات حربية ذات بال ودبر تدابير جهنمية عظيمة فقد اقام حيطاناً على سطوح البيوت والمنازل الواسعة وبنى مثل ذلك في جميع القمندلونات المطلة عـلى الحيارة وشيد متاريس منيعة في ابواب كل الازقة النافذة الى وسط الدير من جهتها الغربية بصورة تقي المحاصرين قذائف[المهاجمين] وتؤمنهم غائلة بارودهم والخلاصة ان حصانة الدير واستعدادها يومئذ كانا بالغين منتهى الحد اما المهاجمون فان اهالي الشوف السويجاني منهم قد ناطحوا حارة الخندق من جسر بدران حتى الدباغه وامتد اهل بعقلين من الدباغة الى الخشاخيش واما اهالي المناصف والشحار فقد وقفوا قبالة الميدان العتيق وانه لما اقبل قاسم بك نكد بدروز الشحار هرع الى لقائه نحو الفي مقاتل من الدير فصدموه في الميدان العتيق صدمة عنيفة فصرخ في رجاله وكر عليهم كرة نكدية فانقضّت رجاله على العداة انقضاض العقبان فردوهم على اعقابهم خاسرين وما كفوا عنهم المهاجمة والكر والفر حتى ادخلوهم البيوت والجأوهم الى المتاريس حيث ربضوا وجعلوا يطلقون النيران الحامية فابى المهاجمون الرجوع وتعذر عليهم الوقوف تجاه النيران المهلكة فاتخذوا ما كان هنالك من اشجار الزيتون والتين متاريس يطلقون من ورائها رصاصهم ويتقون بها رصاص الاعداء فبقي اهل الدير ومن احاط بهم من الدروز على مثل هذه الحال من هجوم ودفاع كل ذلك النهار دون ان تنال احدى الفئتين من الاخرى طائلا حتى اذا كان العصر اقبل ملحم بك عماد في خمسمائة مقاتل من اهالي العرقوب الجنوبي فهجم على قبة الشربينة المرتفعة فدافعته حاميتها دفاعاً شديداً فلما رأى الموقف خطيراً ومأخذ الدير امراً على رجاله عسيراً ترجل عن جواده ورمى بنفسه من حالق الى الحـــارة المسماة الخندق فلم يصب بشيء من الضرر بل وصل مستوياً على حيله كانه احد مردة الجان

(١) لعلها : لما .

وما استقرت قدماه في ارضها حتى القت يداه النار في سقفها اما رجاله فلما رأوه قد رمى بنفسه الى ما بين جماهير العداة تراموا بانفسهم على اثره دراكاً فلما رأت الحامية فعالهم هذه اكبروها وعدوها من خوارق الطبيعية فاخلوا اماكنهم وتغلغلوا في الازقة هرباً وهم ينادون بالويل والحرب فلما رأت بقية الحاميات ما قد حل بحامية حارة الخندق وشاهدوا الدخان صاعداً من بيوتها وانهم قد اصبحوا محاطين بالمهاجمين من الجهات الاربع خامرهم الخوف والرعب غير ان كبراءهم شجعوهم وارسلوا الى حامية حارة الخندق قوة من حامية حارة البيادر فقد نتج من تقوية حاميتها ضعف لقوة حامية حارة البيادر التي اخذت منها النجدة لانها كانت ساعتئذ اهم حاميات الدير واعظمها مُنّة فآنس العقيدان النكديان منها ذلك الضعف فبادراها بهجمة شديدة سحقت قواها سحقاً فدخلا الدير عنوة وثارت في اثرهما الرجال تطلق وتحرق وتطعن وتضرب حتى بلغوا الشالوط وكان قد نالهم من الظمأ أشده فشربوا وسقوا خيلهم وكانت حينئذ قد مضت ساعة ونصف على غروب الشمس فكف المتقاتلون ورجع الدروز من الدير بنصف فرحة لانهم كانوا قد دخلوها ووصلوا الى الشالوط ضرباً بأسيفهم فانهم لم يتمكنوا من الايقاع باخصامهم الذين كانوا يتجنبون مقاتلة الدروز مقابلة فلا يحاربونهم الا من وراء الجدران فاذا سقط الجدار سلموا حالا ولذلك لم يفقد من الدير في ذلك اليوم الا خمسة قتلى فقط

سعيد بك جنبلاط في دير القمر

وبعد اربعة ايام من هذه الحادثة ركب سعيد بك جنبلاط وكان يوم الاربعاء في مائة وخمسين من خيله لملاقاة احد وزراء الدولة العلية المدعو طاهر باشا وكان قادماً الى الدير على اثر تلك الواقعة فمر بخيله بطريق الحيارة الواقعة غربي عمار الدير فلحظ بعض خيالته ان اهالي الدير لم يزالوا في متاريسهم وعلى اسلحتهم كما كانوا عليه غداة يوم الجمعة فوصل الى عين المزاريب فوجد بشير بك وسليم بك النكديين في انتظار الوزير المشار اليه هناك فلما قدم الوزير استفسر من صالح افندي متسلم الدير عن ماجريات تلك الواقعة فاجابه صالح افندي قائلاً ان التحصينات التي اقامها أهالي دير القمر كتشييد الجدران في مداخل الازقة والشوارع وفي القناطر والقمندلونات والابواب وعلى السطوح من المداميك المخرقة بالنوافذ الصالحة والمعدة للرمي من الداخل وغير ذلك وما بايديهم من آلة المحاربة النارية والمؤن والذخائر فضلاً عن وجدان ماء الشالوط في منتصف القصبة لما يعجز آلاياً من الجنود المنظمة معه اربعة مدافع عن اخذها واخضاعها في اقل من ثلاثة ايام غير ان الدروز فتحوها واخذوها في ست ساعات فقط

ثم ان طاهر باشا وسعيد بك بعد أن تخابروا مليّاً ركبا الى الدير ودخلا السراي اما خيالة البك فلم يترجلوا بل بقوا على ظهور خيلهم حتى خرج سيدهم واتفق انهم بينما هم في انتظار خروجه اذا بعشرين رجلاً من دروز الشوف منحدرين بجانب قصر جرجس باز فسألهم خيالة البك عن امرهم فقالوا لهم ان حسن عبد البستاني قد ارسل الى سعيد بك منذ يومين يسأله بعثة نفر من الدروز يحمونه ويحافظون عليه وانهم قد بعثوا من قبل البك لهذه الغاية اما بنو نكد فلما شاهدوا هؤلاء الرجال المبعوثين الى الدير من قبل سعيد بك جنبلاط ظنوا انه يسعى مع الديارنة في مسألة سلخ دير القمر عن المناصف وضمها الى الشوف ورفع حكم النكديين عنها وادخالها في اقطاع آل جنبلاط فقاموا لهذا الامر وقعدوا وجعلوا يحرقون على اهالي الدير الارّم لاتيانهم ذلك الامر الفظيع (هــذا اذا كانوا صادقين فيما توهموه) غير انهم لم يشعروا احداً بما صمموا عليه بل تآمروا سراً وعقدوا النية على الايقاع بالديريين مهما استطاعوا الى ذلك سبيلاً كما سيأتي على ذلك الكلام ، وعصارى ذلك النهار ركب سعيد بك من الدير وآب الى المختارة :

في البقاع

وفي اليوم التالي وكان يوم الخميس ركب علي بك احمد جنبلاط وسليم بك حسين جنبلاط ويمما البقاع بثلاثمائة من رجال بعذران ومرستي والحريبة وغيرها وكان البقاعيون متألبين في صغبين فالتقوهم الى خارج القرية عند عين اللغلغ وابدوا دفاعاً ضعيفــاً اذ لم يكونوا من الشجاعة على ما يذكر وقد كان عند ذلك من حامل بيرق بعذران واسمه يوسف يقظان ان انتخى وهجم على معسكر النصارى ففجه وظل مقتحماً وهو يدق بكعب عكاز بيرقه اي من اعترض له بمن امامه وحواليه فاصبح وكأنه ضمن دائرة من جيش البقاعيين غير انه لم يبد هذه الشجاعة الخارقة العادة ويتغلغل في معسكر الاعداء حتى انثالت في اثره رجال بيرقه وغيرهم وانطبقوا على عسكر البقاع فتمزق حزائق وتفرق طرائق ولم يثبت البقاعيون تلقاء تلك الشرذمة الشوفية ابداً ولذلك لم يقتل منهم غير ستة رجال فقط وطارت حامية تلك القرى فاعتصموا باعالي جبل الشيخ وغيره فحلت في منازلهم بعدهم نيران تشب ومواقد تهب ذلك بعد ان اعمل المتغلبون ايدي الكسب والاغتنام ولم يفرْ علي بك بيتاً من السلب والحريق ما عدا بضعة عشر منزلا في صغبين كان اصحابها قد سلموا له بعد ان انتشب القتال فسلموا وسلمت بيوتهم واموالهم وتنقل الشوفيون بعد ذلك من صغبين الى عيتنيت الى غيرها

من قرى ذلك [السهل] الواسع فوجدوها خلواً من الحامية والرجال وليس فيها غير النساء والاطفال فسلبوا ما سلبوه واحرقوا ما احرقوه ولما اتموا اعمالهم آبوا الى مواطنهم غانمين

تركنا خطار بك عماد مقيماً بمن معه في قب الياس من حيث جعل يستنفر اليه المقاتلة من الدروز للاغارة على زحلة وفتحها عنوة فقد كتب الى سائر المقاطعات الدرزية من جبل الشوف وكتب ايضاً الى زعماء الدروز في جبل حوران وغوطة الشام وبلادي حاصبيا وراشيا واقليم البلان فجعلت الجموع تتحرك نحوه من كل جهة وناحية

حادثة حاصبيا

وفي خلال ذلك حدثت منازعة ما بين بعض الدروز والنصارى من سكان حاصبيا افضت بجميع ابناء الطائفتين المذكورتين الى اشهار السلاح وخوض مجال القتال فكانت الغلبة حليفة للدروز فتقهقر النصارى من وجههم مستجيرين بالامراء آل شهاب ففتح الامراء لهم بوابتي السراي الضخمة المشهورة التي هي اشبه بحصن حصين فدخلوها وتفرقوا في جوانبها وغدوا هم والامراء يداً واحدة يطلقون من معتصمهم على الدروز نيراناً حامية فناصبتهم الدروز برهة ولكن على غير طائل واتصل نبأ القتال باهالي مجدل شمس ومن جاورهم من فلاحي الدروز فخف منهم جانب عظيم الى ساحة القتال كما تألبت نصارى تلك الانحاء الى حاصبيا ايضاً فاقام النصارى والشهابيون على المحاصرة اياماً قتل فيها من الدروز الشيخ كنج ابو صالح زعيم المجادلة وعشرة فرسان أخر ولم يقتل احد من اللائذين فلما بلغ سعيد بك جنبلاط نبأ هذه المحاربة اركب من قبله الشيخ كنجاً العمادي يقود شرذمة من رجاله وعلي بك حمادي يتبعه دروز عين قنية الشوف الذين لم يشهدوا حرباً في بلاد الشوف قط انصياعاً لامر سعيد بك جنبلاط اذ كانوا جيران المختارة الاقربين ووصلت النجدة الشوفية الى حاصبيا والحال باقية على ما كانت عليه فشد الشوفيون وشد معهم فارس الطويل الفارس المشهور وجماعة المجادلة عامدين الى بوابة السراي الكبرى فشرعوا في تكسيرها بالفؤوس غير مبالين بما ينقض عليهم من رصاص المدافعين وبارودهم ولم يزالوا بها حتى حطموها وفتحوها عنوة فاعملوا في المحاصرين السيوف والخناجر ذابحين ثلاثة وعشرين من الامراء اولهم الامير سعد الدين شهاب سبب هذه الثورة ونافخ ضرم هذه الفتنة وذبحوا من النصارى ستمائة رجل ثم اعملوا في السراي والبلدة ايدي السلب والابتزاز وانقلبوا ظافرين غانمين غنائم جزيلة

قدوم اسماعيل الاطرش ورفاقه

وعلى اثر ذلك اتفق مرور الشيخ اسماعيل الاطرش براشيا نحو زحلة ملبياً دعوة خطار بك عماد الى زحلة فاعترضه امراء راشيا الشهابيون وناضلوه القتال وهم يقودون نصارى تلك الناحية ويرأس هو ستمائة فارس حوراني فيهم الزعماء المشهورون كمحمد ابي العساف المكنى بالقميزة والشيخ محمد الاطرش ابن الشيخ اسماعيل والشيخ كنج الصردي ومعه عشرون خيالا صردياً والشيخ بخيتان السلطي ومعه عشرة خيالة من عرب السلوط ويصحبه فوق من ذكر خليل اغا الدير علي احد زعماء الغوطة وخزاعي العريان من زعماء التيامنة وعدد الجميع ستمائة خيال فلما اتقدت نار الوغى فلم تكن الا غارة أغارها الدروز فشتتوا شمل اولئك الامراء ومن معهم من العساكر فطاروا في جميع الانحاء واستمر الحوارنة نحو زحلة سائرين .

ولما دنوا من غايتهم المقصودة اقبلوا على خطار بك وهم يهزجون :

يا عن احم ساحتك	جاءتك فرسان الطراد
حنا نبيع رواحنـــا	لعيون خطار العماد

فخف خطار بك ومن معه الى مـــلاقاتهم وبالغوا في اكرامهم والحفاوة بهم ثم ان الحوارنة تفرقوا في ضواحي زحلة من سهل البقاع واقاموا كضيوف بين اهالي تلك القرى المسلمين الذين بالغوا في اكرامهم وحسن معاملتهم والقيام بما يلزم لهم من الامور (١) وذلك لمـــا كانوا يقاسونه من تحيف ذوي الاملاك الزحليين ومظالم ذوي الامر منهم وما مرّ على مكثهم يومان تسرّت فيها عنهم وعكة السفر حتى جعلت الفرق منهم تشن الغارات غازية مواشي المعلقة والحواش فيغنمون الغنائم الطائلة ويبلون قلوب الاهلين بالروع والاخافـــة فاستصرخ اهالي المعلقة يوماً بجيرانهم الزحالنة فخف لنجدتهم سرية عظيمة من الخيالة فيهـا الوطنيون والغرباء وبعد ان انضمت اليهم خيالة المعلقة ومن جاورها اضحى عددهم مناهزاً الالف والثلاثمائة فارس وقد يمموا اولاً مقامـــة العرب فاغاروا عليهم غارة شعواء في السهل الغربي فكسروهم وانهزمت العرب امامهم فخاضوا الليطاني الى شاطئه الشرقي فعبر الغزاة وراءهم وما حصل الفريقان في السهل الشرقي حتى اخذت سريات الحوارنة تفد من مقاماتها في القرى المتفرقة وقد كان اطلاق البارود وارتفاع الغوغاء داعية قدومهم وحثهم الخيل الجياد ولما تقابلت الصفوف وتقارعت الاقران ودوت الوهاد من جلبة الحوارنة وصراخهم الحماسي ونخواتهم المعروفة لدى الكر والفر وصدق ابطالهم المهاجمة والدفاع ومهارتهم في

---

(١) القنصل الانكليزي واسماعيل الاطرش يتبادلان الرسائل. انظر الملحق الثاني رقم -٩-

فراسة الافراس وملاعبة الاسنة خامر الزحالنة الجزع ففقدت قواهم تهي وعزائمهم تنحط حتى ظهر الحوارنة عليهم ظهوراً مبيناً فجدلوا عيون فرسانهم ونخبة قادتهم فانهزموا شر هزيمة وادبروا مطلقين لخيولهم الاعنة فثار الحوارنة في اتباعهم يدقون اقفيتهم بالرماح الطوال

وقد اشتهر في هذه الواقعة الشيخ دعيبس عامر وكانت النصرة على يده اذ كان قدومه قد تأخر فاشتبك الفريقان في القتال قبل ان يشهد حومة الوغى وحين حمي الوطيس وتلبد العجاج اذا به قادم في ثلاثة وعشرين فارساً فاستل الحسام واطلق لجواده العنان صارخاً بخيله : (وين راحوا. اليوم ولا كل يوم) فصدم الزحالنة صدمة تهي لشدتها الجلامد ففرق الكتائب ورمى الهول والرعب في افئدة الشجعان وحذا حذوه بقية الزعماء من الدروز والعرب فكانت ساعه تشيب لهولها الاطفال قتل فيها من الزحالنة فوق ثلاثمائة خيال وفر الباقون لا يلوون على شيء غير ان الحوارنة سدوا في وجوههم ابواب النجاة فعمد الزحالنة عند ذلك الى عادة للحوارنة حربية لا يخفرون بها عهدا وهي انهم كانوا يترجلون عن افراسهم وينتزعون اسلحتهم ويربضون في امكنتهم فيقدم الواحد منهم فرسه وسلاحه للمغير الحوراني قائلا له: بوجهك ايها الفارس .فيأخذ الفرس والسلاح ويعفو عن الدم .ولولا ذلك لبلغ عدد القتلى ضعف ما قد بلغه اما الخيل فلم ينج منها فرس قط بل وقعت كلها غنيمة في ايدي الظافرين « ولم تزل الزحلاويات سلالة خيل محمودة عند الدروز والعرب الى يومنا هذا »والزحالنة يقولون لهذا اليوم شر السهل وقد كان من اشأم الايام عليهم اذ خسروا به معظم خيلهم وفقدوا نخبة فرسانهم وقد كان له مغبة رعب وخوف في قلوب سائر من بزحلة من المقاتلة ركباناً ومشاة حتى انهم في يوم الشر الكبير اي يوم اخذ زحلة نفسها قد هال حامية زحلة مرأى الحوارنة وسماع اناشيدهم الحربية وكان لذلك على قلوبهم تأثير عظيم حالة كون الحوارنة لم يأتوا في زحلة ما يذكر من البسالة والشجاعة والفتك بجانب ما اتاه الشوفيون وذلك امر متعارف والعرب اضحوا يعيرون الحوارنة بعدم اقدامهم اقدام الشوافنة في الكر وثباتهم في تلك المواقف الخطيرة . آه

الدروز يتوافدون على خطار بك

ثم أخذت جماهير الدروز تفد على خطار بك في قب الياس تباعاً واخيراً اقبل وفد الشوف لانها ابعد المقاطعات عن زحلة والعماطوريون اكبره جمهوراً وقد كان مسيرهم صباح يوم الجمعة الواقع في ١٨ ذي القعدة سنة ١٢٧٦ هـ ،الموافقة سنة ١٨٦٠ م، فبلغوا قب الياس

عصر اليوم المذكور وعددهم مايتا خيال وتسعماية راجل وبلغ عدد وفد العرقوب الجنوبي (اي عرقوب العماديين) سبعماية مقاتل وناهز وفد العرقوب الاعلى مايتي محارب تحت قيادة الشيخ محمود العيد وكان الجرديون نحو ثلاثماية وعقيب ذلك اقبل خليل آغا الديو علي وخزاعي الغريان من راشيا ومعهما ثلاثماية راجل وكوكبة من الفرسان فكان عدد الجميع الفين وستماية مقاتل ما بين فارس وراجل واذا اضيف اليهم عدد فرسان الحوارنة والعرب كانت غاية مجموعهم ثلاثة آلاف ومايتي محارب

اما عدم زيادة عددهم على هذا فحذر اخلاء البلاد من الحامية اللازمة اذ لم تزل دير القمر يومئذ مشحونة بستة آلاف محارب وبناء على ذلك اقتضى الامر ابقاء المناصفين واهالي بعقلين وكفرنبرخ في مواقفهم خشية امر يأتي اذا هم فارقوا حماهم اما دروز الشحار وعدم ذهاب احد منهم الى زحلة فلأن نصارى تلك المقاطعة يفوقونهم عدداً فضلاً عما لهم عندهم من الثأر فلا يسعهم والحالة هذه تخلية حماهم وشأنه ومغادرة بيوتهم وعيالهم وهكذا قل عن المتن وهلم جراً . وزد على ذلك فان سعيد بك جنبلاط قد كان اعظم مخـــالف في مسألة فتح زحلة والزحف اليها فقد فرق اوامره المؤكدة وشدد النكير على كل من يحمل سلاحاً ملبيا دعوة خطار بك عماد الى انفاذ غايته الوبيلة واتمام مشروعه الجهنمي الذي ربما آل الى الدمار العمومي واورث لبنان واهليه خراباً عاجلا اما الذين جاءوا زحلة من اهالي الشوفين غزاة فقد تفلتوا خفية عن عيون سعيد بك وارصاده او قسراً عن ارادته ولذا كان معظمهم شباناً جهلة لا شيخ بينهم ولا كهل لا سيما الذين كانوا قد شهدوا واقعة سنة ١٨٤٢ اي الحركة الوسطى في زحلة فقد نكبوا جميعهم عن القدوم والغزو .

عقلاء الدروز يقلقهم مصير الغزاة

ثم انه بعد ان غادرت تلك الجماهير اوطانها بغية امر دونه خطوب واهوال جعل [عقلاؤهم] يضربون اخماساً لاسداس فيما عسى ان تؤول اليه تلك الغزوة الخطيرة زاعمين ان القـــوة الدرزية الزاحفة الى زحلة ليست بكفء لذلك وانه مما لا يدور في الخلد ولا يقدره العقل ان ثلاثة آلاف محارب في بلد ما يستطيعون القيام بفتح مدينة يفوق عدد حاميتها الثلاثة والاربعين الفاً من المقاتلين ومعظمهم بين ذائد عن حياضه وذاب عن حوزته ومدافع عن وطنه امام فتاة تنخيه او بجانب صبية يخف عليهم النوى اذا استباحتهم العدى فمع انهم يعاكسون رأي من يقول بالزحف والمحاربة اصبحوا وهم يستجيشون العدد ويكتبون الكتائب مدداً

يبعثون به الى زحلة . ثم كتب الامير محمد ارسلان وسعيد بك جنبلاط كتاباً الى خطار بك عماد يشيران عليه به ان يتأنى بالامر ويؤخر المهاجمة حتى تصل اليه نجدة مؤلفة من الفين وخمسماية مقاتل تحت قيادة الامير حمود ارسلان وسليم بك جنبلاط وسعيد بك تلحوق والشيخ سليم عبد الملك مع كل منهم خمسماية مقاتل فوصله الكتاب يوم الاحد حيث كانت جميع الوفود قد حصلت في قب الياس ويقولان فيه ان النجدة المذكورة ستكون عنده يوم الخميس القادم .

الحوارنة يستعجلون الغزوة

واتفق انه قبل وصول هذا التحرير الى خطار بك بساعة من الزمن كان قد قدم عليه الشيخ الاطرش ومن معه من المشايخ الحورانيين شاكين اليه عدم استطاعتهم المكوث بعد لنفاد زادهم وعليقهم اذ القمح كان لم يزل وقتئذ فريكاً لم يستحصد فقر بينهم القرار وعقدت الخناصر على ان المهاجمة ستكون صباح الاثنين اي غد ذلك النهار (الاحد) فتحمل الجموع من كل جهة ويكون الملتقى حوالي زحلة من الجهات الثلاث مغادرين الجهة الشمالية خلواً من المرابطين لتكون طريقاً لفرار من يروم الفرار من الزحليين

انفق القادة على هذا الامر مساء الاحد وارفضوا كلٌ الى مقامه فلما كان المغرب اقبل ابراهيم ابو عز الدين رسول الامير والبيك وبيده الكتاب المحكي عنه ولما لم يتمكن خطار بك من مقابلة الرؤساء المشار اليهم ليلتئذ امهل ذلك الى النهار وقبل طلوع فجر الاثنين امتطى جواده وانتحى مضارب الشيخ اسماعيل الاطرش ومعه مئة خيال منهم عشرون مماطرة وذهب معه الشيخ محمود العيد ايضاً فلما بلغوا المحلة وجدوا القوم في غوغاء وحداء وصلصلة سلاح وهز رماح وهم متحركون الى الحرب والقتال

خلاف الشيخ اسماعيل الاطرش والشيخ محمود العيد

قصَّ خطار بك على مشايخ الحوارنة خبر الكتاب المرسل فاستشاط الشيخ اسماعيل غضباً وقال له : اننا لقد (حوّرنا) من اكل الفريك في هذه العشرة الايام وخيلنا حسكت من اكل السنابل فوالله لا اصبرنّ ولا بدّ من الركوب في هذا اليوم نفسه إما الى زحلة واما اياباً الى حوران فابتدره الشيخ محمود العيد قائلاً : اننا منذ زمن مديد نحارب هؤلا القوم ولم نكن في احتياج اليكم بل النصر كان في اكثر الوقائع حليفاً لنا على غير ايديكم فان كان مرادك الاياب فأبْ مصحوباً بالسلامة ونحن في غنى عنك وعن خيلك .

خطار بك يسترضى الشيخ اسماعيل

غير ان خطار بك وكان رحيب الصدر طويل الجأش واسع الخلق كريمه فضلاً عن دهائه فيما يتوخاه من الاعمال ولين جانبه ورقة حديثه فقد اخذ يطفىء سورة صاحبه الاطرش بكلام رقيق وخاطبه بيا اخي ابا محمد ان الدروز اشبه بعشيرتين احداهما في لبنان والاخرى في حوران وانت كبير العشيرتين وأبٌ للفئتين ولقد مكثت عشرة ايام فامكث ايضاً هذين اليومين اكراماً لخاطري الى غير ذلك بما اشبه هذا الكلام ولم يزل به حتى أخمد غيظه واسكن جأشه واجابه الاطرش بكلام هو ارق والطف بما خوطب به فقال اني اكراماً لخاطرك وما فطرت عليه من كرم الاخلاق لامكثنّ عوض اليوم عشرة ايام . فشكر له خطار ثم انصرف بعد أن اتفقا على تأجيل المهاجمة الى يوم الخميس القادم . اما الحوارنة فتوجه كل فريق منهم الى مقره ، واما خطار بك ورفاقه فانقلبوا راجعين نحو قب الياس وحين بلغوا جسر المرج ترجلوا لمناولة طعام الغداء فبينما هم يأكلون اذا بصائح يصيح : الشر الشر ! علق الشر بين الزحالنة وخزاعي العريان والعرب وخليل آغا الدير علي . وكان هذا الصائح خيالاً من قبيع المتن يدعى حموداً .

ملحم بك يكلف بوقف القتال

فقال خطار بك لملحم بك : اذهب يا ملحم واوقف هذه الشرذمة عن القتال وايقاد الحرب في هذا اليوم جرياً على الموافقة المضروبة بيننا وبين الحوارنة . فقال له ملحم : ترسلني لاسكان حركة الشر وايقاف الدروز عن الحرب وانا مجنون متى سمعت قصف البارود وشممت شذاه ازددت على جنوني جنوناً . قال : لا ، كن في هذه المرة عاقلاً حكيماً واوقف حركة الحرب .

فمضى ملحم مغذاً الى حيث اصطلت المقاتلة فلما اقبل من بعيد على العداة انتزع طربوشه عن رأسه وشهر الحسام بيده وصاح صيحة دوت لها الوديان معملاً في جانبي جواده المهماز هاجماً على رعيل من الخيل لا يقل عن الف خيال فزادت الحرب اضطراماً واشتدت بحضوره احتداماً ولم يخفَ ذلك على خطار بك وخاف على ابن عمه غائلة الردى فصاح بمن معه من الفرسان فثاروا الى خيولهم فامتطوها مطلقين الاعنة الى حيث شبت نار الحرب فوجدوها مناوشة ليست بذات بال ما بين جماعة العرب وألف من خيالة زحلة قد شنوا عليهم الغارة في محلتهم حوش كسارة ولقلة عدد العرب لم يمكنهم البروز اليهم بل كان كل اربعة او خمسة منهم وا قفين وراء بيت من البيوت . وكان يبرز الواحد منهم ويحاجي للزحالنة فيطلقون عليه مئات

من الطلقات فيعود الى موقفه ثم يبرز رفيقه فيحاجي ويعود وهلم جرّا ولم يكن ثمة لاعريان ولا ديو علي كما قال الصائح بل انهما كانا لم يزالا مقيمين في ثعلبايا وعندئذ فرق خطار بك خيله اربعة اربعة وسار هو في القلب متقدماً بهم تجاه خيالة زحلة فلمـــا تقابلت الفرسان اخذوا يتطالقون البنادق ويتناضلون برهة من الزمن واضحى خيالة الدروز في انتظار قدوم الحوارنة اليهم لدنو محلتهم من ذلك المجال فمضت ساعة ولم يقبل عليهم احد .

الحوارنة يرتبكون

على ان الحوارنة مذ سمعوا اطلاق البارود غدوا في ارتباك للمفارقة العتيدة مع خطار بك ومن معه فغدوا يتشاورون في الامر وما عسى ان يكون توقع بما لم يكن في الحسبان وجعل اسمعيل الاطرش يمد ناظوره الطويل فتبدو له مناوشة الخيل وطرادها فيقول ما هذا (بكون) اي بحرب ان هذا الاشرذمة من الخيل طماعة واني لا اركبن حتى اشاهد الجموع زاحفة من قب الياس وانظر البيارق بعيني . وقد كان وراء خيالة زحلة نحو خمسة آلاف محارب من الغرباء مشاة رابضين في كروم العنب لجهة الجنوب من زحلة فلما وصل خطار بك بمن معه جعلوا يطلقون الرصاص اطلاقاً متواصلا فحرج الموقف على خطار بك فعهـــد الى فارسين من ثقاته ان يستصرخا جميع الدروز في قب الياس ويجيئا بهم بما امكن من السرعة وهما علي سعيد وفارس حاطوم وكانا مُلظّين (١) بخطار بك لا يفارقانه ابداً فحنقا من هذا الامر الذي عهد به اليهما لما كانا عليه من شدة البأس وكبر النفس اذ المستصرخ لا يكون الا من الرعاع عادة ومن لا يهمهم تلبية المستغيثين والمبادرة الى اغاثة الملهوفين فلم ينفذا امر سيدهما بل اخذا جهة في السهل ثم انقلبا من جهة اخرى واختلطا بخيل الدروز يكافحان ويناضلان اما خطار بك فبقي على انتظار قدوم الجموع الجرارة ليكون قائدها العام وينظم لها خطة المسير الحربية فمضت ساعات طويلة ولم تقبل الجموع ولذا بقيت تلك الشرذمـــة الدرزية اليسيرة تناضل الالوف وتكافحهم ثلاث ساعات طويلات واخيراً بدت ثلاثة بيارق من فوق رابية هناك ولم يبدُ مع ذلك حاملوها ولا من حولها من المقاتلة فظنت خيـــالة خطار بك انها طلائع الجيش الدرزي زاحفاً من قب الياس فاشتد ازرهم وجعلوا يهتفون (اجا بو علي اجا بو علي) فراع هذا الهتاف عسكر النصارى فوقفت رجـــالتهم جميعهم

---

(١) اي ملازمين له

شاخصين الى حيث اقبلت البيارق وفر الجبناء المجازيع من الخيالة واما من بقي منهم فقد اخذوا في التقهقر والانحلال شيئاً فشيئاً وغـدا خيالة الدروز يظهرون عليهم ويتقدمون نحوهم بجرأة عظيمة وبعد هنيهة انكشف حاملو البيارق ومن حولهم من العساكر فاذا هم خزاعي العريان وخليل آغا وجماعتهما الثلاثمائة فانحدروا الى ساحة القتال وانتخوا وهجموا الهجمات الشديدة وانتخى الشوفيون ايضاً وصدقوا الحملة على خيالة الزحالنة فهزموهم شر هزيمة فالظ ماحم بك العماد والصردية في تتبعهم وغنموا منهم الغنائم الطائلة واما الشوفيون فاختلطوا ساعتئذ بالتيامنة والغواطنة فانصبوا على جماعة المشاة المتحصنين في كروم العنب فانهزموا صاعدين في نجد امامهم فتصاعدوا خلفهم حتى ظهر تلك الرابية والاطلاق غير منقطع ابداً فلما افترعوا قمتها انكشفوا على جماعة الدروز الباقية في قب الياس وجماعة الحوارنة المتفرقة في السهل عبر النهر فتأكد لفريقي الدروز عندئذ وقوع الحرب فالحال ركب الشيخ كنج وزحف بالدروز من قب الياس نحو زحلة نفسها وهكذا فعل الحوارنة عابرين النهر ومطلقين الاعنة نحو زحلة ايضاً . وقد قتل من خيالة الدروز في هذه الحادثة وجرح نحو خمسة واربعين منهم اسمعيل سيف ورجل من اقاربه من نيحا ومحمد علي شرف من جباع ومحمد ذيبان من مزرعة الشوف وحمد شمس الحسنيه من عين وزيه ويوسف خطار وحسن اسماعيل هاني من بعذران وحمود من قبيع وممن جرحوا حسن محفوظ ابو شقرا ومحمد اسمعيل عاد عبد الصمد وحسين غضبان ابو شقرا (١) وغيرهم من عماطور وهلكت عدة افراس من جرّى تلك المطاردة العنيفة وقتل من النصارى ما ينوف على اربعماية اكثرهم غرباء . .

حصانة زحلة

اما زحلة فقد كانت من التحصن والمنعة على جانب عظيم وقد حفر اهلها خندقـاً عظيما من جهتها الجنوبية وشيدوا على حافته الجنوبية حائطاً من اللبن ذا نوافذ وكوى صالحـة للرمي من خلالها ذلك ما خلا التحصينات والاستعدادات المقامة في الازقة والشوارع اماعن القناطير المقنطرة من المؤن والذخائر التي كانت بين ايديهم فحدث ولا حرج وقد كانت اسلحتهم جيدة صقيلة وخيلهم جياداً اصيلة .

خطار بك ينظم الصفوف

وحين اغارت الدروز من قب الياس لم تمض ساعة حتى كانوا قدام حيطان البيوت في زحلة حتى ان البارود كانت شهبه تهب" في اوجههم فتحوّل الوانها سواداً فـلا يوهي

(١) هو راوي هذا الكتاب « المؤلف »

ذلك لهم عزائم ولا يحمل احداً منهم على الوقوف والتأخر اما خطاربك عماد فلما التأمت شعاب جيشه ترأس ذلك الجيش وسار في مقدمته فجعلت الدروز تقتفي خطاه الى ان مال وانتحى فلم يزل متقدماً بهم حتى الرأس الغربي من زحلة وهناك اركز البيرق الاول وانقلب الى البيرق الثاني واركزه على مسافة من البيرق الاول معيناً لحماته ايضاً الزقاق الذي يجب عليهم المرور به داخلين الى زحلة وهكذا فعل بالبيرق الثالث فالرابع وهلم جراً حتى اضحى الدروز محيطين بزحلة من الجهات الثلاث ولما اتم ترتيب العساكر وتنظيم الصفوف غدا يروح ويجيء بين الجيشين وقذائفهم غير المنقطعة مفرقاً على القادة والرؤساء الاوامر اللازمة وهو مع ذلك دائب في تشجيع رجاله وتثبيت عزائمهم واستثارة نخواتهم وتحريك هممهم دون ان يهمل امراً مهماً كان او غير مهم او ان يسهو عن مسألة جليلة كانت ام حقيرة فلم تقعد له عزيمة ولا فترت له همة قط وقد كان يمرح رائحاً جائياً بين القذائف ونيران البارود كمن يمرح في خميلة يتنشق العرف الذكي من نسماتها. اما الزحليون فلم يذمم دفاعهم بل ابدوا من الشجاعة ما لا ينكر عليهم غير ان الدروز وما كان يجيش في صدورهم من نيران التشوق الى فتح زحلة واحراز ذلك الفخر العظيم فقد ابدوا من الشجاعة والاقدام ما يعجز عن وصفه القلم ويكل عن تبيانه اللسان لانه من كان يرى اهالي الشوف متساقطين على زحلة من حيث كانوا واقفين ويرى ما كان ينصب عليهم من قذائف الرصاص التي يشبه انصبابها انصباب البرد في اعالي الجبال يندهش لذلك المرأى العجيب ولا يسبق الى ظنه ان تلك الجماعة منقضة على زحلة لتفتحها عنوة بل يقول ان هؤلاء الرجال قد قربت مناياهم فهم الى مصارعهم مسرعون وهم غير مبالين اما الجمهور الذي نال الفخر بدخوله زحلة اولاً فكان جمهور الشوفيين دخلوا الحارة الشمالية والقوا فيها النار فاستعرت في منازل عديدة وعلا دخانها نحو السماء ثم توالت بعدهم الجماهير دخولا حتى اصبح الدروز وسائرهم داخل اسوار زحلة

هجوم الاطرش ورفاقه

فلما شاهد اسمعيل الاطرش — وكان لم يزل بخيله خارج المدينة — الدخان الذي تصاعد اولاً من حريق اهالي الشوفيين صرخ بخيله قائلاً (ويلكم يا حوارنة) تقدموا تقدموا ، فلقد وليها الشوافنة قبلكم ثم ان دخان الحريق غدا يتصاعد من الاحياء المفرقة واماكن عديدة في زحلة فارتاعت لذلك حاميتها وخامرهم الفشل والخوف العظيم ولما لم يعد لهم طاقة على الثبات اخذوا في التقهقر والانسحاب مخلين الحمى والذمار مغادرين الموطن العزيز عرضة للبلى

والدمار تتحكم به ايدي الجبابرة الغزاة وتسوده طوارىء الحدثان ونوائب المشاعل والنيران ولتفاقم الويل الطارىء والخطب الملم لم يعد للزحليين عند ذلك اعمال فكرة الا في مسألة النجاة من البلى والفرار من الردى

الزحليون يخلون المدينة

ولما كانت الجهة الشمالية من زحلة متروكة خلواً من المرابطين اندفع الزحليون نحوها خارجين بسرعة عظيمة وازدحام شديد بعضهم مروقاً من الازقة وبعضهم فزّاً من اعالي السطوح ومن شبابيك العلالي واول حي اخلى زحلة هم اهل الحارة الشمالية حملوا ما غلاقيمة وخف محملاً من حليهم ومتاعهم واخلوا حوزتهم قبل ان يدنو منها الخطر والويل واغذّوا في الهرب يممنين نحو البلاد الكسروانية ثم جعل بقية اهالي الحارات يقتفون آثارهم، السرب تلو السرب والزرافة تلو الزرافة . وكان الدروز كلما تخلى الزحالنة عن مواقفهم ازدادوا هم تمكناً ورسوخاً في قلب البلدة وجوانبها ولم تمض ساعة من الزمن حتى اصبحت زحلة خاوية خالية ما عدا حارة العين منها فان حاميتها ثبتوا واجملوا الدفاع

اما الدروز ساعتئذٍ فتخلوا عنهم ليتمموا اجلاء بقية الحاميات ويصلوا الى الغاية المقصودة من أخذ زحلة وكسبها فلما عادوا اليهم صبيحة اليوم التالي وجدوهم قد اقتفوا خطى اخوانهم فسروا على آثارهم هاربين .

دخول زحلة

ولقد كان لخروج الزحليين من زحلة ودخول الدروز اليها ساعة مهولة عظيمة اشبه بساعة ينفخ في الصور فتأتي النـــاس افواجاً اذ كان للرجال صراخ وصياح وللنساء عويل ونواح وللاطفال زعيق وبكاء وللبهائم ثغاء ورغاء ونباح ونهيق الى غير ذلك مما جعل الضوضاء تصم المسامع وتملأ الفضاء وقد تأججت النيران وتلبدت غيوم الدخان فكان للسعير زفير ولسقوط الانقاض قرقعة وطقطقة كل ذلك واصوات البارود تقصف ورعود البنـادق تهدر وجماهير المنتصرين يشدون الاغاني الحماسية المهيجة وهم يوالون الكر والاقدام ويتابعون الحمل والهجوم فيبلون أحسن البلاء اطلاقاً وضرباً وطعناً الى غير ذلك ممـــا جسم الهول ورفع الجلبة حتى دوى الجو وقد اقتم النهار واحتجبت الشمس من الغبار وتفاقمت الاهوال فكانت ساعة تشيب لها الاطفال وتقشعر لها الابدان وان الرجال، رجال زحلة بينما كانوا امام الدروز هاربين

كان مسيرهم قدام نسائهم والنساء يتلونهم وعلى ايديهن الاطفال اي ان الرجال قد اتخذوا النساء والاطفال دريئة يتقون بها رصاص الدروز وبارودهم وذلك لعلمهم ان الدروز لا يمسّون في الحرب امرأة ولا يتصدون لمن لم يبلغ اشده من الغلمان ولذلك كانت تلك المسكينات الجازعات عثرة في سبيل فرسان الدروز المتبعين خطوات رجالهن المنهزمين وكان النهار عند ذلك قد زال فكف الدروز عن القتال ثم اخذوا في الخروج من زحلة عائدين الى قب الياس وكان خطار بك عماد والشيخ اسمعيل الاطرش واقفين عنى مخرجهم وممرهم حتى اذا تيقنوا انه لم يبق داخل المدينة درزي قط بل أمسى الجميع وهم خارجها حوّلا فرسيهما خلف تلك الجموع ونامت الدروز ليلتئذ في قب الياس وصباح اليوم الثاني باكروا زحلة فالفوا النار خامدة والمدينة خالية فاكملوا حريقها فملأ دخانها البقاع وغادروها قاعاً صفصفاً تذري الرياح رمادها وعادوا منها منتشين بخمرة ذلك الانتصار العظيم (١)

المتاولة يساهمون

وفي ذلك اليوم هجم الامير سلمان الحرفوش ونسيبه الامير محمد بمتاولة بلاد بعلبك على قرى النصارى في تلك الانحاء كشمسطار وابلح وغيرهما فاحرقوها وقتلوا خلقاً كثيراً .

عدد القتلى

اما قتلى الدروز في محاربة زحلة وفتحها فبلغوا المائتين والسبعين واما قتلى النصارى فلم يتجاوزوا التسعماية (٢) وقد شفع بالزحالنة زوال النهار واقبال جيوش ابن حام اذ ان الحرب لم تصلَ الا عند الظهر كما سبق القول والاشارة الى السبب ولم تؤخذ زحلة ويتم جلاء اهليها عنها الا قبل الغياب بنحو ساعة اما قبل الاستيلاء على زحلة فكان رصاص الدروز لا يدق غير الجدران ورصاص الزحالنة يمزق الصدور والابدان اما بعد أن استولوا على زحلة وفتحوها عنوة واعملوا ايدي الفتك بمن لقوهم فيها فلم يتسنّ لهم في تلك البرهة اليسيرة الايقاع بأكثر ممن اوقعوا بهم .

---

(١) اسمعيل الاطرش في المختارة . انظر الملحق الثاني رقم —١٠— (٢) كان بين المحاربين الدروز في زحلة نفر من النصارى قتل بعضهم وهم في صفوف الدروز عرف منهم شكر الله ابو عبسي من بعذران .

الغنائم

اما من جهة الغنائم والمكاسب من زحلة فان دروز لبنان لم يعبأوا بشيء من ذلك اذ تواصوا على هذا الامر الذي يفقد من سلكه شجاعته ويلتهي بالكسب عن الذود والذب والطعن والضرب اما الحوارنة والعرب فلا تسل عما احرزوه وغنموه من الخيل المطهمة والحلى والجوهرات والنقود . وقد ذهبت سائحاً في هاتيك البلاد وجئت العرب الصرديين في بلاد حوران فسألتهم فدلوني على الخيل الزحلاوية الباقية عندهم من سلالة ما غنموه في زحلة من الخيل ويسمونها الزحلاويات للآن .

حادثة دير القمر

رجعت كتائب الدروز من زحلة وحصل كل في بيته يوم الاربعاء ، ما عدا خطار بك فانه لم يؤب الى العرقوب بل بقي جهة البقاع ، ويوم الخميس التالي زحفوا على دير القمر واجروا ما اجروه بما يسمى ذبحة الدير وقد كانت حادثة مشؤومة لم يسبق لها نظيرة في تاريخ لبنان الحديث وان قلمي ليأنف عن تسطير ماجريات معمعة مثلها لولا ما يضطره الى ذلك استقصاء الحقائق التاريخية اما الباعث على تلك الفادحة الوطنية الهائلة فرجلان من وجوه عامة الدروز كانا نافذي الكلمة في قومهما مشهورين بالبطش والفتك في الوقائع والغارات وهما مصطفى الدويك وسليمان احمد عبد الصمد المذان اخذا يزينان ذلك للدروز الراجعين من زحلة ساعدهما عليه فصاحة لسانيهما وعظيم دهائهما واقتدارهما وما لهما من المنزلة الرفيعة في اعين القوم لاسيما وهما من الشيوخ الروحيين المعترف لهما بطول الباع في العلوم الدينية ، ولعمرك ان معظم الشرور هي نتيجة اعمال ممن يتظاهرون بظواهر الخير ومدعي الديانة تحتذي العامة حذوه ويقتدون بفعله ، قلنا ومن جهة اخرى كانت في قلوب الدروز حزازات تغلي مراجلها انتقاماً من اهالي الدير الذين اصبحوا قاتلين عدداً ليس بقليل من الدروز حتى قلما خلت عائلة او قرية لم يكن لها ثأر عند الديريين وذلك لانهم في المحاربة الاخيرة سلموا حالا فسلموا دون ان يقتل منهم احد فبقيت عوامل الحقد والضغينة تتحرك في قلوب اصحاب الثأر فكان ذلك اعظم مساعد للشيخين على اتمام مشروعها وتنفيذ مأربها حتى ان اولئك الدروز لم تنطرح في مجال البحث لديهم مسألة الايقاع بأهل الدير حتى قر رأيهم جميعاً مصادقين وللدعوة ملبين فعقدوا على ذلك الخناصر وقرروا العزائم وتفارقوا انهم في صباح اليوم التالي يكونون طراً على جوانب دير القمر واما ما قد حمل مصطفى الدويك وسليمان

احمد على اضرام تلك الفتنة والاقدام على ذلك الامر الخطير فانما هو مجرد النكاية بسعيد بك جنبلاط نقضاً لما كان يبرمه ودحضاً لما كان ينويه كما سبقت الى ذلك الاشارة من قبل .

وخلاصة القول ان يوم الخميس المذكور كان ميعاداً للزحف الى دير القمر وفيه تألبت الدروز واحاطوا بها من كل جهة . كان البعقلينيون يتبعهم مقاتلة عينبال وغريفة والسمقانية وكان المناصفيون والشحاريون كلهم ودروز العرقوب الجنوبي وبعض الافراد من دروز حماطور وعين قنية والمختارة وبطمة والجديدة وكانت الدير لم تزل على الحصانة التي مر وصفها ولم تزل اسلحتهم معهم وبين ايديهم المؤن والذخائر الجزيلة غير ان عددهم قد تناقص منه الفان ممن كانوا آوين الى الدير من القرى المجاورة لها فبقي فيها غداة الشر اربعة آلاف محارب اكثرهم ديارنة ولكن هؤلاء الاربعة آلاف لما بلغهم نبأ انكسار زحلة وحريقها ومـــا حلّ بالزحالنة من الويل والثبور قذف الرعب في قلوبهم فاندكت قواهم وانحلت عزائمهم فدخلت الدروز بلدتهم واقتحمت حصونها المنيعة دون مكابرة او شديد دفاع كان يتلقاهم به الديارنة غداة شبوب الحرب من قبل وعند ذلك اصبحوا وكأن دماءهم جمدت في الموارد وركدت في الشرايين فلم ينبض لهم نابض ولم يختلج منهم عرق حتى ان الدرزي كان يدخل البيت الديري وفيه الرجلان والثلاثة وعيلته قعوداً على السجاد جاذباً بها اليه بعنف فيقول الديري له خذها انا وانت سواء ثم يقول له هات بارودتك ايضاً فيعتزل من سلاحه ملقياً به بين يدي خصمه ...

اما الذين سلموا ولم يردوا مورد الحتف من اهالي الدير فقد حماهم بعض الرؤساء والعيال من الدروز . حمى قاسم بك الحمود خمسين رجلاً . ومثل هذا العدد حماهم بشير بك النصيف . وان رجلاً من كفرقطرة وكان ورعاً تقياً واسمه ابو يوسف محمود قد حمى سبعين رجـــلاً واجتهد في امر مواراتهم وتوفيرهم من الهلاك وحمى بنو حماده (بعقلين) بني افرام . واي من دروز الدير كان له صديق حمـــاه ووفره من القتل ولولا ذلـــك والحمد لله لدمرت الدير وقضي على جميع اهلها فبقيت قاعاً صفصفاً .

اما النساء الديريات فقد تألبن يومئذ باولادهن في الفسحة الرحيبة الواقعة شرقي السراي غير انهن لم يمسسن بضرر ولم تسمع ديرية من رجل درزي كلمة يرفضها الادب او تمجها اذن الانسانية بل رب درزي من قرية نائية عن الدير رأى ديرية مكشوفة الرأس فـنزع عمامته ملقياً بها على رأسها ليسترها متوهماً كون ذلك غير مباح للنصرانيات كالدرزيات .

اما ما قد نهب من الدير من الحلى الفضية والذهبية ونفيس المتاع والخيل فشيء كثير

سعيد بك جنبلاط في اقليم جزين

وبعد ذلك توجه سعيد بك جنبلاط الى اقليم جزين ووضع حامية من الدروز في غالب جهاته تأميناً للنصارى واسكاناً لروعهم فاقام في جزين فريقاً من بني القطايري وعين مصطفى سيف لحماية جبل الريحان ثم اخذ يكتب اليهم ويوزع الرسل عليهم في كل جهة آمراً اياهم بالرجوع الى مواطنهم وآذناً لهم بقطع الجذوع والاخشاب من املاكه الخاصة لاجل قيام سقوف بيوتهم المحترقة . وانه لقد انجى مئة رجل من دير القمر واركبهم على بغاله مصحباً اياهم بجماعة من رجاله اوصلوهم الى صيدا آمنين .

الشكاوى للدولة الفرنسية

وغب هذه الامور رفعت للدولة الافرنسية من الاسر الكريمة النصرانية كتب بألسنتها وبلسان الموارنة عموماً يشكون لها فيها ويتظلمون ويبنون فوق القصور علالي مسترحمين الاثار لهم من اخصامهم وهاك ترجمة بعض كتب عثرت عليها في بعض الدواوين (١)

فرنسا تبعث جيشاً واسطولا

فسنحت عندئذ للدولة الافرنسية الفرصة التي طالما ترقبتها وشد ما قامت به من المساعي السياسية لاجل انتهازها وكان الامبراطور عليها يومئذ نابليون الثالث وهو ملك فيه ما فيه من روح عمه نابليون الاول وميله الى الفتوح ورغبته في توسيع نطاق الامبراطورية الفرنسوية فحشد اثني عشر الفاً من الجنود المنظمة وارسل بهم بعثة فرنسوية حربية لاحتلال لبنان تحت قيادة الجنرال بوفور وكانوا من نخبة الجيش الفرنسوي وفيهم مغاربة من الجزائر ايضاً .

الدولة العثمانية تبعث جيشاً واسطولا

اما الدولة العلية العثمانية فارسلت ايضاً اثني عشر الف جندي بينهم قادة عديدون كخورشيد باشا وخالد باشا واسمعيل باشا وعمر باشا وغيرهم ولكن القيادة العامة كانت لمحمد فؤاد باشا المأمور الخاص المعهود اليه من لدن ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان النظر

---

(١) هنا اربع صفحات في المخطوطة تركت بيضاء خالية لترجمة الكتب المذكورة آنفاً ولم اعثر على الكتب ولا على ترجمتها

في تلك القضية وملافاتها وحلها بالوجه المرضي مفوضاً النقض والابرام فيها لقوله ورأيه وفعله فاتفق عند القاء الاسطول العثماني مراسيه في ميناء بيروت ان استعرت نار الهيجاء في الشام وانقدت بين مسلميها ومسيحييها حرب شديدة دارت فيها الدائرة على النصارى فذبح المسلمون منهم ستة آلاف رجل في يوم واحد . ثم اقبل الاسطول الفرنسوي على اثر الاسطول العثماني ورمى مراسيه تجاه الضبيه من الثغور اللبنانية حيث حفروا على صخرة هناك تاريخاً ليوم حلولهم في ذلك الثغر .

ثلاثة آلاف من الدروز يذهبون الى جبل حوران

وقد لبث العسكران في اسطوليهما نحو عشرين يوماً دون ان ينزلوا الى البر بل كان كل اسطول منهما يعمل في كل يوم مناورة حربية ويطلق الاسطول العثماني الوفاً من الطلقات من مدافعه الضخمة . ففشا نبأ اقبال الاسطولين المذكورين في الجبل فهال الدروز امرهما وجعلوا يضربون اخماساً لاسداس ثم عمدوا الى امتعتهم ومنقولاتهم خاصة كانت او مكسوبة فطمروها في الارض وخبأوها في الكهوف والمغر ثم ذهب منهم نحو ثلاثة آلاف رجل الى حوران حاملين معهم ما غلا قيمة وخف محملاً مروا بجدل شمس وتحركوا منها خائضين السهل الحوراني حتى اجتازوا اللجاة وبلغوا جبل الدروز فالقوا عصا ترحالهم في نجران ضيوفاً عند شيخها ابراهيم ابي فخر .

شيخ نجران يدعو الجبل بايقاد نار الحرب

وبناء على العادة الجارية في جبل حوران في مثل احوال كهذه امر الشيخ المشار اليه بنار عظيمة اوقدت ليلتئذ في رأس ماذنة تلك القرية . فلما تنورت القرى المشرفة على نجران نار الحرب الموقدة في علوة اوقدوا هم ايضاً نيراناً حربية في الاعالي فلم تمض ساعة حتى رأيت كل جبل حوران نيراناً حربية ولما كان الغد غدا الحوارنة يتساءلون عن النار الاولى متقدمين من قرية الى قرية حتى التقوا جميعاً في نجران ذات النار الاولى . فباتت الجموع تلك الليلة في نجران . وفي اليوم التالي تقاسموا ضيوف بلادهم الثلاثة الآلاف وراحت كل فئة بضيوفها وهكذا أصبح الثلاثة آلاف لبناني اضيافاً منتشرة في جميع الاصقاع الحورانية وقد اقاموا على الضيافة عشرين يوماً فقط وبعد ذلك اعتزل كل فريق منهم وجعلوا ينفقون من اموالهم الخاصة . وقد علم امراء العرب بقدوم الشوافنة الى حوران وفيهم المشايخ

والبكوات والاعيان كالشيخ كنج العماد وملحم بك العماد وخطار بك عماد وبشير بك نكد وعلي بك حمادي فجعلوا يفدون عليهم للسلام عليهم والتعرف بهم وقد دعوهم مراراً الى منازلهم واولموا لهم في البرية الولائم الكريمة وممن وفد منهم محمد الصمير امير عرب عنزه وابن شعلان امير عرب الرولا وعودي ابو سليمان كبير السلوط وعبد الله الفحيلي امير الفحيلية وكنج الصردي زعيم الصردية وغيرهم من شيوخ اعارب الحسن وزبيد والسرحان ممن يدعونهم عرب الشمال .

محمد فؤاد باشا يدعو كبار الدروز والنصارى

وبعد ان لبث الاسطول العثماني عشرين يوماً يجري فيها المناورات الحربية ويؤم الثغور اللبنانية مطلقاً الطلقات القوية ارهاباً وتهديداً نزلت اخيراً بحارته الى بيروت فاستدعى محمد فؤاد باشا بادئ ذي بدء كبار الدروز والنصارى الى تلك المدينة فحضر من الدروز سعيد بك جنبلاط وشقيقته نايفة زوجة الشيخ امين شمس كبير البلاد الحاصبانية وسليم بك جنبلاط والامير محمد الامين والامير محمد القاسم الارسلانيان والشيخ اسعد عماد وقاسم بك مرعي نكد وقاسم بك حمود نكد والشيخ حسين تلحوق والشيخ نصيف تلحوق ويوسف بك عبد الملك والشيخ قاسم حصن الدين وحضر كبراء النصارى ايضاً وبعد المرافعة واخذ التقريرات من الفريقين اصدر امره بتوقيف مشايخ الدروز في القشلة البيروتية ولم يوقف احداً من النصارى وبعد ذلك امر بفرقة من الجنود فاقامت في محلة الحازمية وبفرقة اخرى فاقامت في حرش بيروت وانما ذلك لاجل المحافظة واما ما تبقى من الجنود فصدر الامر بذهابهم الى دمشق حالاً ففعلوا واما حضرته فتوجه الى صيدا فطلب اليه رؤساء عشائر المتاولة فلبوا دعوته . حضر منهم علي بك الاسعد وحسين بك الامين وتامر بك السلمان فوجههم نحو المختارة فاتوها فرقتين وذلك قصد الاستعانة بهم على من يكابر من الدروز فيما لو مست الى ذلك الحاجة .

فؤاد باشا ينتقل الى دمشق

وصعد حضرته من صيدا الى الشام ماراً بقرية روم من اقليم جزين حيث اطلق مدفعاً عند الظهر وجاء جزين فهرع اهلها الى تلقيه فاخذ في ايناسهم وتهدئة خواطرهم مظهراً لهم كدر الدولة العلية واستياءها بما جرى لهم وحل بهم وواعداً اياهم بانه سوف يعين مأمورين لبناء بيوتهم ومساكنهم المحروقة او المتداعية وغير ذلك ثم تحركت ركابه من هناك فحلت في مشغرة حيث بات تلك الليلة واضحى النهار التالي في زحلة فاجتمع لديه اهلوها بهيئة المشتكي الكئيب فتلا على مسامعهم ما تلاه على مسامع اهالي جزين ووعدهم خيراً ثم

توجه الى دمشق للبحث واجراء الفحص عن الحادثة الشامية التي وان كانت اعظم وافدح من الحادثة الديرية غير انها كانت اسهل حالا وايسر امراً اذ بعد تأكده ان القوة الحاكمة لم تحاول ردع المتقاتلين واخماد نار القتال بل مدت هي الى العمل يداً اصــدر امره اخيراً بشنق الوالي الذي كان حائزاً على رتبة المشيرية أيضاً وباعدام نفر من القادة والضباط ونفر من اعيان دمشق ايضاً بحيث انصف بين عدد المقتولين من الطائفتين وفقاً للشريعة الغراء (١) والنظام العالي . وبعد ان اتم محمد فؤاد باشا اجراآته المهمة التي انتدب اليها في الشام فاستتبت فيها الراحة واخلد الدمشقيون الى السكينة انقلب الى بيروت للمباشرة بالمسألة اللبنانية .

اعمال الجيش الفرنسي

اما العسكر الفرنسوي فلما نزل الى البر توجه جانب منه نحو بتدين ودير القمر فتبعه جميع من كان ببيروت من النصارى اللبنانيين وكانوا جماً غفيراً فاباح لهم القائد قتل من عن لهم من الدروز غير مسؤولين في ذلك يومئذ فقتلوا في طريقهم في ذلك النهار تسعة عشر درزياً فقط اكثرهم عجزة طاعنون في السن وقد اتى العسكر في طريقه مسألة فظيعة جداً وهي ان امرأة من البثنيه وعلى يديها طفلان كانها الملاكان مر بها العسكر في محلة قــبر شمون فتناول بعض الجنود ذينك الولدين عن يديها فمسخوهما وقطعوهمـــا فطار عقل تلك الوالدة المسكينة لهذه الفعلة البربرية والخطب المهول وانقلبت مجنونة لا تعي وعاشت بعد ذلك وهي في حالة الجنون المطبق . وافظع من ذلك مقتل الشيخ ابو يوسف محمود من كفرفقطرة الذي شهد حادثة الدير لا ليقتل بل ليقي الانفس من القتل مهما استطاع الى ذلك سبيلاً فتمكن من وقاية سبعين رجلاً ديرياً نافياً عنهم القتل ماناً عليهم بالسلامة والحيوة لانه كان رحمه الله تقياً ورعاً فاضلاً جواداً فاتفق عند بلوغ العسكر الفرنسوي ارض المناصف ان عرجت فئة من اهل الدير على دير كوشه وكفرفطرة فاطلقوا ايــدي السلب والنهب وبينما هم ينهبون اذ وقعوا على ذلك الشيخ الفاضل فقتلوه شر قتلة ولم يكن قد مر عــلى الحركة اكثر من ستين يوماً بعد .

لا تسل في تلك الآونة عن ارتباك عظيم وحيرة وقع فيها الدروز خوفاً على نفوسهم من الاعدام او النفي وما اشبه وضناً بما في ايديهم من الكنوز والنفائس التي ساورتهم الحيرة في مسألة مواراتها واخفائها عن العيان ولما وصلت العساكر الى بتدين خيمت هناك فلم تبرح وسنعود الى الكلام عليها ان شاء الله .

---

(١) ذلك لان المشير يحسب كألف رجل تجاه النظام واليوزباشي كمئة وهلم جراً وهكذا استوى عــدد المعدمين من المسلمين ومن قتلهم الاسلام من المسيحيين اي ستة آلاف بستة آلاف (المؤلف)



بلغ الدروز الذين نزحوا الى حوران ما قد اتاه العسكر الافرنسي من الفظاعة وسلكه في طريقه من الفتك ببعض الدروز وربما كان المخبر مبالغاً في اخباره والخبر في المكان القصي يعظم على سامعيه ويتزايد في مسامعهم جسامة فاضطربوا لذلك وقلقت افكارهم مما لعل الفرنسويين قد اتوه وما سوف يأتونه من الحيف على الدروز الباقين في لبنان ودارت في خلدهم مسألة التعرض للحرم بالسوء وما اشبه فابلتهم بوساوس وهواجس اقضت مراقـــدهم ونفت عن اعينهم الكرى وعن ابدانهم الراحة فاجتمع اعيانهم ووجوههم في منتدى الشيخ اسمعيل الاطرش وتخابروا ملياً في هذا الامر المهم فقر قرارهم على ارسال ثلاثمائة خيال لبنانيين الى الثغور اللبنانية يستعلمون عن الاحوال وما جريات الامور ويستفسرون عن هذا الامر المهم فاذا كان ما قد بلغهم من الخبر صدقاً رجع الثلاثمائة الى قمة جبل الشيخ فيوقدون ثلاث وقدات كبيرات فاذا هم فعلوا يركب من الحورانيين ثلاثة آلاف خيال معهم ثلاثة آلاف بعير وينقسمون الى ثلاث فئات متساويات تؤم الفئة الاولى منهم ثغرة المعاصر والثانية ثغرة الباروك والثالثة ثغرة المديرج فيحملون على الاباعر المذكورة وعلى ما عند اللبنـــانيين من البغال والحمير جميع العيال الدرزية اللبنانية وماتيسر من ثمين الاثاث والمتاع وينقلبون بهم الى حوران ، والا فلا . فركب الخيالة الثلاثمائة وساروا في طريق البقاع فظلوا في طريقهم يوماً فامسوا عند خان ميسع فترجلوا هناك واضرموا ناراً يتدفأون بها ولما طلع الفجر تلفتوا حواليهم فما راعهم الا العساكر والخيل على التلال المحيطة بهم من كل جانب وهم يراقبون حركاتهم ويتجسسون اخبارهم فلم يظهر الدروز اكتراثاً بالامر بل ركبوا وساروا في الحال فلما رأى قائد تلك الجنود انهم قد ساروا دون اتيان مغايرة ارسل من لدنه ضابطاً يتبعه فارس يسألهم من هم وما امرهم؟ واسم هذا الضابط احمد آغا انجي عرب . فلما دنا منهم ترجل عن جواده وارسل الفارس يدعو كبيرهم الى مقابلته فاتفقوا على رجل منهم يدعى محمد وهبه سيف يكلم ذلك الضابط نيابة عنهم جميعاً فسأله الضابط عن الخيل فقـــال له "انا دروز من الشوف كنا في حوران ونحن الآن آيبون الى لبنـــان الخ . . ثم سأل الضابط عن العسكر فرنسوي وعن قدومه اكان ضد ارادة الدولة العلية فاجابه الضابط : لا ، قال : وهل مراد

الفرنسويين الايقاع بالدروز اثآراً للموازنة منهم فاجابه لا تهرق من رجل درزي نقطة دم قط وسأله عن مسلوبات النصارى وما سيصير في امرها فقال اما هذا فلا اعلم عنه شيئاً فرجع محمد وهبه واخبر رفاقه بما دار بينه وبين الضابط من الكلام فسكنت بلابلهم وهدأت خواطرهم واستمروا في طريقهم سائرين

مجلس دولى

وبعد ان عاد محمد فؤاد باشا من دمشق عقد في بيروت مجلساً دولياً مؤلفاً منه ومن الجنرال بوفور وقناصل الدول الخمس في بيروت وبعد المذاكرة قر القرار بوجوب القاء القبض على الف ومئتي رجل من الدروز ثم وضعوا مسألة المسلوبات والمتلوفات في مجال البحث والاخذ والرد وقدعدلت بثلاثمائة الف كيس اي بمليون ونصف من الليرات

العسكر العثمانى يوزع على قرى الدروز

وبناء على ذلك صدر الامر بتوزيع العساكر العثمانية بلكات على جميع القرى الدرزية . بلك واحد في القرية الصغيرة وبلكان في القرية الكبيرة فاخذ هؤلاء الجنود يسعون في القاء القبض على اي من استطاعوا اليه سبيلاً من الدروز وهم مع ذلك مجتهدون في مسألة احضار من صدر الامر بطلبهم لمرافعة المدعين من النصارى المقيمين فيما بين الدروز، الذين اخذوا في اقامة الدعاوى الزورية حال كون الدروز قد وفروهم من القتل والسلب وما اشبه رعاية للجوار فلم يمسس احد منهم بضرر في جميع الحوادث التي جرت بين الدروز والنصارى ابداً وباشرت الجنود من جهة اخرى في استنباط المخابىء والبحث عن المسلوبات المدفونة في كل قرية من القرى فعثروا على اكثر المخبآت على انهم قد ابتزوا بعض الدروز منقولاتهم الخاصة مما لا يميز بين كونه حلالا او حراماً كالسجاد وآنية النحاس وما اشبه حيث ان الدروز خبأوا الحلال والحرام جميعاً

مجلس فوق العادة

اما ما كان يؤخذ من الدروز ويؤدى للنصارى فكان يجري تخمينه في مجلس صار تشكيله في المختارة وسمي مجلس فوق العادة ويجري حسم قيمته من المطلوب العام اي الثلاثمائة الف كيس .

ثم صدر الامر الى اهالي اقليم جزين بقطع ما شاءوا من اغراس الصنوبر الجارية بملك بني جنبلاط ودروز عماطوور وجرى تخمين ذلك ايضاً وحسمه من مجموع المطاليب وهلم جراً .
وقد وجدت في عماطور عند بيت شاهين محمد عبد الصمد مسلوبات دير المخلص فملأت عدولاً من آنية الذهب والفضة وقد عانى الدروز في هذا الامر هواناً ومشقات خطيرة من اسمعيل باشا وعساكره وبعد الانتهاء من المسلوبات وجد ان قيمتها غير قائمة بتسديد المبلغ المرسوم فوضعت على الطوائف المحمدية في لبنان وسورية ايضاً ضريبة قدرهـــا ١٦٦٤ الف وستماية واربعة وستون غرشاً على كل متكلف فبوشر بجمعها .

احضار الدروز الى المختارة

اما مسألة القاء القبض على من وجب احضارهم فلم تجر المباشرة بها الا بعد استحصال المسلوبات والضريبة المحكي عنها . ولما فرغوا من ذلك كله فرق محمد علي (١) باشا من يعتمد عليهم من مأموريه على القرى الدرزية في يوم واحد فاتخذ كل منهم حيلة يخدع بها اهل تلك القرية ويحملهم على الحضور الى المختارة ومن العجب العجاب ان لا حيلة كانت مثل الاخرى بل كل حيلة كانت فذة في بابها والقرية التي لم تسر الحيلة على اهلها فلم يمكن احضارهم للمختارة ، صدر الامر بذلك الى الجنود يحيطون بها سحراً ثم يدخلونها فيقبضون على من ارادوا قبضه دون عناء . وخلاصة القول انه اجتمع في المختارة في يوم واحد ١١٥٠ درزيـــاً معظمهم من الشوفيين وفيهم عدد قليل من جهة المتن والجرد والعرقوب فاودع جميعهم السجن . وكان في سجن بيروت ٤٧ من رؤساء الدروز واعيانهم .

الجنرال بوفور يحاول اعادة الحكم الشهابي

اما بوفور ففي كل هذه المدة كان مقيماً في بتدين مخيماً بجنوده في قصبة جبل لبنان فلما رأى الامر وما آل اليه من تسديد المطالب اتخذ لطنبور سياسته رنة جديدة وذلك انه عزم على تسليم مقاليد الاحكام في لبنان للاسرة الشهابية وتعيين الامير مجيد بن خليل شهاب حفيد الامير بشير عمر حاكماً على لبنان فجعل يدعو اليه وجوه العيال من الدروز ويرغبهم في هذا الامر فاستدعى حسين غضبان ابا شقرا وابا حسين شاهين عبد الصمد من عماطور ويوسف ابا كروم

---

(١) لعل المقصود محمد فؤاد باشا .

ومصطفى ذبيان من مزرعة الشوف وقاسم شبلي حماده ويقظان بوحمدان من غريفة واستدعى وهبه ابا غانم وحمود البانطاني وسعيد بك ابا علوان من ناحية العرقوب واستدعى خلافهم من انحاء الجرد والمتن والعرقوب فكانوا يحضرون لديه مثنى وموحداً فيسألهم عن آل شهاب وما يعرفونه عنهم وعن حكومتهم فيجيبون انها الاسرة عريقة كريمة وحكومتهم عادلة جداً فيوقعون امضاآتهم وامهارهم على محضر اعده لذلك الامر فختم له ثمانون من وجوه الدروز واعيانهم اما النصارى فكان هذا الامر جل مطلوبهم وغاية ما يتمنونه وبناء على ذلك رفعوا عرائضهم للباب العالي ولمحمد فؤاد باشا بهذا الخصوص . ولما علمت دولة انكلترة بهذا الامر ساءها جداً فجاء معتمدها الى الالشية الروسية قائلاً ان الفرنسيس عوضاً عن بـــذل جهودهم في امر تحصيل حقوق المسيحيين واسترجاع مسلوباتهم قد نبذوا الاهتمام بمسألة النصارى وغـــدوا يعطون حمايات للذين يجيبونهم الى سؤلهم من الدروز ويصادقون على مـــا يتوخونه من المشروع السياسي الجديد

فؤاد باشا ينجح في اخراج البعثة الفرنسية من لبنان

اما فؤاد باشا فكان يومئذ في الشام . ولما حضر واطلع على سياسة بوفور استاء لذلـك جداً فجمع معتمدي الدول الست فقال لهم . لقد اضحى من المستحيل على مثلي استحصال شيء من مسلوبات النصارى ومصادرة بعض افراد الدروز بها . كيف لا وبوفور الذي يزعم انه انما جاء للمحافظة على النصارى قد غدا يعطي لوجوه الدروز حمايات ويضع في سبيل مصادرة هؤلاء القوم بما لديهم من الودائع الجمة والمسلوبات المهمة عثرات يسود بهـــا البطل ويخزي وجه الحق . فاستهجن المعتمدون سياسة بوفور غير مستحسنين اعماله واجراآته وباتفـــاق الآراء منهم نظموا تقريراً في هـــذا الشان صار رفعه الى الباب العالي . والباب العالي دعا سفراء الدول واطلعهم على مضمون ذلك التقرير فلم ترقهم السياسة الفرنسوية الجارية في لبنان على ايدي البعثة التي يرأسها بوفور وخلاصة القول ان السفراء غب المخابرة والتداول في هذا الامر نظموا قراراً دولياً باتفاق الرأي منهم ومصادقة الدولة العلية عليه مضمونه وجوب جلاء البعثة الفرنسوية عن لبنان بعد واحد وتسعين يوماً وبلغوا مآل هذ القرار تلغرافيـــاً الى معتمدي الدول السبع في بيروت ولبنان .

البشرى للدروز

اما فؤاد باشا فطار فؤاده فرحاً وبشراً بورود تلك البشرى التلغرافية فأمر البكباشي

عيسو آغا بان يبلغ هذه البشرى الى جماعة الدروز فركب هذا جواده وجعل يطوف في قضاء الشوف متنقلاً من قرية الى اخرى وهو يقول للدروز كونوا مطمأني الخواطر ساكني البال فبعد واحد وتسعين يوماً ستنجلي هذه الغيابة ويتم جلاء البعثة الفرنسوية من جبل لبنان .

طلب اعدام الدروز المسجونين

ولنعد الى من صار القاء القبض عليهم وايداعهم السجون في بيروت وفي المختارة فنقول انه لقد كان في قصد الدولة الفرنسوية ورئيس بعثتها اعدام الالف والمايتي درزي الذين اودعوا السجن وقد جاهر رؤساء النصارى الدينيون والدنيويون بهذا المطلب والحوا به الحاحاً عظيما وقاسوه على مواد الانصاف وان يكن لا ينطبق على مادة من مواد الانصاف والحق والعدل زاعمين ان الذين قتلهم الدروز من النصارى اثنا عشر الفاً اي عشرهم، فيجب اعدام عشر رجال الدروز اي الف ومايتي رجل . وبعد اعتراضات محمد فؤاد باشا والمعتمد الانكليزي على هذا الادعاء قنع الفرنسيون باعدام اربعماية وخمسين رجلاً فقط وبعد ذلك اجتمعت مطارنة النصارى الى بيروت كلهم ماعدا المطران ثاودوسيوس مطران صيدا . فاتوا محمد فؤاد باشا فطلبوا اليه تنفيذ الامر بحق اربعماية وخمسين درزياً وشنقهم على مرأى منهم . فاجابهم فؤاد باشا انكم لكهنة ورؤساء اديان . او تعرفون الاربعماية والخمسين درزياً الذين تطلبون قتلهم بحضوركم انهم هم القاتلون او في امكان احد منكم ان يؤدي على احد منهم الشهادة بأنه هو قاتل وهل تعرفون احداً من الدروز انه قاتل؟ فبهتوا لهذا الكلام وساد بينهم السكوت والسكون فلم يتحرك منهم احد ولا احد منهم نبس معترضاً ببنت شفة ثم التفت فؤاد باشا الى اللورد دوفرين فقال له : اسألهم ياسعادة اللورد عمن يرومون قتله من الدروز ومن ذا الذي يعتقدون انه قاتل فنقتله فاستمر المطارنة على بهتهم وسكوتهم وعند ذلك نهض فؤاد باشا وهو يقول (انا على ذمتي لا احمل نفسي مقتل احد منهم) اي لا اثقل ذمتي بقتل درزي قط ما لم تجر محاكمته في مجلس شرعي عادل ويحكم عليه فيه بارتكاب جريمة القتل حتى أستحل لذمتي مقتله فصادقه اللورد دوفرين على هذا المقال ثم صادقه قنصل جنرال روسيا وقنصل جنرال المانيا ايضاً .

دعاوى مختلفة تقام على الدروز

فعظم هذا الامر على النصارى جداً واخفقت به آمالهم فاصبحوا في هرج ومرج وقام

الوكلاء منهم يرفعون الدعاوى الجزائية في القتل والحرق على اعيان الدروز لكي يتوصلوا باي وجه كان الى قتلهم فرفع منصور المعوشي دعاوى عديدة على سعيد بك جنبلاط وعلى جماعة عديدين من وجوه دروز الشوفين وقس على هذا الوكيل وعمله بقية الوكلاء واعمالهم وهلم جراً (١) .

سعيد بك يحسن الدفاع عن نفسه

اما سعيد بك فقد كان يتلو التقريرات المعتبرة دفاعاً عن نفسه وعن رجـــاله ايضاً ممن نسب اليهم القتل والحرق والحث على القتال واثارة القلاقل والفتن وما اشبه ذلك . وقد استحضر الى المجلس الدولي مراراً فكانت تقاريره مثبتة براءة ساحته من كل ذلـــك وقد اكد للمندوبين واثبت لديهم بان الدروز لم يكونوا الا مدافعين في كل الحوادث التي جرت في لبنان وانهم لم يقاتلوا ولم يفتكوا الا دفاعاً عن انفسهم ورداً لعساكر النصارى الذين كانوا يهاجمونهم الى حدود قراهم في جميع الانحاء والثغور وان النصارى هم كانوا المفترين في الحوادث جميعهـــا وقد احوجوا الدروز الى محاربتهم واضطروهم الى فعـل ما فعلوه بهم باعتداآتهم المتواترة وافتراآتهم في كل ناحية من الجبـل اذ كان لهم في ذلك مقاصد وغايات لا تخفى .

وعند ما كانوا يعيدونه الى محبسه كان يتمشى الهوينا في الايوان الذي تفتح عليه ابواب السجون المقفلة على رفاقه فيأخذ يقول على مسمع منهم على فرض سألوني كذا اجيبهم كذا وعلى فرض ادعوا علي فلان بكذا فيرد دعواهم بقوله كذا و كذا وهلم جرّا فيحيطهم علماً بما يجب ان يقرروه ويدافعوا به عن انفسهم فيما اذا القيت عليهم بعض السؤالات المشكلة وكان رفاقه المسجونون في تلك الغرف المجاورة لغرفة محبسه يصيخون سمعاً الى ما كان يفوه به

---

(١) من ذلك دعوى على احمد سليمان ابو شقرا بوجوب ادائه مائة وخمسين اقة زيت عن مزرعة بجنـــين ومزرعة رخصة في اقليم جزين. وأدخل احمد سليمان السجن ولبث فيه زمناً وفي اثناء شهر شوال سنة ١٢٧٧ رفع عريضة الى عمر شوقي المتولي الادارة يومئذ اوضح فيها ان مزرعة بجنين ملك رهبـــان دير مشموشة ومزرعة رخصة ملك سعيد بك جنبلاط وليس له في المزرعتين كلتيهما اي ملك وفي ٢٣ شوال سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦١م) صدر امر عمر شوقي الى مدير دائرة جزين برؤية دعوى احمد سليمان حالا ...

(اطلعني على هذه الوثيقة المحامي الاستاذ فريد ابو شقرا)

ذلك السيد العاقل الفطين ويحرصون على التقاطه فيقررونه لدى هيئة المجلس المشار اليه .وفي الجلسة الاخيرة القي على سعيد بك سؤال من ابو افندي الذي كان يضبط التقريرات فقال له : يا سعيد بك السلطان خصمك والهيئة الحاضرة قضاتك وتسعون الف مسيحي شهود عليك واثنا عشر الف رجل قتلوا بامرك ، فماذا تجيب؟ فقال ان هذا السؤال لا جواب له عندي وحاشا مولاي السلطان من مخاصمتي! فالحوا عليه فلم يجب بل قال لهم اذا كنتم على يقين مما سألتموني عنه فافعلوا بجثتي من العذاب ما بدا لكم ان قدرتم اما الروح فلا تقدرون عليها لانها من عند الله . فاعيد الى مكانه

وفاة سعيد بك جنبلاط في السجن

وقد كاد المجلس ان يقرر تبرئة ساحته مما عزي اليه بهتاناً ويحكم باطلاق سبيله ففاجأته المنية (١) غب مرض اعتراه في الرئة وهو مسجون وهذا مؤكد لي من خادمه الخصوصي الذي عرف بداءة آلام المرض به واشتداده عليه حتى كان وهو يصب الماء على يدي سيده ينحي رأسه جانباً اجتناب رائحة تفله . واما ما يقوله بعضهم من انه مات مسموماً فحديث خرافة لا صحة له .

براءة الامراء محمد وحمود وملحم ارسلان

واما الامير محمد الامين والامير حمود والامير ملحم الارسلانيون فقد كانوا ايضاً يتلون الاجوبة السديدة والتقريرات المعتبرة وقد كان لكلامهم وتقريراتهم تأثير على الهيئة المجلسية ووقع حسن في آذان المندوبين وقد استحضروا اثنى عشر رجلاً مسلمين من قرية برجا فادوا الشهادة بتبرئة ساحتهم من القتل والسلب واثارة الثوائر فلذا تقرر اطلاق سبيلهم .

---

(١) مات سعيد بك في سجن بيروت ودفن في محلة الاوزاعي حيث لا يزال قبره قائماً الى الآن . وقد لبث القبر حقبة منا الزمن متهدماً حتى رممه حكمة بك جنبلاط قبل وفاته بوقت يسير .

النفي الى بلغراد بالقرعة

واما الامير محمد القاسم فلم يحسن اجابة وتقريراً فصار نفيه مع من نفوا من الدروز الى بلغراد ثم صدر الحكم بنفي جميع المشايخ الموقوفين في بيروت غير مستثنين بقية الزعماء ومن كان لهم يد في الحركات بمن نزحوا عندئذ الى حوران وبعد ثلاثة ايام من صدور ذلك الحكم المبرم توجه فؤاد باشا الى المختارة ومعه دفتر قد رقم فيه اسماء الموقوفين في المختارة وعددهم الف ومائة وخمسون رجلاً رقمها على صفحتين تتضمن الصفحة الاولى اسماء من قرّ الرأي على نفيهم وتحوي الصفحة الاخرى اسماء من سيخلى سبيلهم. وقد كان فؤاد باشا عمل بنفسه قرعة على من ينفى ومن لا ينفى فكتب اسم كل من الموقوفين على وريقة صغيرة ولفها على شكل صلوب ووضع الصلاليب كلها في كيس وخلطها وخضخض الكيس بها ثم مد يده واخذ من الكيس ستماية ورقة اي من يجب اطلاق سراحهم فرقم اسماءهم في دفتره وكتب على ورقة اخرى اسمـــاء من سينفون اي من تبقت وريقاتهم في الكيس وعددهم اربعماية وخمسون رجلاً. وقد عرف ذلك من قراءته الاسماء حيث كان يدعى رجل من عماطور مثلاً ثم رجل من راشيا ثم رجل من عماطور وهلم جرّا

لمحة

ان مسألة القاء القبض على من صار توقيفهم من الدروز والاتيان بهم الى المختارة قد حدثت صباح يوم الاحد بينما كانت النصارى داخل كنائسهم وفي ذلك حكمة عظيمة من فؤاد باشا اذ اختشى حدوث امر لا تحمد عقباه فيما لو كان حضور الدروز الى سجن المختارة في غير يوم الاحد من الاسبوع لعل النصارى اذا رأوا اولئك الدروز منقادين الى السجون مبعوثاً بهم الى حيث يلقون العقاب والمجازاة ان يطارحوهم المشاتمة او يبدوا أمارات الشماتة بهم وما اشبه مما يفضي الى التشاجر ويذري عن جمار النزاع ما قد علاها من رماد قد اخمد ضرمها واخفى سطوعها وهكذا كان اخلاء سبيل من اخلي سبيلهم في المختارة صبيحة يوم الاحد ايضاً حيث انحدر حضرته من اعلى السراي الى دار البركة فاطل على الميـــدان وقد حشدت فيه المحابيس صفوفاً صفوفاً وكان على جانبه شراوالي باشا وعمر باشا فتوه باسماء من قضي الامر باطلاقهم فضجوا بالدعاء للحضرة السلطانية ولحضرته ايضاً ثم ركب بغلته وانقلب نحو بيروت بعد ان امر باطلاق تسعة عشر مدفعاً .

النفي الى طرابلس الغرب

اما من تبقى من المحبوسين فقد لبثوا في المختـارة نحو عشرين يوماً تحت محافظة عمر باشا والعساكر الشاهانية وبعد ذلك صدر الامر بطلبهم فخشبوا وسير بهم الى ميناء بيروت حيث كانت الباخرة العثمانية في انتظار وصولهم ونقلهم الى طرابلس الغرب المنفى المعد لهم وقد كان جرى التوسط والشفاعة لدى اسمعيل باشا المجر المومأ اليه بثلاثين رجـــلاً من اولئك المنفيين فقبل فيهم الشفاعة ذاهبا بنفسه الى سجن المختارة ومخلياً سبيلهم آمنين ثم بلغ اسمعيل باشا في بيروت ان القنصل الفرنسوي جالس على الميناء ليباشر عدّ المنفيين من الدروز بنفسه فخشي اعتراضه في مسألة عددهم ونقصه عما قرّ عليه القرار الدولي. فأمر بعض الجنود فضموا الى المنفيين ثلاثين رجلاً مسيحياً التقطوهم من شوارع بيروت بينما كانوا سائرين فجاء هؤلاء الثلاثون تكملة للعـــدد المقرر ولما بلغت الباخرة ميناء عكا صار انزال الثلاثين نصرانياً المذكورين فآبوا الى اوطانهم سالمين .

المنفيون الى بلغراد

وقد نفي الى بلغراد سبعون رجلاً اكثرهم بمن كانوا اودعوا حبس بيروت كالامير محمد القاسم ، وسليم بك جنبلاط والشيخ اسعد وقاسم ابو سلمان العماديان ، وقاسم بك نكد وبشير بك مرعي نكد والشيخ حسين تلحوق والشيخ نصيف تلحوق ويوسف بك عبد الملك والشيخ عبدالله العقيلي واحد ابناء عمه ، واضيف اليهم جماعة العماطوريين من بني ابي شقرا وبني عبد الصمد وهم المشايخ قاسم بشير ، وهبه سيد احمد ، جنبلاط يوسف ابو شقرا ، والمشايخ يوسف حسان ، قاسم معروف ، بشير ابو حسن عبد الصمد . والشيخ حمد نوفل وغيره من بلادي حاصبيا وراشيا(١) . اما المأمورون فقد احسنوا معاملة المنفيين المشار اليهم . وكانوا يقدمون لهم طعاماً جيداً جداً . فانه قبل ان جرت الباخرة بهم ابتاعت اربعة عشر كبشاً وقددت لحومها وابتاعت اشياء كثيرة ايضاً من المأكولات الجيدة المتنوعة لاجل القيام بغذاء المنفيين وهكذا من صار نفيهم الى ولاية طرابلس الغرب فقد صادفوا من حسن المعاملة والرفق بهم ما يذكر فيشكر وبعد ان مر عليهم في المنفى اربع سنوات صدرت الارادة السنية باخلاء سبلهم وارجاعهم الى مواطنهم فارجعوا على نفقة الدولة العلية

---

(١) وقد كان في جملة المنفيين من نواحي حاصبيا من مشايخ آل قيس : محمود محمد ، وعلي اسعد ، واسماعيل وشاهين ، والشيخ يوسف بشير (وهو قاضي المذهب يومذاك) والشيخ مهنا سجاع وقد توفي منهم في المنفى الشيخان اسماعيل وعلي .

ونفي ايضاً المشايخ : حسين ابو غيدا ، احمد زويهد ، حسن بدوي ، سلمان الزغير ، يحي ابو دهن ، علي زويهد علم الدين خير الدين ، محمد البيسمي ، قاسم الحلبي ، علم الدين عماشه ،

نظام جبل لبنان

ثم انه بعد الفراغ من التحقيقات والتقريرات ونفي من صار نفيهم جرت المخابرة في مسألة نظام يجب وضعه لجبل لبنان فرتبت الدولة العلية نظاماً ذا خمس عشرة مادة يؤول مضمون كل مادة منها الى ما فيه خير اللبنانيين ونجاحهم ومنحت هذا النظام للجبل بعد أن صادقت عليه سفراء الدول الست في القسطنطينية والدول التي صادقت عليه هي : انكلترة . روسيا . المانيا . فرنسا . النمسا . ايطاليا . وبناء على النظام المذكور صار انقسام لبنان الى قائمقاميات سبع ومديرية دير القمر المستقلة (اي انها تخابر المتصرفية رأساً بدون مراجعة قائمقامية) ما فاربع منها قائمقامها ماروني وهي البترون وكسروان والمتن وجزين. ويكون قائمقام الشوف درزياً وقائمقام الكورة رومياً ارثوذكسياً وقائمقام زحلة من الروم الكاثوليك جرياً على قاعدة الاكثرية في عدد السكان . وقسمت كل قائمقامية منها الى مديريات كثيرة او قليلة بحسب كبر القائمقامية وصغرها . وجعل في مركز كل قائمقامية مجلسان مجلس ادارة ومجلس محاكمة يؤلف كل منهما من ستة اعضاء ثلاثة من الطوائف الاسلامية وثلاثة من الطوائف المسيحية والقائمقام يقوم برئاسة كلا المجلسين .

المتصرف ومأمورو الادارة

ثم صار انتخاب داود باشا متصرفاً على لبنان فمنح رتبة الوزارة وفقاً لنظام الجبل الجديد وكان محمد فؤاد باشا قد عين القائمقامين والمدراء قبل قدومه. عين الامير ملحم ارسلان قائمقاماً على قضاء الشوف وجعل بعقلين مركزاً لقائمقاميته وهي والشوف السويجاني تبع لحكومة المركز وجعل خطار بك جنبلاط مديراً على الشوف الحيتي ودرويش بك القعقور مدير اقليم الخروب. والشيخ داود الخازن مديراً على مديريتي العرقوب الشمالي والجنوبي معاً والشيخ محمد العيد مديراً على العرقوب الاعلى ونصر الدين بك عبد الملك مدير الجرد الاعلى والشيخ امين الخوري مدير الجرد الجنوبي والشيخ نصر الدين تلحوق مدير الغرب الاعلى والامير حيدر ارسلان مدير الغرب الاقصى والامير سعيد شهاب مدير الجرد الشمالي والامير عبد الله شهاب مدير الشحار والشيخ نصر الدين ابو نصر الدين مدير المناصف .

اعضاء مجلس ادارة الشوف

اما اعضاء مجلس ادارة الشوف فهم الشيخ محمد الخطيب والحاج محمد شمس من اقليم الخروب، وابو علي اسمعيل عبد الصمد، محمديون. وجرجس نصور جريديني (الشويفات) ومخايل طانيوس (عنبال) وآخر ماروني من الدير. واعضاء مجلس المحاكمة، علي ابو خزعل وامين قاسم وعلي همدر والشيخ مرعي الخوري وطنوس الحداد (عبيه) وجبران مطانوس (عنبال). والكتبة الشيخ سعيد تقي الدين (بعقلين) مخايل نصيف (البرجين). وعين عسكراً من الجندرمة للقيام بمهام القائمقامية ومديرياتها، ماية وثلاثون من المشاة (بياده) وثلاثون من الخيالة (سواري).

مجالس المتصرفية

وجعل في المتصرفية ثلاثة مجالس. مجلس الادارة الكبير ودائرتي الحقوق والجزاء الاستئنافيتين. اما مجلس الادارة الكبير فاعضاؤه اثنا عشر ورئيسه المتصرف الذي يخوله الحق اقامة وكيل عنه يقوم بمهام الرئاسة المشار اليها. اما اعضاؤه فاربعة منهم موارنة، وثلاثة دروزاً واثنان روماً ومسلم ومتوالي وكاثوليكي (١) واعضاء الدروز



(١) الى جانبه تواقيع واختام اعضاء مجلس الادارة الاول على معاملة رسمية، واسماؤهم على الترتيب التالي ابتداء من اليسار:

وكيل رئاسة المجلس، يوسف عمون.

اسلام، محمد العرب.

موارنة، بطرس حنا ضاهر، سمعان غطاس، يوسف الخوري، يوسف البيطار.

دروز، ضاهر عثمان ابو شقرا، وهبه ابو غانم، حسن شقير.

روم، خليل قرطاس، ابراهيم طالب.

كاثوليك، سليم مطران.

متاولة، حسن همدر.

لاولون ضاهر عثمان ابو شقرا (١) بانتخاب قضاء جزين ووهبه ابو غانم (٢) بانتخاب قضاء الشوف اوحسن الارصوني (٣) بانتخاب قضاء المتن وجعلت رئاسة دائرة الحقوق للموارنة ورئاسة دائرة الجزاء للدروز وعهد بها الى سعيد بك تلحوق وعين الشيخ ابو صالح تقي الدين عضو دائرة الحقوق الاستئنافية. وجعلت بتدين مركزاً للمتصرفية حيث ابتاعت الحكومة السنية سراي الامير بشير من ارملته حسن جاهان بمبلغ الفي كيس (واشترى المطران بطرس البستاني المقصف والقناة والمطاحن بثلاثة آلاف قداس واما المقصف الثاني فاشتراه بعد ذلك بمدة بمبلغ ٤٥ الف غرش وكان مركز ابرشيته في دير مشموشة فنقله الى بتدين سنة ١٢٩٤ هجرية ١٨٦٧ م .

واردات المتصرفية

وترتب على متصرفية لبنان سبعة آلاف كيس تجبى في كل سنة من الاهلين مال ارزاق ومال اعناق وتدفع لصندوق متصرفيتها ويزاد على ذلك ثلاثة آلاف كيس يتقاضاها صندوق المتصرفية من جمركي بيروت وصيدا لتصرف رواتب شهرية على المتصرف وبقية المأمورين .

مسح اراضي الجبل

ثم عينت لجنة للمساحة تحت رئاسة الامير مسعود شهاب والشيخ احمد امين الدين والشيخ حاتم ابي حاتم لكي تمسح اراضي الجبل وتوزع عليها السبعة آلاف كيس المضروبة بالمساواة فجرى الاتفاق بتسهيم الارض وجعل حمل الورق سهماً وكيل الزيتون سهماً وبذار مد الحنطة سهماً وضرب على كل سهم درهم في المساحة وجعل رسم الدرهم واحداً وعشرين قرشاً صاغاً وقسم الدراهم الى اربعة وعشرين قيراطاً والقيراط الى اربع وعشرين حبة وجعل على رأس الماعز غرش وعلى رأس الغنم غرش ونصف الغرش فقط ثم زيد الرسمان فجعل على التيس غرشان ونصف الغرش وعلى الكبش ثلاثة غروش ونصف الغرش

---

(١) عين ضاهر عثمان ابو شقرا عضوا في مجلس الادارة الكبير بانتخاب اقليم جزين سنة ١٢٨١ هـ ١٨٦٤ بمرتب الف قرش . بامر من داود باشا نمرو -٢٢-

وكان قد عين قبل ذلك عضواً في مجلس قضاء جزين عن طائفة الدروز ، بامر من داود باشا ابلغ الى الشيخ ضاهر على يد مدير قضاء جزين الشيخ نمدان الخازن بتاريخ ٩ جمادي الاول سنة ١٢٧٨ هـ ٠ ١٨٦١ م .

(٢) وهبه ابو غانم (كفر نبرخ) انتخب لعضوية مجلس الادارة الكبير ثلاث دورات متوالية

(٣) هو حسن بك شقير (ارصون)

تقسيط الاموال المتأخرة

وبعد ان صارت النهاية من هذه الاشياء جميعها وكان لم يزل متبقياً على الدروز اموال لتسديد قيمة المسلوبات للنصارى عمدت عند ذلك حكومة المتصرفية الى الدفاتر القديمة فرأت بعض القرى الدرزية غير مؤدية شيئاً من الاموال الاميرية قبل عهد المتصرفية وبعضها دافعاً شيئاً ومتبقياً عليه شيء وانما كان تمنعهم عن الاداء لعزتهم في تلك الايام وعدم اقتدار اولي الامر على اجبارهم على الدفع وبناء على ذلك بوشر حالا بجباية تلك الاموال التي سميت (البواقي) فكانت البواقي على بني عبد الصمد وبني ابي شقرا في عماطور مماية واربعين الف غرش صاغ وذلك مثل المطلوب منهم من عشرين سنة اذ انهم زمن حكومة المقاطعجية في عهد سعيد بك جنبلاط وقبل ذلك العهد ايضاً تمنعوا عن اداء الاموال الاميرية فلم يدفع احد منهم شيئاً من ذلك قط . فجبيت هذه الاموال منهم اقساطاً ودفعت الى خزينة بيروت لحسم ما دفعته الخزينة المشار اليها الى النصارى مثل قيمة مسلوباتهم وقد تبقى من هذه الاموال البواقي نحو سبعين الف غرش فاستحال ارجاعهم للدروز وتوزيعهم على افرادهم .

مجلس القنطاري

فارتأى محمد فؤاد باشا ان يشتري بها بيتاً كبيراً في بيروت برسم عموم طائفة الدروز فوافقت الدروز على مرتآه فابتاعوا بيتاً بسبعين الف غرش وسموه المجلس القنطاري فكان مأوى لافراد الدروز النازلين الى بيروت ينامون فيه ويتناوبون لتلاوة الصلوات في كل ليلة .

الحركات في الجنوب

(١) لما استوطنت عشائر الدروز في بلاد الشوف واستولت على مقاطعاتها كانت عشائر المتاولة مستوطنة اقليم جزين ومستولية عليه مع ما يتبعه من ناحيتي جبل الريحان واقليم التفاح وكانت تلك الانحاء برمتها مأهولة بالمتاولة . امـا العشائر المتوالية فـكان اهمها المقدمون الخزرجيون ، وكانت جزين قصبة لهم يملكونها ويملكون مـا يجاورها من القرى والضياع . ثم المشايخ آل برو اصحاب كفرحونة وناحية جبل الريحان وهؤلاء كانوا ذوي وفر جزيل وثروة عظيمة . ثم آل جواد اصحاب جباع الحلاوة وما يتبعها من ناحية اقليم التفاح . غير انه قد كان في اقليم التفاح عيال كريمة أخرى وكانت لهم يد على بعض المزارع والعقارات في تلك الناحية ومنهم بنو الحاوي وكانوا اصحاب مزرعتي الحسانية يتبين ذلك من الصكوك الباقية مع اولاد الشيخ ابي شاهين معضاد ابي شقرا مالكي هاتين المزرعتين اليوم التي يظهر منها ابتياع الشيخ ابي شاهين من بني الحاوي وبيعهم منه تينك المزرعتين بثلاثين غرشاً وذلك حوالى سنة الف ومائة وثلاث وسبعين هجرية (١٧٥٩) « وذلك ان زوجة الشيخ ابي شاهين معضاد المشار اليه كانت تأبى دخول غلال الحسانية بيتهم لانها من جملة المزارع التي ابتزها العماطوريون من المتاولة قسراً وتملكوهـا عفواً وقد خرجت الحسانية العليا والحسانية السفلى بنصيب ابي شاهين معضاد وبناء على ذلك رأت امرأته ان غلتها حرام فلم تكن لتتناول شيئاً من ريعها حتى استحصل زوجها صك بيع شرعي من اصحابها الحقيقيين وذلك انـه جعل يسأل عن اصحابها في جهات بلاد بشارة فقيل له انهم بنو الحاوي فسأل عن محل اقامتهم فقيل له انهم في ساحل قانا فأمّهم الى تلك الناحية وسألهم تحرير صك له بما قد كان لهم من الاملاك في اقليم التفاح فاجـابوا سؤله وحرروا له صكاً شرعياً فدفع لهم ثلاثين غرشاً اسدياً مثل ثمن المبيع ومضى فاصبح الملك حـلالا وريعه مستحلاً »

---

(١) هذه الفصول الى آخر الكتاب حيث تنتهي واقعة وادي الحجير كتبت في آخر المخطوطة معكوسة ، كأن الكتاب قد بدىء بها من طرفه الآخر .

جزين ونيحا تختلفان

ولما كان الامير يوسف الشهابي متولياً كرسي دير القمر كان كبير المقدمين في جزين هو المقدم علي المحمد الخزرجي (وهو علي الاول) وكان جباراً عاتياً وقد حدث بين بعض متاولة جزين وبعض دروز نيحا خصومات ومشاجرات لا بد من حدوثها بين الرعاع من المتجاورين فجعل المتاولة يغزون الدروز ويشنون الغارة على مواشيهم وسوامهم فتحدث بسبب ذلك مناوشات بين ذوي السوام والمغيرين ولما عظمت المشاحنات بين الجزينيين والنيحيين جعلت كل فئة منهما تتربص برفيقتها شراً غير ان المتاولة كانوا يكيلون للدروز صاعاً كلما كال الدروز لهم حفنة وذلك لان طريق سوق الخان وحاصبيا مارة في وسط جزين وكفرحونة ولا غنى لاكثر الدروز عن المرور الدائم بهذه الطريق العامة فكان اشقياء المتاولة كلما استفردوا درزياً ضربوه واهانوه وربما سلبوه ما معه من دراهم او ما يسوقه من بغل اوحمار وما اشبه .

جزين مركز علم وأدب

وقد كانت جزين في ذلك العهد قصبة مهمة محشودة بالسكان وفيها جامع كبير ومنارة رفيعة وكان في جزين اثنا عشر شيخاً من العلماء الافاضل ولذا كنت ترى جزين محطاً لرحال طلبة العلم ومنتجعي الادب ولذلك جعلوا يشمخون بآنافهم على الدروز وتحدثهم انفسهم ببسط كف السيادة عليهم فكثرت بين الطائفتين الحوادث والمنازعات التي آلت الى استعار نار حرب كانت سبباً في تقلص ظل المتاولة عن معظم انحاء جزين الثلاث : اي اقليمي جزين والتفاح ، وجبل الريحان :

حرب المتاولة والدروز في جزين

ولما جرى ما جرى بين الدروز والمتاولة من الحوادث والمناوشات جعلت كل طائفة تهذي وتتكهن بحدوث حرب شديدة وغدا الكل بين قال وقيل في اعداد وتأهب ولا بدع فان اسلافنا اهل ذلك العصر كانوا ذوي ولع وغرام بالحرب والقتال ولأخف مسألة كنت تراهم يتقلدون العدد ويستمدون المدد . فيخوضون الاهوال ويوقدون نيران الفتنة والقتال حتى انك ترى تاريخ لبنان الحديث اشبه برواية حماسية وسلسلة حروب اهلية آخذ بعضها

بعضها برقاب بعض ومتصل منتهى الاولى بمبتدا الاخرى وهلم جرّاً .

وخلاصة القول انه في سنة ١١٧١ هجرية ١٧٥٧م اخذ المقدم علي يكتب الكتائب ويجيش الجيوش في جزين ثم وافاه الشيخ جهجاه برو والشيخ علي جواد بجيشين من متاولة جبل الريحان واقليم التفاح . وهكذا فعل الامير يوسف شهاب والشيخان خطار يونس جنبلاط (صاحب الحريبة) وعبد السلام عماد (صاحب الباروك) فقد جيشوا من اهالي الشوف (١) عسكراً عرمرماً ثم زحف العسكران كل نحو الآخر فالتقيا تحت قلعة نيحا واقتتلا ساعة من الزمن دارت فيها الدائرة على الدروز فتقهقروا الى نبع باتر فلما وصلوا الى المحلة المذكورة اذا باثني عشر رجلاً من بني ابي شقرا وهم شاهين ويونس وكنعان وعثمان وحسن اولاد ابي شاهين معضاد ووالدهم المذكور وجهجاه فارس (من بيت ابي حمزه) وجهجاه احمد وصواف حسين الخ . (وكان هؤلاء الاثناعشر فارساً جالين عن عماطور من وجه الامير يوسف شهاب لاتيانهم بعض امور اثارت عليهم غضبه عقيب تسميمه لنسيبهم شيخ العقال ابي زين الدين يوسف ابي شقرا وكانوا ابانئذ في غوطة الشام فاتصلت بمسامعهم انباء المحاربة العتيدة بين الدروز والمتاولة فركبوا افراسهم وتقلدوا بسلاحهم فجاءوا نيحا سائلين عن القضية فقيل لهم ان الحرب، قد اصطلت نارها صباح هذا اليوم تحت قلعة نيحا وقد انكسرت جموع الدروز فهم متقهقرون فانحدروا حالاً الى باتر فوجدوا الامر على ما وصف لهم : المتاولة ظاهرون والدروز مكسورون فاخترطوا سيوفهم وهجموا صادمين عسكر المتاولة صدمة ارتجت لها جوانبه ، ثم جعلوا يحملون على الشرذمة بعد الشرذمة فيجدلون من وافقهم ويجاذبون من نازعهم وقد ثار على اثرهم فرسان من الدروز صادقو العزائم وما لبث العسكر الدرزي ان لمّ شعثه واعاد الكر والهجوم واظهر الجلد في مجاذبة العدى كل ذلك والفرسان الاثنا عشر لم يثن احد منهم لجواده عناناً ولا اغمد حساماً حتى حلت بجيوش المتاولة الهزيمة وظهرت الدروز عليهم ايما ظهور فرجع المتاولة القهقرى وتبعتهم الدروز حتى ادخلوهم جزين وكانت الشمس قد دنت من الغروب فتمنعوا وراء جدران قصبتهم وجعلوا يدافعون عن حياضهم دفاعاً شديداً جداً غير ان الدروز وقد رنحتهم خمرة الظفر لم يألوا جهداً في مضايقة الحصار عليهم وتتابع الهجمات على معاقلهم التي رغماً عن ثبات من وراءها من الحامية لم تكن لتثبت في وجوههم وقد كانت نساء المتاولة ثمة ينخين رجالهن ويشجعنهن على حلو الثبات ومر الحفاظ وعدم اخلاء الحمى

---

(١) كان فيهم بعض النصارى وذلك لان المسيحيين الى ذلك الحين كان قليلا وجودهم في جبل الدروز ولم يأخذوا في نمو العدد وتكاثر النحل الا زمن حكومة الامير بشير المالطي (المؤلف)

المتاولة يخلون جزين

لكن لم تكن الا ساعة من الزمن حتى اخلى المتاولة مواقفهم وتخلوا عن مواطنهم في ذلك الليل الحالك فادى ببعضهم السرى الى جباع الحلاوة وبالبعض الآخر الى زحلته وابي سوار (بجوار القرية المذكورة) ودخلت الدروز جزين واخذوها عنوة ولم يبد لهم لحوق اخصامهم الفارين ليلتئذ بل اقاموا في جزين بائتين وقد بالغوا في تأمين نساء المتاولة وملاطفة اولادهم وتسكين روعهم جميعاً وقد صعد المنادي في تلك الليلة احد السطوح العالية ونادى باسم الامير والشيخين قادة المعسكر مشدداً النكير على كل من يأتي منكراً او يقدم على فاحشة وما اشبه

اما عدد القتلى فكان مئة من المتاولة سبعون منهم قتلوا في نفس جزين وثلاثون خارجها ونحو ذلك عدد الجرحى وفقد الدروز اربعين قتيلاً وبضعة عشر جريحاً وفي اليوم الثاني لم المتاولة شعث عسكرهم وتألبوا من كل فج وانقلبوا نحو جزين يحاولون اخراج الدروز من عاصمتهم المنيعة وتقدم عسكر الدروز ايضاً نحوهم فالتقى العسكران في جل الشرك (سهل واقع بين جباع الحلاوة وام الرمان)

وقعة جل الشوك

هناك اصطدمت الكتائب وتزاحمت المناكب وتلاطمت أمواج العسكرين وعظمت لجبة الفيلقين فكان للفوارس دمدمة وللافراس همهمة اذ الخيل متلاحمة والرجال متطابقة وقد دوى الجو بصدى ضربات السيوف والبطة نات والطبريات وانسدت منافس الفضاء من عثير الخيل وغبار الهيجاء فكان يوماً كثرت فيه الأهوال والنوائب وعظمت فيه الكوارث والمصائب وقد لبثت الحرب على مثل هذه الحال ساعات من النهار حتى اذا كان الاصيل اخذت فوارس المتاولة في الوهن والانحلال وفوارس الدروز في التشدد والاختبال ثم ظهر الدروز عليهم ظهوراً مبيناً فدارت على المتاولة رحى الحرب فألمّ بهم الفشل فتقهقروا الى جباع الحلاوة معتصمين بها .

بيرق جل الشوك

ومما يستحق الذكر في هذه الواقعة الخطيرة ما فعله رجل من عامة دروز عماطور (اي من غير عائلاتها المعروفتين) اسمه محمد ولقبه ابو جراس لتعليقه اجراساً على حصانه ، فانه قد هجم فريداً على المتاولة فتغلغل في معسكرهم حتى دنا من حامل بيرقهم فضربه بحسامه فارداه فتناول البيرق وجاء به قومه سالماً فكان لهذه المسألة تأثير على المتاولة لانه متى فقد البيرق تبعثر العسكر وخامر الفزع افراده وتسنى عند ذلك للجبان معذرة الفرار والهزيمة اما اخذة البيرق فقد غدت في البلاد مثلاً سائراً فيقال لمدعي الشجاعة او الفوز أأخذت البيرق من جل الشوك ؟ وقس عليه

الدروز يتابعون تقدمهم

وتقدم الدروز الى جباع ودخلوها عنوة فاخلتها المتاولة منكفئين نحو كفررمان فصاحت نساء آل جواد (ويقال لهم آل منكر ايضاً) برجالهن كيف تذهبون متخلين عنا وتتركوننا سبايا بين ايدي الغزاة ؟ فقال لهنّ رجالهنّ ان عقيد الدروز هو الشيخ خطار جنبلاط (وكان بين الجنبلاطيين والمناكرة صداقة وغرضية متينة الاسباب) فمتى دخل القرية بعسكره فاصرخن

قائلات نحن نساء بني جواد بوجهك يا ابن جنبلاط فيحميكن ويمنع عنكن الاذى . فلما دخل الشيخ خطار جباع الحلاوة هرعت السيدات الجواديات اليه صارخات بوجهك نحن ايها السيد الجنبلاطي . ارحمنا ذاكراً صلة الوداد واغثنا نحن الملهوفات اغاثك الله . فرق الشيخ خطار لهن مانعاً عنهن كل ضيم وضرر وللحال امر رجاله بعدم مس بيوت الجواديين والتعرض لشيء مما هو جار على ملكهم بسلب وحرق او ما اشبه . ثم جمع تلك النساء المستجيرات الى بيت واحد واقام على حراستهن اربعة ممن يعتمد عليهم من رجاله واوصاهم بصيانة حقوقهن وحقوق رجالهن ثم ترك القرية متقدماً في طريقه .

الفرصة سبب الانكسار

فاتفق بعد اجتياز الشيخ خطار للقرية المذكورة ان دخلها الشيخ عبد السلام بمن معه من الجماعة اليزبكية فاباح لهم سلب بيوت آل جواد ونهبها غير ملتفت الى الحرس القائم على بيوتهم بأمر زميله الجنبلاطي . فاسرع الحراس الاربعة الى سيدهم وهم مهشمون فاخبروه ما كان من انتهاك الشيخ عبد السلام لحمايته واستباحته لاموال الجواديين واهانته لهم وعدم اكتراثه بهم وبكلامهم . فأخذ الكدر منه مأخذاً عظيماً وبلغ منه الحنق ان امر برجاله فكفت عن القتال وانتحت عن كفرومان ناحية فلم يبق على عسكر المتاولة الا جماعة الشيخ عبد السلام فاستهانت المتاولة امر تلك الجماعة وانقلبوا عليها هاجمين فانقلبت في الحال كفة ميزان القوة واحرزت المتاولة على تلك الفئة الدرزية فوزاً عظيماً قاتلين منهم مائتي رجل (ويروى ان المتاولة ظلوا في تراجعهم حتى النبطية وان الدروز الذين تتبعوهم الى هناك قد امطروهم وابلاً من الرصاص حتى ان الرصاص كان يقطع اصول التبغ في حواكير النبطية فعند ذلك وصل الشيخ علي ظاهر العمر الشهير ومعه خمسماية فارس منجداً جماعة المتاولة الذين استصرخوه مستغيثين به فاشتد ازر المتاولة بتلك النجدة العظيمة فحملوا على الدروز فاحرزوا تلك النصرة وقتلوا من الدروز المائتي قتيلاً المحكي عنهم ولعل هذه الرواية اصح من الرواية الاولى) وبعد ذلك سكنت حركة الحرب وخمد سعيرها فانقلبت الدروز راجعة الى جزين فباتوا فيها وفي اليوم الثاني تسربت جموعهم الى مواطنها .

فصل

في استيلاء العماطوريين على اقليم التفاح

انه غب ان جرت هذه الحروب الشديدة التي سالت بها مجاري الدماء وهلك فيها خلق كثير وكان الفوز في معظم الوقائع حليفاً للدروز وبناء على ذلك غدا اهالي قرية عماطور (وهم بنو عبد الصمد وبنو ابي شقرا وبنو جودية وبنو ملاك سكان حارة جندل التي كانت من قبل حارة من حارات عماطور الثلاث وهي حارة حليمة والحارة الوسطى وحارة جندل) يشنون الغارات الشعواء على اقليم التفاح فيكتسحون ما يكتسحونه ويغنمون ما يغنمونه حتى دوخوا ذلك الاقليم وملأوا رعباً سكان تلك الناحية جمعاء.

وبعد ان تواترت غزواتهم في السنة الاولى والثانية اخذوا يطردون المتاولة من القرى والمزارع ويبتزون ما بايديهم من الاملاك فاستطردت متاولة ذلك الاقليم الى حارة صيدا حيث تألب منهم عسكر عرمرم كان لم يزل آخذاً في التأهب واعداد معدات غزوة يغزو بها الدروز ورأى العماطوريون تقاطر الوفود الحربية المتوالية جهة الغازية فرابهم ذلك الامر فارسلوا صارخاً الى الشوفين فلم يكن الا يوم واحد حتى اقبلت عليهم من اهالي الشوفين نجدة ذات بال غير ان معظمها عماطرة واستصرخ المتاولة ايضاً اخوانهم سكان بلاد بشارة وبلاد الشومر فوافتهم من هنالك الى الغازية عساكر ليست بقليلة فأمت العساكر الدرزية جموع المتاولة الى الغازية فالتقت الدروز والمتاولة في سهول تلك القرية فتصادموا واشتبكوا في حرب ضروس عوان استقامت ثلاثة ايام متوالية دون احراز احدى الطائفتين على خصيمتها نصراً وقد قتل وجرح من الفريقين خلق كثير اما في اليوم الثالث فقد جعل الدروز يظهرون على اقرانهم فاستقر لهم النصر ودارت على المتاولة الدائرة فانهزموا وتفرقوا وبعد ان غابت الشمس لموا شعثهم وباتوا جميعاً في قرية نصار من بلاد الشومر فعلم الدروز بمبيتهم فعولوا على كبسهم ليلاً.

وقعة نصار

ولما تناولوا زاد العشاء وقطعت خيلهم عليقها تقدموا بدون ضوضاء ولا حداء فاحاطوا

بتلك القرية احاطة السوار بالمعصم وقد كان الوقت صيفاً وجميع العساكر المتوالية نائمة على السطوح وفي حواكير التبغ وفسحات الدور ولكن اكثرهم على السطوح واذ كان حالا بهم من التعب واللغب والمشقة شيء عظيم كنت تراهم منطرحين اشباحاً لا حراك بها وهم فوق ذلك في سبات نوم عميق فلما وجدتهم الدروز على هذه الحالة اقامت الخيالة على الاحاطة بالقرية ودخلت الرجالة من الازقة من الجهات الاربع فجعلوا يتسلقون عليهم الجدران فيغشونهم وهم نيام .

ثم افاق بعض الراقدين فعلت الضوضاء وارتفع الصراخ فهبت عساكر المتاولة من النوم مندهشين منذهلين فدافعوا بعض الدفاع ثم اخذوا في الفرار والتفلت فصدتهم الخيالة المحيطة بالقرية فهلك من دنت آجالهم ولم ينج الا طويلو الاعمار (١) ...

الدروز يملكون اقليم التفاح

وبعد هذه الوقائع وانتشار سلطة الدروز في سائر الانحاء الجنوبية ثبّت العماطوريون اقدامهم في اقليم التفاح ووضعوا ايديهم على تلك الناحية وطفقوا يرممون البيوت المتداعية غب الحريق ويبتنون بيوتاً حديثة يستدعون اليها فلاحين من الطوائف المسيحية يقيمونهم شركاء بالعمولة لاعتمار الارض واستدرار بركاتها ، لان الدروز في ذلك الزمن كانوا يترفعون عن العمل والشغل بايديهم ، ثم جعلوا يستحدثون لهم الكنائس والمعابد لجماعة النصارى المذكورين ويغرسون لأجلهم الغراس بغية اقرارهم في تلك الجهات النائية والمكسوبة حديثاً وتبياناً لملكيتهم لها وتصرفهم بها ايضاً .

وقد كان وضع ايديهم في بداية الامر على ضياع اقليم التفاح ومزارعه قضها وقضيضها دون استثناء شيء منها غير انها كانت لقمة كبيرة لم يقدروا على مضغها وازدرادها اذ قامت عليهم بعض العشائر الدرزية المهمة المرهوبة الجانب يومئذ يصادرونهم بأنصبتهم في تلك الغنيمة الجسيمة وبعد الاخذ والرد واللتيا والتي أخذ بنو جنبلاط الصالحية وزغدرايا والهلالية وبقسطة ونصف البرامية تخارجاً عن النصيب الذي ادعوا به واخذ الشيخ شمس شمس من غريفة

....

(١) في (تاريخ ولاية سليمان باشا) ص ٤ ان موقعة نصار حدثت في سنة ١١٥٦ هـ ١٧٤٣م . والامير حيدر شهاب يضعها ايضاً في سنة ١١٥٦ هـ

وكان هماماً مشهوراً حيطورة ومغدوشة والمراح واخذ بنو نكد الميه وميه ونصف البرامية واخذ بنو هرموش الحبابية وبستان الشيخ

نصيب عماطور من الغنيمة

واما ما تبقى من المزارع فبقي للعماطوريين فاجروا عليه المقاسمة فخرج بنصيب اهالي حارة جندل من ذلك اربع مزارع هي كفر فالوس وعريض ناصر و كرخا السفلى وجرنايا ثم اقتسم الجنادلة فيما بينهم الحصة التي افرزت لهم فأخذ بنو جودية ومعهم حسين علوم (الاقدم) نصف كفر فالوس ونصف عريض ناصر ونصف كرخا السفلى وربع جرنايا واخذ بنو ناصر الدين (الذين انضموا مؤخراً الى بني ملاك ومن نسلهم حسن اسمعيل قايد بيه) نصف عريض ناصر الذي سمي باسم جدهم واخذ بنو ملاك نصف كفر فالوس ونصف كرخا السفلى وثلاثة ارباع جرنايا.

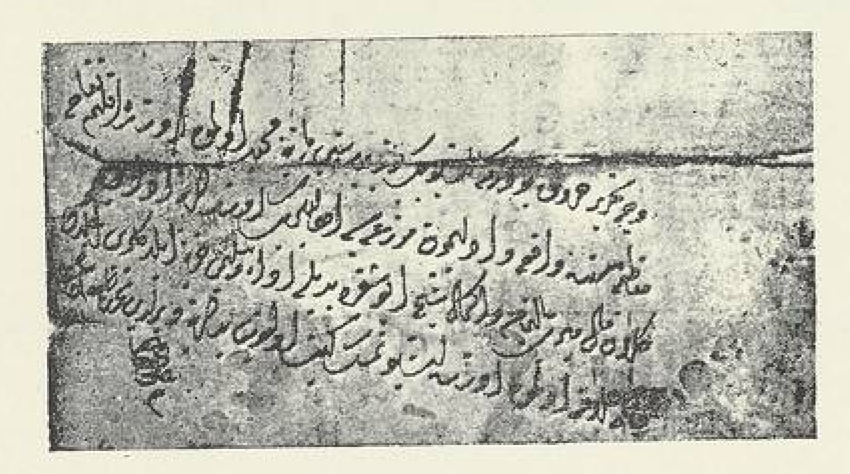
وبعد ذلك بقي لبني عبد الصمد ولبني ابي شقرا اربع وعشرون قرية فاقتسموها مناصفة فخرج لكل عائلة اثنتا عشرة قرية . ولما كانت كل عائلة مؤلفة من اجباب اربعة اقتسمت كل عائلة مزارعها الاثنتي عشرة مرابعة ثم تقاسمت الاجباب على افرادها فغدوا ولكل منهم نصيب مفروز مستقل واليك تفصيل ذلك موضحاً : خرج بنصيب جب ابي شاهين (ابي شقرا) الحسانية العليا ، والحسانية السفلى ، ووادي الليمون العليا ، ووادي الليمون السفلى ، والمحاربية ، ونصف الجبل الاعور ، وخرج بنصيب جب ابي عساف (ابي شقرا) القرية ، وجفسنايا وخرج بنصيب جب ابي حمزه (ابي شقرا) كفر شلال ، ونصف الاصطبل ، وثلاثة ارباع عبرا ، وخرج بنصيب جب رافع (ابي شقرا) المجيدل ، ووادي ابي عنقودين ، وبيصور . آه

وخرج بنصيب جب ابي علي باز (عبد الصمد) نصف برته ، واسفنته ، ونصف كرخا ، وخرج بنصيب جب ابي شديد ناصر الدين (عبد الصمد) ثلثا لبعه ، والمراح ، وربع الاصطبل وخرج بنصيب جب فيصل (عبد الصمد) نصف كرخا ، ونصف كفر جره ، و كفريا ، وثلث لبعة . وخرج بنصيب جب حصن (عبد الصمد نصف كفرجرة ، ونصف برته ، وضهر

الدير ، وضهر الدقيق ، ونصف عبرا . وخرج بنصيب بني عقيل عبدالصمد حيتولي ، وشواليق وعين الدلب . وبنصيب جب بعذروني نصف الاصطبل . (١)

---

(١) هذه الرواية تجعل استيلاء المعاطوريين على اقليم التفاح واقعاً بعد سنة ١١٧١ ه ، وبعد معركة نصار ، وفضلاً عن ان هذه المعركة سابقة للتاريخ المذكور فان هناك سند ايصال بالاموال الاميرية عن مزرعة وادي الليمون (اقليم التفاح) باسم احد افراد آل ابي شقرا يرجع تاريخه الى سنة ١١٠٢ ه . وهو عهد الامير احمد معن . وعليه فاستيلاء المعاطوريين على اقليم التفاح كله او بعضه لا بد ان يكون قد حصل في اثناء حكم المعنيين قبل العهد الشهابي ، وان كنا لا نستطيع تعيينه بالضبط . اما سند الايصال المذكور فمكتوب باللغة التركية وهذا نصه :



وقد تلطف عزة بك خورشيد فترجمه الى العربية كما يلي :

ان الاموال الاميرية لحساب شهر آذار سنة ١١٠١ المفروضة على سكان مزراعة (وادي لليمون) الواقعة في منطقة اقليم التفاح قد صار تسليمها بكاملها لصندوق الخزينة عن يد الشيخ ابو شقرا وعليه صار تحرير صك الاجراء هذا وسلم ليدم تحريراً في ١٠ جادى الاولى سنة ١١٠٢ .

واقعة وادي الحجير

حدثت واقعة وادي الحجير عقيب الواقعة المار ذكرها التي تسمى واقعة نصار وقد اصطلت نيرانها ما بين جماعة المتاولة سكان البلاد القبلية وبين الدروز من حاصبيا ومجدل شمس وتوابعها وذلك ان المتاولة ما برحوا بعد يوم نصار يتوقعون في الدروز مكيدة توردهم موارد الوبال فلما كانت السنة التالية تألبت جموعهم الغفيرة في الطيبة تلبية لدعوة صاحبها الشيخ اسعد الخليل كبير المتاولة في تلك الانحاء وهو جد خليل بك الاسعد . وان في مرجعيون لبعض قرى صغيرة مأهولة بالدروز فعقد المتاولة النيات والعزائم على مهاجمة اولئك الدروز والتهام تلك الشرذمة النزرة العدد أخذاً بثأر من قتل منهم في الواقعة الماضية . اما القرى المذكورة فهي المطلة وابل وبرغز ، غير ان مسألة تآمرهم لم تكن لتكتم بل شاع امرها واتصل خبرها بالدروز ، دروز مرجعيون فخابروا اخوانهم الحصابنة والمجادلة في ذلك فما كان الا ان لبوهم بالخيل الضوامر والسيوف البواتر هاجمين على الخيام وهي من القرى المتوالية المهمة فشتتوا حاميتها والقوا فيها النار فغادرتها قاعاً صفصفاً يكسى بثوب من رماد ثم انحدروا من الخيام نحو كفر كلي ودير ميماس وعديسة وهونين شانين على هذه القرى غارة شعواء فلم يثبت المتاولة في وجوههم فأخلوا مواطنهم منهزمين

المتاولة يلمون شعثهم

ثم لم المتاولة شعث عساكرهم واستقدم الشيخ اسعد الخليل جموعاً جديدة فتألف لديه في الطيبة ثلاثة آلاف مقاتل فخيل له الانتصار واحراز قصب الفوز بهم على غزاة الدروز الذين لم يكن عديدهم متجاوزاً الالف والخمسماية مقاتل وعلم الدروز بأمر الكتائب المتوالية التي تكتب في الطيبة فصابحوها بغارة شديدة فكانت في الطيبة في ذلك اليوم معركة فادحة اما النصر فكان حليفاً للدروز فظهروا على المتاولة فهربوا من وجه الدروز وتغلغلوا في واد يقال له وادي الحجير فجد الدروز على اثرهم فلما حصل المنهزمون ضمن الوادي انقسم الدروز الى فئتين فئة حركت الركاب وركضت الخيل الجياد وانقلبت من جهة جسر القعقعية مرابطة في الوادي المذكور من جهته الجنوبية والفئة الاخرى وهم أهالي مجدل شمس واتباعهم استمرت

في طريقها مارة بقرية حولا مجتازة الى القسم الشمالي من ذلك الوادي ولما اصبح الدروز مرابطين طرفي الوادي وكان كثير الاشجار ملتف النبات تقدموا من الجانبين ضاغطين على اخصامهم الذين جعلوا يأوون الى الكهوف والمغاور ثم القوا النار في تلك الاشجار فاستعرت استعاراً فاضطر المختبئون للبروز والانكشاف فامكن الدروز تتبعهم واحراز النصر عليهم

وقد كانت بعض قرى مرجعيون جارية على ملك بيت مردن[1] بك (من بيوتات دمشق) وكانت احدى بناته متزوجة بأحد الامراء الشهابيين في حاصبيا فلما كانت هذه المحاربة اطلت خادمة هذه السيدة من شرف عال فبدت لها قرى مرجعيون والنار تلتهمها ودخان الحريق متصاعد في الجو بكثافة فهالها ذلك المنظر المحزن فصرخت بسيدتها قائلة هذا البيت العامي :

« يا بنت مردن بك طلّي وشوفي دخان مرجعيون غطّى الشوف »

* * *

هنا تنتهي النسخة التي اعتمدتها من المخطوطة وهي النسخة الثانية . ويليها الملحق الاول للمؤلف نفسه ، (والدي) ، ثم الملحق الثاني ويحتوي على عشر نبذ أضفتها الى الكتاب لعلها تلقي ضوءاً على بعض حوادثه وموضوعاته .

---

(١) مردم.

الملحق الأول

في النسخة الاولى من المخطوطة نبذ تاريخية كتبها المؤلف ولم ينقلها فيما تلاه الى النسخة الثانية التي اعتمدتها ، ويلاحظ القارىء ان هذه النبذ جزء من الكتاب وتكملة له ، غير ان حوادثها سابقة في الزمن لحوادث الفصول التي تضمنتها النسخة الثانية المعتمدة . ولذا رأيت ان الحقها اتماماً للفائدة .

(١)

استسلام فخر الدين

استسلم الامير فخر الدين المعني الى احمد باشا الكوجك غب ان حاصر زمناً في قلعة نيحا ومغارة جزين وقد كانت البلاد حينئذ خانعة وتخلت عن امداده. اما ما ألجاه الى مغادرة قلعة نيحا فهو لاطلاع اعدائه على مجرى الماء المنجر الى القلعة المذكورة من عين الحلقوم بواسطة تعطيش الخيل وحفرها عن الماء بسنابكها ولما استنبط الماء ذبحت العساكر فيه البهائم ليلاحق أنتنت آبار القلعة ثم حولت الماء عنها فاضطر المحاصرون الى الرحيل عنها والاعتصام بمغارة جزين الكائنة في الشير للجهة الشمالية من الشلال المشهور . اما المغارة المذكورة فلم تثبت تجاه قوة البارود لغماً واطلاقاً ولا سيما قطعهم عنه المدد والمؤن فاضطر الى التسليم واخذ هو وأولاده اسراء الى الآستانة العلية .

فخر الدين والسلطان

وهناك حظي الامير فخر الدين بمقابلة ساكن الجنان السلطان فلان (١) وجرت المحاورة الآتية : سأله السلطان : أأنت فخر الدين المعني ؟ أجاب : عبد مولاي . قال السلطان : لماذا بنيت قلعة في غزة مصر ووضعت فيها أخاك يونس وسميتها خان يونس ؟ اجاب : لم ابنَ قلعة قصد العصيان وانما قصدت وقاية السوريين من غزاة مصر . قال السلطان : ولماذا

---

(١) السلطان يومذاك مراد الرابع

بنيت قلعتين قبالة حلب ؟ أجاب : انما بنيت قلعتين هنالك قصد وقاية تلك الانحـاء من انكشارية حلب . قال السلطان: ولماذ ابتنيت حظيرة جمعت اليها من جميع اصناف الوحوش تمثلاً بالملوك والسلاطين ؟ اجاب : اني لم استحضر هذه الوحوش الا استعداداً لاهداء لبوة او أسد أو فيل مثلا الى جلالة مولاي حين الطلب . ولكي لا اعيق تنفيذ امره وطلبه الى ما بعد ارسالي وفوداً الى القارة الافريقية لاستحضار ما ذكر . سأله السلطان: ولماذا عينت اربعة آلاف فارس وراجل من بغداد في خدمتك فكأنك تروم افتتاح بغداد وتستأنسهم بهذه الوسيلة ؟ أجاب : كلا لم استخدمهم لهذا القصد بل انما استخدمهم لحفظ الراحة العمومية ولم استخدام أتراكاً او هوارة او اكراداً لجهلهم اللغة العربية الوطنية . ثم قال السلطان: انت قلت: ان اصل السلطنة نقل تخم وكلما اخذت بلاداً تتقوى بمالها ورجالها ؟ فانتصب فخر الدين واقفاً وأغاظ يمينه بالله تعالى ورأس مولاه السلطان بعد ان ضرب يده على عنقه منكراً ذلك الامر بالكلية ناسباً ذلك للوشـاة والكذبة . فصدقه السلطان بعد حلفه اليمين وعفا عنه بعد ان اخذ عليه العهود بدفع غرامة مالية باهظة وابقى ولديه علياً ومسعوداً رهنـاً عنده على المال المذكور غير انه ما لبث السلطان ان ندم على عفوه عنه بناء على اغراء بعض وزرائه فاسترجعه من ظهر البحر وقتله وقتل ولديه (١) ايضاً .

الامير ملحم

فلم يبق من بيت الامـير فخر الدين الا الامير ملحم الذي كان متسلماً يومئذ قلعة عجلون . وحين بلغه خـبر التسليم ترك عجلون فشغب عليه بعض الاهلين وجرت بينهم مقاتـلة عنيفة جرح بها فأتى الى قرية عرنة وكنّ في مغارة هنالك حتى برىء من جراحه . فتحرك من عرنة الى كسروان ونزل ضيفاً على اصدقائه المشايخ بني الخازن . فلما علم اهل البلاد بقدومه الى كسروان جعلوا يتوافدون عليه زرافات ووحداناً حتى آل الامر بهم الى المناداة به اميراً على البلاد فقدم بعسكر جرار الى دير القمر حيث كان استلم ازمة الاحكام رجل من اليمنيين فلم يسع الخصم المذكور الا التخلي عن كرسي الحكم والهرب من وجه الحاكم الجديد الامير ملحم معن الذي مشى اكثر اللبنانيين على اختلاف مذاهبهم تحت رايته فاستوسق له الامر واحسن السيرة في الرعية بعد اصلاح علاقاته مع الدولة العلية .

---

(١) المعروف ان الامير علياً قتل في معركة سوق الخان (حاصبيا) قبل استسلام فخر الدين . وان الامير حسيناً كان صغير السن ولم يقتل بل عاش في استانبول ولما كبر شغل منصباً في الدولة .

الامير احمد بعد الامير ملحم

وولد له ولدان الامير احمد والامير قرقماز . وبعد وفاته نودي بابنه الامير احمد حاكماً على البلاد وبعد مضي سنين على حكومته جرى خلاف بينه وبين حاكم صيدا فاستدعى حاكم صيدا الاميرين المذكورين لمقابلته على عين مزبود ولدى المقابلة والمجادلة هب كمين للحاكم المذكور على الاميرين واوقع بهما فقتل قرقماز وجرح احمد جرحاً في عاتقه تلاشت به مادته التناسلية غير انه شفي من هذا الجرح وبقي حاكماً على الجبل زمناً طويلاً غير انه لما ناهز الثمانين من عمره واحس بدنو الوفاة ، ولا عقب له ولا لاحد من اقربائه ارتأى أن ينتخب حاكماً بحياته حسماً للنزاع بين الفئات المتباينة في الجبل . فجمع وجوه البلاد وابدى رأيه باناطة احكام البلاد بالامراء آل علم الدين زعماء اليمنيين ، فلم يرض بذلك القيسيون لشدة البغضاء والشحناء بينهم وبين اليمنيين . فاعترض الامير على مطلبهم هذا وانذرهم عاقبة تحكم بني شهاب قائلاً لهم ان هذا الجبل جبل للدروز فلا تجعلوه للنصارى باقامتكم بني شهاب حكاماً عليه لانهم اذا اقيموا حكاماً تنصروا بلا مرية .

صاحب راشيا يلي الحكم

وفي النهاية قر القرار على انتخاب أحد الامراء الشهابيين . فقال بعضهم : نستدعي صاحب حاصبيا وهو الامير حيدر وقال البعض الآخر بل نستدعي صاحب راشيا وهو الامير بشير . واشتد الخلاف فجزم الامير احمد قائلاً : نستدعي الاثنين سوية فاي منهما حضر اولاً استلم ازمة الاحكام . اما أمير حاصبيا فلما وصلته الكتابة أخذ باعداد العدد والخيل ليكون قدومه في موكب حافل . واما أمير راشيا فما بلغه الكتاب وهو على باب داره حتى استدعى بشرواله وسيفه وفرسه دون ان يلتفت الى ورائه وركب مسرعاً الى دير القمر ولدى وصوله رأى الامير احمد معن يقاسي الم الموت فقبل يده وطلب رضاه فقال له الامير أحمد : نلتها أنت يا ذا الوجه الاصفر . فيا امير بشير اوصيك بالعدل واوصيك بالطائفة الدرزية خاصة وسلمه الكرسي والسيف والختم والسراي بما فيها من سلاح ورياش ومتاع وخيول وهلم جرا . ثم فاضت روحه عند الظهر من النهار ولم يدفن الا في اول النهار الثاني . فبعد ان واروه التراب اقبل امير حاصبيا يحف به موكب حافل فارتعد الامير بشير لمرآهم وتضرع بمشايخ العقال لرده ورد رجاله فارجعوه رغماً عن محاولته ومراوغته اتباعاً لوصية من اوصاهم بالامير بشير وكان هذا بداية حكم آل شهاب في جبل لبنان .

الامير بشير يموت مسموما

وبعد زمن من توليته ركب بعسكر من جنده وجعل يتجول في انحاء البلاد لجمع الجبايات والضرائب كما كانت عادة الحكام في ذلك الزمان حتى اذا وصل الى مرجعيون قدم عليه الامير حيدر المار ذكره للسلام عليه ودعاه الى وليمة اعدها له فأبي الامير بشير دعوته الى بيته ورضي بوليمة يتناولها على نهر الحاصباني. قيل وكان عند الامير حيدر كتخداي اسمه مخايل غبريل وكان داهياً فطلب اليه حيدر ان يعمل على تسميم بشير متوعداً اياه بالقتل اذا لم يتمم هذه المهمة فاجابه غبريل الى ما طلب وداف السم في لون واحد من ملبس اصطنعه لونين فوقع الامير بشير في هذه المكيدة وتناول شيئاً من الملبس المسموم فما ركب ووصل الى قرية بلاط حتى وقع ميتاً . فقر رأى اللبنانيين عند ذلك على تنصيب الامير حيدر خلفاً له . وهو جد الشهابيين اللبنانيين .

- ٢ -

محمود ابو هرموش يحكم في لبنان

وفي ايام الامير حيدر اشتد النزاع بين القيسيين واليمنيين وكثرت المناوشات والاحن وكان يومئذ رجل من بني ابي هرموش من نيحا اسمه الشيخ محمود قد اكثر تردداه على حاكم صيدا حتى احسن معه العلائق واحصف الوثائق فاقطعه النبطية وناحيتها ثم ان هذا الشيخ جعل يتداول مع وزراء الدولة العلية متعهداً لهم بان يسلم جبل لبنان للدولة كملك محلول لها نسبة بلاد بشارة اذا هم امدوه بالمال والرجال واقاموه عليه حاكماً فراقهم هذا الامر وأجابوه الى طلبه بعد ان منح رتبة مير الامراء ولقب محمود باشا فسار بعسكر جرار الى الجبل فانضمت اليه الفئة اليمانية في البلاد منادين به حاكماً ولكنه ما لبث بضعة اشهر حتى قتل في احدى المعارك وهدم قصره الذي بناه في السمقانية وقصر اخيه هزيمة بك في بعقلين .

معركة عيندارة

فثارت ثائرة الامراء آل علم الدين سكان عيندارة زعماء اليمنية فاستنفروا رجالهم واتباعهم من جميع الانحاء وأوقدوها في البلاد حرباً عواناً وتألبت ايضاً فيالق القيسيين في الباروك تحت قيادة آل شهاب وتقدموا الى عيندارة حيث تلاحمت الفرسان وتلاطمت امواج الجحافل واستطار شرار الهيجاء فدارت الدائرة على اليمنيين فتشتتوا في الافطار اما آل علم الدين فقتلوا عن آخرهم وبادت ذريتهم بالكلية

امارة اللمعيين

وممن اشتهروا في هذه الواقعة الهائلة المقدم مراد اللمعي من طائفة الدروز فحينما رجع القيسيون الى الباروك حياه الامير الشهابي الحاكم بقوله : لا شلت يداك يا مقدم مراد . فاستشاط المقدم المذكور غضباً واستل حسامه قائلاً ان من يقطع اربعة عشر رأساً من امراء آل علم الدين كيف يقال له يا مقدم ! فقال له الامير : دمت سالماً يا امير مراد ومن ذلك الحين عمت الامارة جميع الاسرة اللمعية واقطعت لهم الاقطاعات العديدة في نواحي المتن وما لبثوا بعد ذلك ان تنصروا اقتداء بآل شهاب ولما استراحت البلاد من الفتن بعد انقراض اليمنية استتبت الاحكام لآل شهاب في دير القمر .

-٣-

ولاية الامير يوسف الشهابي

لما آل عهد الولاية الى الامير يوسف الشهابي طغى وبغى واكثر الضرائب وعمت منه النوائب ومن جملة ما شرع في سنه هو وضع رسم على الشاشيات اي العمامات ، الذي سماه العامة قرش الشاشة وذلك انتقاماً من الدروز لشدة كرهه لهم ولان اكثر لابسي الشاشات كانوا دروزاً . فاعترض على هذا الامر شيخ مشايخ عقال الدروز كافة الشيخ يوسف ابو شقرا من عماطور وحضر عنده في سراي دير القمر حيث جرت بينهما المحاورة والمداولة بهذا الشأن فلم يرتدع الامير بل اصر على رأيه متهدداً الشيخ بقوله : « البلاد لا تسع يوسفين » فاجابه

الشيخ (فليرحل المتضايق) وخرج مغضباً . فالتقاه في ساحة الدير غندور الخوري كتخداي الامير فقال له : أبلغت منك الجسارة يا حضرة الشيخ حتى قلت لسعادة الامير (فليرحل المتضايق) تالله لاحمين فرن دير القمر بشاشات العقال . فانتهره الشيخ يوسف قائــلا والله العظيم لتكسير رأسك ورأس سيدك يوسف شهاب بهذه العصا (مومئاً الى عصاه بيده) اسهل جداً من احماء فرن الدير بشاشات عقال الدروز . ولكن لافعلن وافعلن! ومضى وبات تلك الليلة في بعقلين غير انه ما نزل في فراشه حتى كتب الى جميع الانحاء وصرف الرسل كلا الى ناحية : اما نص الكتاب فهو كما يأتي :

« اخواننا ابناء الطاعة

يقتضي حضوركم في النهار الفلاني الى مرج بعقلين بالاسلحة الكاملة والمؤن والذخائر الوافرة لامر يحبه الله »

فلما كان اليوم المضروب طفقت الجماهير تفد من كل فج وصوب حتى تألب في المرج نحو سبعة آلاف من صنف العقال بأسلحتهم ومؤنهم واكثرهم لا يدري لمَ كان استحضارهم فتداولوا هناك في القضية وغدرا جميعهم مصممين على شن الاغارة على دير القمر وأخذهــا عنوة واستبدال حاكمها قسراً او يذعن لما ابداه شيخ المشايخ الا ان الشيخ ارتــأى انذار الامير قبل اظهار القوة فانفذ اليه معتمداً يقول له: يقول لك حضرة شيخنا ان تنبذ الاصرار على العناد وتميل الى الهدى قابلا ما ابداه لك . فلم يرعو الامير وظل مصراً على عنــاده ، فخرج المعتمد من أمامه قائلا له اذاً وجهك والرجــال فارتعد الامير لسماع هذه العبارة الجفائية وكأنه انتبه من غفلة متيقناً ان وراء الا كمة ما وراءها فدعا باثنين من رجاله وأمرهما بسرعة السير جهة الشوف لمشارفة رجال الشيخ والوقوف على ما ينوون اجراءه . اما الشيخ فلما عاد معتمده من لدن الامير مخذولا امتطى بغلته وسار نحو الدير فسارت في أثره الرجال ورفع عقيرته بالانشاد « على المصطفى زيدوا الصلاة » ورجعت جواسيس الامير تنذره بالخطر الملم والخطب المحدق فهاله الامر وارتعدت فرائصه فرقاً وضاقت به الدير على رحبهــا اذ لم يكن لديه ساعتئذ من القوة ما يقوم بصد ذلك العسكر العظيم . فهمّ بالرحيل ، وبينما هو اذا بالمشايخ آل نكد وبقية وجوه دير القمر تدخلوا في القضية وأوقفوا الشيخ يوسف عن اتمام مراده متعهدين له بتنفيذ مطالبه وأجروا بينهما المصالحة بعد ان اقلع الامير عن قصده ورفع الرسم عن الشاشيات ورفع خلاف ذلك من المظالم .

قيل ان زوجة الامير يوسف عيرته في بعض الايام بما ادركه من الفشل لقاء خصم تزعم انه صغير بجانب زوجها الحــاكم . فقال لها سوف يزورنا يوماً وآذن لك بمقابلته فتعذرينني على

ما تلومينني عليه . فدعاه الامير في احد الايام ووضع حرمه في ردهة الاستقبال وراء سجف فلما اقبل الشيخ ودل على قدومه وقع عصاه على بلاط الدار اخذت الاميرة تنتفض كأنما عرتها البرداء ، وعرتها حبسة بلسانها فلم تستطع مخاطبة الشيخ وللحال امرت باعتزالها عنه الى غرفة الحرم حتى هدأ روعها .

ولما راقت مياه الوداد بين الامير والشيخ جعل الامير يدعو الشيخ اليه لاجل قراءة الاوامر والفرمانات التي كانت ترد من الجزار والاجابة عليها وما فتىء الامير يلاطف الشيخ ويحسن معاملته حتى ركن اليه فدس الامير له سماً في طعام قدمه له ولاحد رجاله من ذوي قرباه وهو الشيخ خطار نجم نمر ابو شقرا فقضي عليهما مسمومين فكان فقد الشيخ يوسف فاجعة اكبرها اهل البلاد . وصحت منهم الهمم للشغب عليه والعمل على عزله .

— ٤ —

احمد باشا الجزار (١)

اما احمد باشا الجزار والي عكا يومئذ فانه مصري الاصل قدم بادىء بدء من مصر الى دير القمر في حداثة سنه فاستخدمه الامير يوسف مع سواس خيله فكان يظهر بخدمته من المهارة والامانة ما اعجب الامير فعينه اميناً رئيسياً على اصطبله ولقبه باحمد آغا ثم بلغ اكرامه له ان اقامه متسلماً علـى مدينة بيروت . اما الجزار فقد كان مع فطانته ودهائه وشدة بأسه غادراً وذا حيل ومكايد، فما تربع في وست متسلمية بيروت حتى طفق يعمل على العصيان ويغري البيروتيين على ذلك . فاخذوا في ترميم سور مدينتهم الذي بناه الامير فخر الدين معن ثم جاهروا بالعصيان ومنع الجزار الامير يوسف من النزول الى بيروت والاقامة فيها شتاء حسب عادته فجرد الامير يوسف عسكراً عظيماً لمحاربة الجزار ورده الى الطاعة فاستمرت بينهم المناوشات والوقائع حتى اعيا الامير امر افتتاح بيروت والاستيلاء عليها فاستنجد الامير بالشيخ ظاهر العمر ابي زيدان حاكم بلاد صفد فانجده بخيله ورجله ولما رأى الجزار ورود النجدات على خصمه والتضييق عليه الجأه الامر الى التسليم على يد الشيخ ظاهر المذكور بشرط ان يبقي الامير على حياته . فلما عزم الشيخ ظاهر على الاياب الى بلاده تقدم اليه الجزار راجياً منه اخذه بمعيته ، خوفاً من اغتيال الامير يوسف اياه . فطلبه الشيخ

(١) المرجح ان الجزار بوشناقي . اما القول هنا بانه مصري الاصل فلعله ناشىء من انه قدم الى لبنان من مصر بادىء ذي بدء

ظاهر من الامير يوسف فاذن له باتباعه فاكرمه الزيدانيون ونزلوه في المكان الاكرم حتى اقامه الشيخ ظاهر مديراً لشؤون بلاده . وبعد ان اقام في خدمته ما اقام اشار عليه يوماً أن يجمع مبلغاً وفيراً من المال يصحبه به الى استامبول لاجل الحصول على سنجقية عكا فاركن الشيخ الى مكره منخدعاً له وسلمه مبلغاً جزيلاً من النقود فسار الجزار الى استامبول واستحصل فرمان الولاية على عكا باسمه هو ، وآب الى عكا يحف به عسكر عرمرم من الارناؤوط .

الجزار ينتقم من آل زيدان

فلما رمى المراسي في ميناء عكا انفذ الى آل زيدان : ان اخرجوا من المدينة سالمين والا فعلت وفعلت فابوا الخروج فاطلق المدافع على ابراجهم التي كانوا قد ابتنوها خارج اسوار المدينة فخربها تخريباً . وفرّ آل زيدان من وجهه الى جبال صفد ودخل هو المدينة ظافراً منصوراً وتلي الفرمان السلطاني المؤذن بتنصيبه والياً عاماً على البلاد السورية وعظمت مقدرة الجزار وتكاثرت قواه واجناده وجعل في بادىء الامر يشن الغارة على البلاد الصفدية ويصادر بني زيدان بما كان في ايديهم من الاقطاعات هناك وانتهى الامر ببني زيدان الى الاضمحلال . فقتلت رجالهم ولم يبق منهم الا الشيخ علي الظاهر الشهير الذي بعد ان واقع جنود الجزار وقائع عديدة اشتهرت بها شجاعته وطار صيته في البلاد اضطره اخيراً ضعف اعوانه وقوة عداته على ترك صفد فجاء ميمماً الشوف ونزل في قرية نيحا بمباني بني هرموش ، وقد اصحب من الاموال قناطير مقنطرة فمكث في الشوف برهة انتشرت بها سمعته وغدا محبوباً ومرموقاً من اكثر الشوفيين لما كان متصفاً به من الشجاعة والجود والكرم مع الرقة ولطف الجانب . وما زال هكذا حتى اوجس الحاكم خيفة من اقامته في البلاد فارسل اليه يأمره بالرحيل . فركب وتبعه اربعمائة رجل من اهل نيحا ، فتوجه بهم الى احد مراعي خيل الجزار في الحولانية واباح لهم كسب الخيول هناك وطفق يشن بهم الغارات على عساكر الجزار ويغزو قراه ودساكره ولم يزل كذلك حتى جرد الجزار عليهم جيشاً كبيراً سد عليهم المضايق وفاز بهم فافناهم عن آخرهم ولم ينج منهم الا القليل وهذا كان سبب كثرة الارامل في نيحا يومئذ حتى غدت مثلاً سائراً .

الجزار يهاجم الشوف

ولما فرغ الجزار من بلاد صفد حول انظاره الى بلاد الشوف فاقام شرذمة من عسكره في صيدا جعلت في كل آن تشن الغارة على اقليم جزين واقليم الخروب واقليم التفاح وتعيث في تلك الانحاء فصمم الامير يوسف على مدافعة قوات الجزار وشرع في تجنيد العساكر من جهات لبنان غير انه لما كان يقتضي لحشد العساكر والمؤن والذخائر مدة طويلة وقع الانتخاب على خمسمائة شاب من طائفة الدروز تقيم في مزرعة علمان وفي جوارها صداً لهجمات قوات الجزار المتواترة وايقافها الى ما بعد تألب اللبنانيين طراً ، وكان تعهدهم انهم لايبرحون اماكنهم الى ما بعد وصول اهل البلاد كافة حتى اعرج عينداره » ثم جرت وقائع عديدة بين اللبنانيين وعسكر الجزار كان الفوز في اكثرها حليفاً للبنانيين نذكر منها واقعة انقسمت بها جنود الجزار الى قسمين : قسم جاء الى شحيم فاستولى عليها والقسم الآخر الى عانوت فملكها . فاغار الشيخ بشير جنبلاط برجاله على عانوت ففتكوا بالانكشارية واحرقوا البلدة، واغار احد النكديين المدعو الشاق على شحيم ففتك بالانكشارية واحرق البلدة ورجع الاثنان بغنائم من خيل وسلاح الخ . ويقال ان استيلاء عساكر الجزار على البلدتين المذكورتين كان برضاء من اهلها واستدعاء منهم . (ومما يروى عن الشيخ بشير جنبلاط ان والده الشيخ قاسم كان يومئذ اسيراً عند الجزار في عكا فلما هم بالاغارة على الانكشارية لامه بعضهم وحذروه هلاك والده فاجابهم : بوالدي ولا بالبلاد) .

الجزار يضع يده على مزارع عماطور

وفي اثناء هذه المحاربات كان الجزار قد وضع يده على مزارع اقليم التفاح الجارية على ملك عائلتي عماطور وخلافهما من عيال الشوف وأقام الشيخ علي الطرابلسي من طائفة المتاولة ناظراً بوظيفة دالي باش واصحبه بمئة خيال من جنده وكان والي صيدا يلبي طلبه لدى الاحتياج الى خيل زيادة عما معه . فالشيخ علي المذكور حجز الاملاك المذكورة بقوة الجزار عن العماطوريين وجعل يستورد ريعها ويورده الى عنبر صيدا وذلك بمدة سبع سنوات . اما ذوو الشدة والبأس من العائلتين فكانوا في كل سنة يغيرون على بيادر مزارعهم وينقلون صبب الحنطة مع القوافل ويثبتون في الدفاع والنضال مع عساكر الجزار الى ان يتجاوز المكارون حدود اقليم التفاح وكثيراً ما كان يقتل منهم في تلك الغارات والمناوشات .

اما الذين تهيبوا صولة الجزار وبطشه ولم يغيروا على مزارعهم لاستحصال مؤن بيوتهم فحينما مستهم الحاجة ورأوا جلب المؤن من مزارعهم متعذراً توجهوا الى عكا ، وطوّب كل منهم نصف مزرعته باسم الجزار واستحصل على امر باستلام النصف الآخر . اما المزارع التي احيل نصفها الى حكومة عكا فهي : المحاربية والجديدل ووادي بعنقودين . واحيلت القريّة باجمعها لانها كانت ملك الشيخ ناصيف علي ابو شقرا ، شيخ العقل المشهور (١) فمات بدون عقب فحدث نزاع بين الورثة وهم بيت عمار وبيت نجم حسين فوصلت الدعوى للجزار فاستولى هو بنفسه عليها لموت مالكها بلا عقب.هذه من مزارع آل ابي شقرا اما مزارع آل عبد الصمد فاحيل نصف عين الدلب ونصف برته واسفنته ونصف عبرا وممن كتبوا صكوك نصف مزارعهم حسين غضبان جد رامح ابي شقرا (وهو غير حسين غضبان راوي هذا الكتاب) وابو فندي عباس جد طراد عباس . وفرمند قاسم عبد الصمد .

---

(١) لا نعلم تاريخ مولد الشيخ ناصيف ، ولا تاريخ توليته مشيخة العقل ولكننا نرجح ان ذلك قد حصل بين سنة ١١٥١ – ١١٥٢ ه بدليل ما ورد في صكوك قديمة خلا اسمه فيها من نعوت المشيخة قبل هاتين السنتين ، واقترن بنعوت تشعر بتوليه اياها فيما بعدهما . وبهذا الاعتبار لم يكن شيخاً سنة ١١٥٠ وقد كان شيخاً في شهر صفر سنة ١١٥٣ .

وكان الشيخ ناصيف على جانب من الغنى ولم يكن له ولد يرثه . وفي سنة ١١٦١ ه كتب وصيته . ثم عاد فالحق بها ملحقاً في سنة ١١٦٤ ، وهي السنة التي توفي فيها . ولم ار في الوصايا مثلها استفاضة واحاطة . فانه لم يدع في الانحاء التي يسكنها الدروز مجلساً او شخصا مستحقاًإلا اوصى له بشيء من مال او عقار . فضلا عن ايصائه بمعظم تركته للمجلس وهو من بنائه وما يزال يعرف باسم « مجلس الشيخ ناصيف » الى الآن .

روى لي السيد سليم سالم (عماطور) عن جده قال :

في ايام الشيخ ناصيف قدم اول من قدم من المسيحيين الى نواحي الشوفين . فقد جاء عماطور ابو سليمان جرجس سالم واخوه لطيف من نواحي الفرزل ، ثم صعد لطيف الى بعذران ، وكانا كلاهما يعملان في الحدادة وعاش جرجس سالم في عماطور تحت رعاية الشيخ ، وكان له فرس يأتي لها بالعشب من املاك الناس ، وكان الشيخ يعلم ذلك ، فاتفق ان غلاماً لجرجس خرج يوماً الى الحقول يجمع العشب فمر بهالناطور وكان شقراويا ، فقشطه (اخذ منه منجله علامة انه تطاول فاخذ ما لا حق له به ،ومايؤخذ يدعى « القشاطة »)وهدده موصياًاياهبالا يعود الى مثل ذلك ، وعلم الشيخ فغضب على الناطور ونفاهمن عماطور فلبث ثلاث سنوات في قلعة جندل من اقليم البلان.

وروى لي السيد وهبي طليع قال :

ان المس الحداد من عين قني الشوف كان له معصرة دبس في كروم بعذران ، صعد ذات سنة ليعمل في معصرته واذا بالشيخ علي جنبلاط قد انفذ نفراً من رجاله فطردوا لبس من المعصرة وهددوه كيلا يرجع ، فجاء الى الشيخ ناصيف واخبره بذلك في صباح اليوم التالي نهض الشيخ ناصيف واستعد للصعود نحو كروم بعذران ولحظ بعض الناس ذلك فسألوه الى أين يقصد شيخنا ؟ فاجاب :

من يحب الشيخ ناصيف فليلحق به ، وركب دابته وسار حتى انتهى الى المعصرة فجلس هناك ، وجاء رجال الشيخ علي جنبلاط فوجدوا الشيخ ناصيفاً ، وهالهم ان رأوا الناس يتوافدون من عماطور وعين قني وغيرهما حتى اجتمع هناك جمهور غفير فرجعوا واخبروا سيدهم الشيخ عليا بالامر ، فقال لهم : اقعدوا ، البلاد للشيخ ناصيف ، وليست لنا .

عبد الله باشا يرفع الحجز عن المزارع

وفي نهاية السبع سنوات المحكي عنها توفي الجزار ثم تولى سنجقية عكا عبدالله باشا وكان ذا عدل وحلم ولين عريكة محباً بالراحة فلما وقف على اخبار الوقائع التي كانت تحصل في اقليم التفاح استجلى حقيقة الامر فاتضح له ان اقليم التفاح ملك للعماطوريين من مدة مديدة سوى انها كانت مزارع شمسية لا عمار فيها اذ لم يقم فيها بيوت و كنايس (١) الا بعد استرجاعها من حكومة عكا بواسطة ملاكيها العماطوريين . فلما استنشق العماطوريون نسمات العدل والرحمة توجه وفد منهم الى دير القمر والتمسوا من الامير الشهابي (٢) الحاكم ان يساعدهم ويسترحم من عبدالله باشا رفع الحجز عن مزارعهم. وكان من عادة امير جبل لبنان ان يرسل في اكثر السنين من قبله معتمدين (درزي ونصراني) لبعض امور مهمة تجري المخابرة فيها شفاهاً ، ولذا انتخب سنتئذ معتمدين هما الشيخ ابو شاهين معضاد (الثاني) ابو شقرا والشيخ عساف البيطار (من شمال لبنان) واصحبهما بكتاب يسترحم فيه رفع الحجز عن مزارع العماطوريين فاكرم الباشا وفادتهما وبعد الاخذ والرد قرر ان المزارع التي كتب صكوك بنصفها تبقى انصافها ملكاً للدولة العلية لان صكوكها قد ارسلت الى الاستانة واما بقية المزارع فصدر امره برفع الحجز عنها وارجاعها لايدي ملاكيها ورتب عليها الاموال الاميرية العادلة لا غير .

- ٥ -

تسقيف بطريرك الروم الكاثوليك

روى لي هذه الرواية * المرحوم الطيب الذكر المطران ثاوادسيوس مطران صيدا ودير القمر للروم الكاثوليك . وقال انه في عهد الامير ملحم شهاب وكان الروم الكاثوليك قد انفصلوا من الكنيسة الشرقية منضمين الى الكنيسة الغربية ومعترفين بالسلطة البابوية ولم

---

(١) بنى الشيخ حسن معضاد ابو شقرا كنيسة الحسانية وعلى انقاض تلك الكنيسة قامت الكنيسة الموجودة اليوم
(٢) لم يكن على حكم لبنان ايام عبدالله باشا الا الامير بشير .
* الكلام هنا لراوي المخطوطة

يكن قد تسقف لهم بطريرك بعد. فقدم القاصد الرسولي صيدا وكان ابو شاهين معضاد يومئذ بصيدا . واتى اليه القاصد الرسولي وسأله مد يده اليه والاخذ بناصره في تسقيف بطريرك لطائفتهم . وذلك لان حكام ذلك الزمان كانوا يكرهون الاكليروس ولا يقبلون بسح رؤساء لهم . فاجاب ابو شاهين معضاد الى سؤله وطيب نفسه وأخذ هذا الامر على عاتقه قائلاً له : في بيتي يسقف البطريرك . فركبا ومعهما المطران المعول على تسقيفه . وسقف في علية ابي شاهين معضاد في نفس عماطور . (١) فلما بلغ الحاكم امر التسقيف غضب غضباً شديداً وبث العيون والارصاد وراء البطريرك الجديد فلم يستطع من القاء القبض عليه لمساعدة ابي شهين له واخفائه عن الابصار ريثما سافر القاصد الرسولي الى رومية واستحصل على كتاب من البابا الى الباب العالي في الآستانة يلتمس به التصديق على تسقيف البطريرك المذكور (٢) واعلام حاكم جبل لبنان بذلك .

---

(١) لعل القاصد الرسولي عمد الى تسقيف البطريرك في عماطور لما كان يعلمه من حق عماطور في حماية من يلجأ اليها مدة سنه . وهناك اخبار متواترة عن اشخاص لجأوا قديماً الى عماطور واحتموا فيها ، منهم الامير سعد الدين شهاب (حاصبيا) غضبت عليه الدولة فلجأ الى سعيد بك جنبلاط فاحاله سعيد بك الى عماطور ، فلبث فيها سنة كاملة .

ومن قبيل ذلك ما رواه الدكتور شاكر الخوري في الصفحة ٦١٠ من كتابه «مجمع المسرات» عن عائلته وهي عائلة بيت الخوري في بكاسين ، قال :

« اتى جدها الخوري جرجس عبود مع اخيه ابو سمرا الى نيحا في الشوف لخدمتها الدينية مع مزارعها ومن جملة مزارعها بكاسين . وقد رسم البطريرك اسطفان الدويهي في كنيسة غسطا على نيحا ومزارعها سنة ١٧٠٣ . كما في سجلات البطريركية فتوجه اليها وكان ذلك مدة حكم محمود باشا ابو هرموش رئيس الحزب اليمني الذي كان قاطنا نيحا . وكان للخوري ابنة جميلة عرفها احد خادمي الباشا نصراني وطلب ان يتزوجها فرفض الخوري ذلك ، لانه ليس من مزاويجه . فوسط الخادم الباشا الذي توجه في السهرة الى بيت الخوري وعند خروجه وضع صرة في الشباك وقال : يا صرة اريد ابنة الخوري مجهزة لزواجها بخادمي فلان وخرج . هكذا كانت العادة . وعندما تأكد الخوري ان ليس له مناص من ذلك ، رحل ليلا الى عماطور لان لها حق تحمي من يأتيها مدة سنة فاكرمته عماطور وقدمت له كل لوازم معيشته . الخ»

(٢) يرجح ان هذا البطريرك هو كيرلس طاناس الدمشقي وكان يعرف باسم ساروفيم طاناس يوم كان كاهنا انتخبه فريق من اهل عكا مطرانا لهم ولم تتم رسامته لمعارضة بطريرك اورشليم اليوناني له . ثم في سنة ١٧٢٣ م انتخبه اهل ابرشية صور وصيدا مطرانا ولم تتم رسامته كذلك . وفي سنة ١٧٢٤ انتخبه اهل دمشق بطريركا خلفا للبطريرك اثناسيوس الذي توفي تلك السنة لكن عاكسه رجال السفارة الفرنسية ، وعزل من دمشق عثمان باشا ابو طوق الذي كان قد تعهد بجلب البراءة السلطانية بالبطريركية باسم كيرلس ، ثم قامت دعاوات عنيفة في معاكسته وتشويه سمعته من بطاركة اسطنبول وانطاكية والقدس وتوجه مأمور خاص فوق العادة بامر سلطاني للقبض عليه وعلى من شايعه من المطارنة ففروا من دمشق الى بلاد الدروز ولاذوا بدير المخلص بعد أن زاروا الامير حيدر شهاب الحاكم العام والشيخ علي جنبلاط صاحب الشوف »

(ملخصة عن مقال في مجلة الرسالة المخلصية لسنتها السادسة ١٩٣٩ من ص ٦٥١ – ٦٥٤

(الخوري قسطنطين الباشا)

المُلحَقُ الثّاني

يتضمن هذا الملحق وثائق تاريخية تلقي ضوءاً على حوادث معينة ورد ذكرها في المخطوطة متريد في ايضاحها وتصحح تأريخ بعضها فضلاً عن اشياء لهـا علاقة باحوال خاصة درزية ولبنانية .

- ١ -

رسالة عمر باشا

الى اهالى مقاطعة الشوف

وهي جواب عن مطالبة الشوفيين باقالة اسمعيل ورد من حكم الشوف والافراج عن سعيد بك ونعمان بك جنبلاط .

– تابع لما ورد في ص ٤٤ –

اعلام به الى كامل وجوه واوادم واهالي مقاطعة الشوف عموماً يحيطون علماً .

اطلعنا على تحريركم المتضمن يوضح عبوديتكم واطاعتكم واسترحامـكم بخصوص اولاد الشيخ بشير جنبلاط وجميعما ذكرتموه صار معلوماً فنخبركم . اما وكالة اسمعيل آغا ورد عليكم فهذه وقتية حسب الاقتضا واما نعمان بك وسعيد بك ان شاء الرحمن لا يحصل من طرفنا الاغضا عن تقديم الرجا بخصوصهم وقريباً بعونه تعالى يرجعوا لمحلاتهم كما كانوا فانتم كونوا بغاية الاطمئنان والراحة وباشروا اشغالكم واعمالكم ودائماً تكونوا متجنبين الامور المغايرة اعلموا ذلك .

عمر

١٠ را (ربيع الاول) سنة ٢٥٨ (١٨٤٢)

مير لواعساكر منظمة شاهانية

وآمر وحكمدار جبل لبنان

— ٢ —

رسالة الفريق محمد رشيد باشا

الى الشيخين احمد علي ويوسف جمول عبد الصمد

— تابع لما ورد في ص ٤٦ —

مفاخر المشايخ الشيخ احمد علي والشيخ يوسف جمول وباقي عائلة بيت عبد الصمد الذين معهم عموماً .

بعد السلام التام المنهي اليكم بتاريخه عرض لدينا من افتخار الاغوات الكرام باز آغا عبد الصمد عن التماسكم الامان لترجعوا لمحلاتكم فبناء عليه قد حررنا لكم مرسومنا هذا لكي بوصوله تحضروا الى هذا الطرف لتأكيد طاعتكم وتقيموا في محلاتكم وعليكم امان الله وراي رسوله الاكرم ثم راي الدولة العلية وامانتنا الوثيق عليكم وعلى كل من يحضر مطيعاً للدولة العلية اماناً ثابتاً وثيقاً وبعنه تعالى لا تشاهدوا الا كلما يسر خواطركم من سائر الوجوه واذا مضى ثلاثة ايام وما حضرتم فلا يعود لكم امان من طرفنا ويكون لومكم على نفسكم وتكونوا سببتم خراب بيوتكم بايديكم وهذا لكم كفاية اعتمدوه ..

في ١٤ جا (جمادى الاولى) سنة ٢٥٨ (١٨٤٢)		فريق عساكر ظافرة

محمد رشيد

محافظ عكا ومأمور

جبل لبنان

هذه الرسالة ورسالة عمر باشا السابقة اخذت نسختها من السيدين سعيد ونجيب محمود عبد الصمد.

— ٣ —

(ا)

النظام الاقطاعي لبلدة حمانا

وهو اتفاق بين صاحب حمانا المقدم شرف الدين مزهر وبين اهالي حمانا اقره الحاكم الامير بشير الشهابي الثاني واذن في العمل بموجبه وختمه بخاتمه .

علم المواد التي كان واقع عليها الحلفة ما بين المقدم شرف الدين واهالي ضيعة حمانا

١ — الطحن يكون في طواحين المقدم ومثلما يتاخذ من البراني يتاخذ من اهل الضيعة

وزوايد لا يكن

٢ - مادة الجوالي ، كل نصراني يورد جاليته ما خلا الخوري عن شخصه والعاجز والولد القاصر عن البلوغ فهولاي الثلاثة لا يوردوا جوالي ، وما بقي كل نصراني يورد جالية ، ومسطرتها مثل مسطرة ضيع الامراء بيت مراد ، على المزوج ثلاث غروش ونصف وعلى الاعزب ثلاث غروش فقط واذا صار مالين يدفعوا جالتين نسبة اهالي البلاد

٣ - مادة عليق الحوالي ، على الميري والمطاليب ، الذي يدفع ميرته او مطلوبه مرفوع عنه العليق

٤ - دشار خيل وبغال وبهايم لا يكون لا في الارزاق ولا بكل ما يحصل منه عطل

٥ - الحداد يورد جاليته نسبة النصارة ويشتغل في بيته ولا يورد شي عن صنعته .

٦ - الرزق الذي ينباع ، المال تابع الغلال ، الذي يشتري يدفع الميري ان كان المقدم او غيره من الفلاحين لان المال تابع الغلال

٧ - من حيث العادة عند الامرا بيت بللمع على نقل فحم وغلال لدورهم عونات من اصحاب الضهر والعوايد في حمانا من قديم كل ضهر انكان بغل او بهيم عليه نقلتين من حطب وغلة ، فحيث ذلك كل صاحب ضهر يلتزم نقلتين انكان من البقاع او من غير محل وغير ذلك لا يكن

٨ - مادة الذبح ، حيث فيه ملحمة كل من يذبح لازم يدفع الميري حسب عوايد الملاحم والذي يذبح لنفسه في بيته ما عليه مطلوب

٩ - العونات من حفر اساس وقياس عمار وتتريب وسحب حجار الطحن هذه تبقا جارية حسب عادتها وفلاحة كرم يزبك وزبارته تمشي على الفلاحين حسب عادتها بما انها خاصة المنزول

١٠ - والذي يتوفى من غير عاقبة ما احد له مقارشه في ارثته الا الوراث المستحقين الورثة بموجب الشريعة صح .

١١ - مادة عونات وسخرة خلاف المعين لا يكن وشغل تحت الاجرة في الملازمة كذلك لا يكون بل الذي لا يريد يشتغل لا يصير الزامه

١٢ - من جهة مشال عمارة لرزق المقدم اذا صار لزوم اصحاب الضهر يزقو تحت الكري وياخذو منه الاجرة مثلما ياخذو من اهل الضيعة من غير زيادة ولا نقصان

١٣ - مادة الارزاق الذي يريد يبيع او يشتري ما عليه معارضة الا بالشفعة الشرعية وبعد تمنيع صاحب الشفعة من غير جبر يشتري من شا بتثمين الحق

١٤ - مادة النواطير يكون توقيفهم لاجل صيانة الارزاق ولا يكن لهم مقارشة في

مشاغل او خدمة بل يكونوا مواضبين في نطارتهم على صيانة الارزاق بحسب عوايد النواطير

١٥ – فالذي له دكان ملك يكون بمشاه بموجب السند الذي بيد المقدم شرف الدين من أهل الضيعة

١٦ – ندّافة القطن ما عليهم كلف ولا حادثة لا كلّي ولا جزؤي

١٧ – والمصابغ يوردوا حسب عادتهم الماشيين عليها

١٨ – قد جرى كلما هو محرر اعلاه بكامل الاتفاق والتراضي الطوعي ما بين اخونا المقدم شرف الدين مزهر وأهالي ضيعة حمانا على السلوك بموجب الشروط المشروحة اعلاه وبعد وقوفنا على ذلك وحصول هذه الوفقية أذننا بان يكون العمل على هذا الموجب وتسلم كل منهم قايمة مطابقين بعضهم على هذا الشرح صح صح

حرر في غرة ذي الحجة ١٢٣٦ ستة وثلاثين ومايتين والف صح بشير شهاب

— ب —

كتاب الشيخ بشير جنبلاط الى اهالي حمانا

حضرة عزازنا وعزازنا المشايخ اهالي حمانا المكرمين سلمهم الله تعالى

اولا مزيد الاشواق الى رؤياكم بكل خير وعافية وبعده نعرفكم سعادته رفع عنكم دفتر مال حسين بالكلية ورسم في توزيع دفتر جوالي عوضه ويكون نسبت اهالي البلاد وجيرتكم المراد توزعوه وتوردوه ليد حضرة ولدنا المقدم بوعلي وتكونو في خاطره ومصالحكم مقضية عن يده وانشاء الله اننا لا نسمح بالذي يكون حايد عن سيرتكم واذا كنتم تتشبهون من توزيع دفتر الجوالي ، هذا شيء نسبت البلاد وشفقتنا عليكم توجينا مراحم سعادته برفع دفتر مال حسين وابطاله بالكلية ومن حلمه رسم بابطاله وامر بالمشرفة الواصلة عن يد ولدنا المقدم بو علي حيث نفوذ امره الشريف .لازم تداركوا ايراد الجوالي من دون مراجعة عرفناكم(*)

بشير جنبلاط

---

* اخذت نسخة هذا النظام ونسخة كتاب الشيخ بشير جنبلاط عن الاصل الذي ما يزال لدى المهندس المقدم بهيج مزهر .

ويلحظ من العبارة التي توج النظام بها ومن كتاب الشيخ بشير الى اهالي حمانا ان خلافاً قد حصل بين المقدم شرف الدين مزهر واهالي حمانا على نظام سابق ، ويستفاد من كتاب الشيخ بشير ان ذلك النظام كان يدعى دفتر مال حسين ، وان الشيخ بشيراً قد توسط حينذاك لدى الحاكم الامير بشير الشهابي فالغى الاول واحل في محله هذا النظام الذي سماه دفتر الجوالي . واعتبر عمله هذا شفقة منه ورحمة من الامير . ويلحظ ان الكتاب بلا تاريخ .

اما المقدم بوعلي فهو المقدم شرف الدين نفسه ، وقد كان صهراً للشيخ بشير .

واما مال حسين فلا نعلم ما هو . ولعله مال كان المقدم حسين اللمعي قد وضعه فنسب اليه.

— ٤ —

جمرات العيال

تابع لما ورد في ص ٦١

«ومن رعايا هذه البلاد طوائف من اصحاب السيف لهم سطوة في البلاد ونجدة بين ولاة الامور . فهم يراعون جانبهم ويحذرون تعصبهم . وهم بنو سيف وبنو عبد الصمد ، وبنو ابي شقرا ، وبنو ملاك ، وبنو جوديه ، وبنو البعيني ، وبنو ذبيان وبنو حماده في الشوف ، وبنو الغضبان ، والحسنيه ، وبنو زيتون وبنو بدر ، وبنو ابي ملهم في العرقوب وبنو احمد وبنو الصايغ في الجرد ، وبنو خداج وبنو عز الدين في الشحار ، وبنو سعد وبنو المدور في الغرب . وبنو حاطوم وبنو هلال ، وبنو الاعور ، وبنو ابي الحسن ، وبنو النجار ، وبنو صالحة ، وبنو مكارم ، وبنو القنطار ، وبنو مرداس ، وبنو بلوط ، وبنو منذر ، وبنو الناكوزي ، وبنو الكعدي ، ، وبنو معلوف ، في المتن وهم اشهر هذه الطوائف واشدها بأساً . ومنهم بنو بدر وابي ملهم والناكوزي والكعدي والمعلوف نصارى. والباقي دروز وهم جمرة العداوات والفتن في البلاد . ولهم عادة ان يخرجوا على ولاة امورهم يتعبون معهم تعباً شديداً . وفي اكثر الامر لا يقدرون على اخذهم الا بالحيلة كما فعل الامير منصور اللمعي ببني منذر فانه خادعهم حتى دعاهم الى وليمة فجلسوا يأكلون وكان قد اعدّ لهم جانباً عظيماً من البرود والقى عليه النار واذا هم يتطايرون. ويقال عن احدهم شاهين منذر انه بينما كان طائراً في الهواء استل خنجره وهو يتهدد الامير منصور وما زال حتى وقع ميتاً على الارض»

(عن رسالة تاريخية في احوال لبنان في عهده الاقطاعي منسوبة للشيخ ناصيف اليازجي (حاشية ص ١٦)

– ٥ –

(١)

صك المصالحة بين آل عبد الصمد و آل ابي شقرا

وقد كتب في دار سعيد بك جنبلاط

تابع لما جاء في ص – ٧٠ –

محمد القاضي النائب بجبل لبنان عفي عنه

الحمد لله تعالى

انه بحسب القضاء والقدر بعد ما وقعت الفتنة فيما بين المشايخ عايلتي بيت ابو شقرا وبيت عبد الصمد يوم الخميس الواقع في ٢٥ شهر رجب الفرد سنة ١٢٧١ وحضر عن امر سعادة عزتلو افندم القائمقام الامـير امين ارسلان الافخم مأمورين ومباشرين بالدفعات ثم حضر وكيلاً من قبل سعادته جناب الشيخ محمود العيد والذي تعينوا من مجلس القيمقامية وهم جناب الشيخ محمد القاضي الحاكم الشرعي والشيخ سلمان تقي الدين والشيخ محمد العرب والشيخ فارس شكور ومن خلافهم حضرة الشيخ احمد تقي الدين والشيخ حسن العقيلي والشيخ محمد حماده والشيخ حسن طليع مع معتمدات ومنتخبين من قبل سعادة رفعتلو سعيد بك جنبلاط الافخم من ذوي الدراية ومحبين السلامة وان يكونوا جميعهم مجلس واحد وتصير المبادرة لازالة ما كان بين العائلتين المرقومتين من الفتن بوضع روابط قوية للمستقبل ثم بعد ذلك حضروا جناب الاجلاء الاماجد الفخام حميتلو غرزاده مصطفى افندي وفتوتلو صلح زاده احمد افندي المحترمين متعينين لهذه المأمورية من جانب وكالة مشيرية الايالة مصحوبين في بيولردي شريف من الطرف الاشرف الدفترداري مآلها المنيف اجراء التآلف والصلح فيما بين العائلتين المذكورتين واعادة استحصال الراحة المبذول اسبابها من طرف اولياء الامور ثم وحضر ايضاً عن امر سعادة القائمقام المشار اليه الافخم صحبة جناب الافندية المومى اليها جناب عثمان بك ابو علوان بانه ينظم لجناب الافندية المومى اليها المجلس المذكور وان تصير المبادرة باجراء ايجابات الخصوص المذكور بحسب الاصول عـلى طبق الاوامر

الكريمة ولدى اجتماع كافة المأمورين والمنتخبين المومى اليهم والمذكورين اعــلاه وجلب وكلاء العايلتين والمكالمة معهم بحضور الجميع بخصوص المآلفة والصلح فيما بينهم فبعد ان اجابوا وكلا الطرفين بغاية الرغبة للصلح طلبوا تحرير حجج شرعية باسقاط الدعاوى والابراء عن جميع ما حصل بينهم من قتل وجرح فتطبيقاً للوجه الشرعي اقتضى طلب اثبات وكالة كل منهم عن عايلته فوكلا بيت ابو شقرا وهم المشايخ سعد الدين جهجاه واحمد سليمان واسعد حمزة وعلي يونس احضروا للشهادة واداءها كل من الشيخ حسن طليع والشيخ وهبة ابو ناصر الدين وشهدا غب ان استشهدا بأن كافة المشايخ بيت ابو شقرا بوجه العموم قــد وكلوا الوكلا المذكورين بالصلح والاقرار والاسقاط والابراء كما سياتي ذكره وكالة مطلقة مفوضة لرأيهم وقولهم وفعلهم واقاموهم بهذه الوكالة مقام انفسهم ثم ووكلا بيت عبد الصمد وهم المشايخ علي بويزبك وسرحال سليمان وكنج ظاهر وسلمان علي احضروا للشهادة واداءها كل من الشيخ فارس عزام والشيخ حسن الفطايري وشهدا غب ان استشهدا بأن كافة المشايخ بيت عبد الصمد بوجه العموم قد وكلوا الوكلا المذكورين بالصلح والاقرار والاسقاط والابراء كما سياتي ذكره وكالة مطلقة مفوضة لرأيهم وقولهم وفعلهم واقاموهم بهذه الوكالة مقام انفسهم وغب ذلك جميعه قد جرى الصلح بين وكلا الطرفين بوجه الرضى والطواعية والاختيار بــدون اكراه ولا اجبار واقر كل منهم أصالة ووكالة بأنهم اسقطوا حقوقهم وحقوق موكليهم من العائلتين المذكورتين وهدروا دم كل من قتل من الفريقين وديته وارش جرحه حتى اذا لا سمح الله تعــالى فقد احد من المجاريح فيكون دمه مهدوراً ومصفوطاً وداخلاً تحت الاسقاط المذكور وازالوا من قلوبهم الغل والضغائن والاحقــاد وتصالحوا وتسامحوا واقروا بان لم يبق لهم ولا لموكليهم لا حق ولا دعوى ولا طلب بوجه ولا بسبب لا لجهة دم قتلاً ولا دية ولا ارش جرحا وابرأ كل من وكلاء الفريقين اصــالة ووكالة ذمة الفريق الآخر الابراء العــام المسقط لكل دعوى شرعية وحق شرعي على الخصوص والعموم من هذا القبيل وتوابعه افراده واجماله فعند ذلك قد ثبت لدى الحاكم الشرعي المشار اليه جميعما تضمنه هــذا الصك الشرعي من التوكيل والصلح والاقرار والاسقاط والابراء كما ذكر ثبوتاً شرعياً وحكم بصحته حكماً صحيحاً مرعياً غب اعتبار ما وجب اعتباره شرعاً وعرف كل من الوكلاء المذكورين بانه لم يبق لكل من العائلتين المذكورتين قبل العائلة الاخرى لا حق ولا دعوى من سائر الحقوق والدعاوى عن كلما يتعلق بالخصوص المذكور كما تحرر وسطر ما هو الواقع فيه غب الطلب والسؤال ليكون سنداً مشعراً بذلك ومخبراً بما هنالك تحريراً في ١٢ شهر شعبان المبارك سنة واحد وسبعين

ومايتين والف ١٢٧١ .

القابلين بما فيه بيت عبد الصمد بوجه العموم .

الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير
علي بويزبك	كنعان شبلي	شاهين عساف	احمد شبلي	احمد علي	حسين سلمان
عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد
سليمان شاهين	امين سعد	حسين بوخير	محمد اسماعيل	مرحال سليمان	حسن فيصل
عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد
حسن احمد	اسعد مراد	بوحسن شبلي	سلمان علي	قاسم بويزبك	احمد شروف
عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد *
	سلمان حمود	بوعلي نعمان	كنج ظاهر	بوعلي اسماعيل	قاسم كليب
	عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد	عبد الصمد

شهود الحال

الفقير	الفقير	الفقير	الفقير اليه سبحانه	الفقير اليه سبحانه
احمد	عثمان	محمود عيد	احمد صلح زاده	السيد مصطفى غرزاده
تقي الدين	بو علوان		ناظر املاك بيروت	من اعضاء مجلس الايالة

الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير	الفقير
حسن طليع	محمد العرب	سلمان تقي الدين	محمد حماده	سليمان حماده	حسن العقيلي
شبلي	فارس	سلمان	علي	وهبه	فارس شكور
حماده	عزام	عمار	حماده	بو ناصر الدين	
				حسن	فارس
				القطايري	بوسماعيل

(*) اخذت نسخة هذا الصك عن الاصل الذي ما يزال لدى الدكتور محمد ابو شقرا وشقيقه السيد رؤوف.

(ب)

كتاب ريجارد وود

الى آل ابي شقرا بهنئهم بمصالحتهم مع آل عبد الصمد[1]

جناب حضرة احبابنا الاجلا الكرام المشايخ بيت ابو شقرا المحترمين دام بقاهم
غب اهداء واجبات الاكرام والسوال عن خواطركم الكريمة وجزيل الاشواق الوافرة
لمشاهدتكم بكل خير وعافية المبدي لمحبتكم بالطف ساعـــة وصلنا عزيز جوابكم الكريم
تلوناه بغاية السرور وحمدناه تعالى حيث اطمأنينا على صحتكم وعلى ازالة البواعث واجراء
المصالحة مع جناب احبابنا المشايخ قرايبكم بواسطة جناب سعيد بك الافخم وسليمان بك

---

(١) ريجارد وود Richard Woo d موظف بريطاني في السفارة البريطانية بالآستانة ، اوفد الى لبنان سنة ١٨٣٤ بمهمة سياسية تستهدف تفاهم الامير بشير الشهابي مع الباب العالي ، وتحويل مجرى السياسة في لبنـــان عن مناصرة ابراهيم باشا المصري ولكنه لم يفلح . وقد لبث في لبنان زمناً يدرس اللغة العربية على استـــاذه الخوري ارسانيوس الفاخوري . ويبدو ان استاذه الخوري تلقى عليه دروساً سياسية كان لها تأثير فعال في بعض الاوساط وظهرت نتائجها بعد ذلك جلية واضحة في السياسة المارونية بلبنان .

وبعد جلاء المصريين عن بر الشام ، عين قنصلا لبريطانيا في دمشق وقد لبث في منصبه هذا من سنة (١٨٤١ – ١٨٥٥) . اما القنصلية البريطانية بدمشق فقد انشئت في سنة ١٨٣٠ وتتابع القناصل البريطانيون هناك الى الحرب الكبرى الاولى على الترتيب التالي :

١٨٣٠ – فارن (قنصلا عاماً)	J.W.P. Farren
١٨٣٨ – وري (قنصلا)	N.W. Werry
١٨٤١ – ريجارد وود (قنصلا)	R. Wood
١٨٥٥ – برنت (قنصلا)	J. Brant
١٨٦١ – روجرز «	E.T. Rogers
١٨٦٨ – فرنسس برتن «	Capt. R. Francis Burton
١٨٧١ – كرين (نائب قنصل)	W. K. Green
١٨٧٦ – جاكو «	T. S. Jago
١٨٨٢ – دكسن «	J. Dickson
١٨٩٠ – ايرس قنصلا	H. C.A. Eyres
١٨٩٦ – ريجاردز «	W. S. Richards
١٩٠٥ – دايفي «	G. P. Devey

المحترم ولئن كنت من قبل الآن اعتقد حسن معقولكم وكمالات معروفكم ومزيد تبصراتكم الى ما بعد ولكن الآن في حسن تصرفكم هذا قد اعطيتموني حجة راهنة تثبت ما كنت اراه من وفور فطنتكم بعين الفكر فالفرح الذي حصل عندي في تلافيكم لهذه الواقعة ليس هو اقل من المشهور عن حسن مزاياكم والحق يقضي بان عيلتين مثـــل حضرتكم اشتهر تعقلها وادراكها وامتيازهما بين عشاير لبنان وصارتا قدوة لغيرهما من ابناء الوطن لا يليق ان يكون بينهما التخالف والشقاق اللذان يوجبان العواقب الغير حميدة فالآن نحمد الله على زوال المكروه من بينكم ونؤمل من كرمه تعالى ان يديم الحب والاتفاق فيما بينكم ولا عاد يرينا فيكم مكروه وفيما بعد لا تحجبوا عنا اعلامكم المسرة للاطمئنان ودام بقاكم (١).

٨ ن (رمضان) سنة ٢٧١ (١٨٥٤) — المحب المخلص

ريجارد وود

-٦-

النبذ الثلاث التالية عن بني حماده وحمدان وكبول، عثرت عليها في كتاب «موجز تاريخ موسى بن شافاط» وموسى مؤلف هذا الموجز رجل يهودي شامي كان يتولى رئاسة ديوان المالية بدمشق وضع كتابه المذكور باللغة العبرانية. وقد تلطف الاستاذ بولس هاشم (بالسويدا) فترجمها لي الى العربية كما يلي:

(أ)

بنو حماده

بنو حماده (الشوف) رحلوا من الشمال لخصام حدث بينهم وبين علي الزغل الذي كان في الجبل الاعلى وكانوا يعرفون باهل الدين والثروة وكان لهم في الشمال عصبة تذكر مآثرهم. وفي سنة ١٣٠٤ م اضطروا الى الرحيل فأتوا الى مقاطعة ولاية طرابلس ولم يطيقوا السكنى فيها فأموا ناحية وادي التيم حيث اقاموا في قرية تدعى الهبارية على مقربة من المقام الديني الاعلى وكان لهم في وادي التيم مقام لا يقل مكانة عن مقامهم السابق القديم في الجبل الاعلى. ولكن سنة ١٣٨٤ وقع بحقهم تحاسد من بعض الاهلين الذين لهم مكانة في وادي التيم فرحلوا

(١) اخذت نسخة هذا الكتاب عن الاصل الذي يحتفظ به السيد جبل ظاهر ابو شقرا المعاون في الشرطة

الى دير القمر واستوطنوا بعقلين وصار لهم فيها ما فقدوه من المكانة في غيرها . وفي سنة ١٤٠٢ م اتى دمشق الشام الشيخ احمد حماده كاتباً لدى الولاية مؤيداً برضى الباب العالي وكانت عترته مؤلفة من اولاده : البكر امين والثاني يوسف والثالث عبدالله . وتأهل ببنتيه وجيهان من آل فرحات المقيمين بباب شرقي من دمشق . استقر ابنه الشيخ امين بباب المصلى ولهم في دمشق مكانة

-ب-

بنو حميدان

إن جماعة من هذه الاسرة كانوا في جبل العاقورة من لبنان ثم في سنة ١٤٢٢ نزحوا الى ساحل كسروان ونزلوا درعون وكانت بلاد كسروان في ذلك العهد تحت ولاية امير لبنان الدرزي الذي ناهض انسباءه شيوخ عكار وهدم صرحهم ونقل من حجارته الى دير القمر فارتحل بنو حميدان الى الجنوب ونزلوا في بعقلين (دير القمر) وتبادلوا والمسيحيين قرية في ذلك الجوار من الغرب تدعى الدبية واخذوا بدلا عنها قرية من الشرق تدعى كفرنبرخ وكان ذلك لاسباب اهلية.

-ج-

بنو كبول

رحلت من الشوفين اسرة الى وادي العجم (قطنه) واستقرت في عرنة ، فلم يستتب لهم فيها مقام لكثرة ماشيتهم فنزحوا جنوباً الى خربة حضر على مشارف السهل وكانت لهذه الخربة ضواحي فسيحة خصبة المرعى . وعلى منحدر الضاحية الغربي نبع ماء متدفق وكان الشيخ كبول رئيس هذه الاسرة ممن يأنفون أنفة الكريم عن طباع اللئام وكانت البيئة من شماليه آهلة باقوام لم يكن ليأنس بهم . اذ كانوا من الرافضة . وهناك سبب دعا الشيخ صقراً ابن الشيخ كبول ان يفتك بشيخ دين لهم . فقامت الناحية الشمالية وقعدت لمقتل شيخها ، فتلافى الشيخ كبول الامر بأن ابعد ابنهصقراً الى عين عطا من منقلب جبل الشيخ واضرم

على هضبة حضر نار الاسترعاء فأقبل اليه اقوام من بني امته وكانوا حديثي عهد بالسكن في العرقوب . فكتيح الشيخ كبول بذلك عداء الرافضة .

وكان يحسب نفسه غريباً عنهم فلم يكن منهم ولم يكونوا منه . وجعل يسعى لتكتيل ابناء ملته من حواليه حتى جدد بناء الخربة في حضر ولكن لم يطب له ان يؤانس الجيرة فسعى بان يبادل آل البكري باراض لهم في جرمانا ، وكان الشيخ البكري احمد قد اتى حديثاً من القطر المصري الى اقاربه الذين كانوا قد سجلوا صك اخاء بينهم وبين آل الفقيه من سكان عاليه ، فلم يقبل آل الفقيه بالمبادلة والتزم الشيخ كبول ان يستمر مقيماً في حضر ولكنه كان ولا ريب مرغماً على ذلك .

وفي سنة ١٣٧٢ كان الشيخ يوسف كبول ابن اخي الشيخ كبول قد خالط قوماً من الرافضة وهموا بقتله غيرة وحسداً وأبعد الى حرفيش حيث تلقاه الشيخ يوسف الفارس بالطرق الواجبة لاصلاح حالته . وفي سنة ١٣٥٨ عاد الشيخ يوسف الفارس الى حضر مصحوباً بتلميذه الذي استقرت له الاقامة في اهله .

« ترجمت هذه النبذة بتصرف قليل »

— ٧ —

(أ)

مشيخة العقل

— سبقت الاشارة اليها في ص ٨٠ —

مشيخة العقل هي الرئاسة الدينية العليا عند الدروز ، وهي ارث تقليدي ، قديم فيهم قدم الدعوة الفاطمية . وترمز الى الخلافة الفاطمية في ابان مجدها وعنفوان دولتها .

كان استيلاء الدولة الفاطمية على الشام تمهيداً وسبباً لنشوء الدروز فيه ، ثم سبباً لنشوء هذا المنصب فيهم . فتمثل اول ما تمثل ، بالقائد الذي يفتح الانحاء ويحكم فيها باسم الخليفة الفاطمي ، ويقيم الخطبة له على المنابر ويسهل مهمة الدعاة في نشر دعوة التوحيد الفاطمية ، واليه يرجعون في مهام عملهم وتدبير أمورهم ، وبذا كان من يلي أمر الشام اذ ذاك يجمع في شخصه السلطتين الروحية والزمنية . غير ان السلطة الزمنية التي كانت تؤيد ذلك المنصب الروحي وتسانده لم يكتب لها ان تستمر طويلاً ، فقد لبثت بضع سنوات ثم فارقت المنصب ، وزالت عنه بزوال الجو المناسب ، وبانقضاء عهد امام الدعوة ، وبموقف الخلافة الفاطمية من دعوة التوحيد بعد ذلك موقفاً سلبياً شديداً قضى على الدعوة في اقطار الشام كلها وفي غير اقطار الشام بالفتور والانكماش والضعف بعد النشاط والانتشار والقوة .

ولئن كان الموقف السلبي قد حد من نشاط الدعوة انه لم يكن ليقفها ، ولم يكن ليوهنها اضطهاد أصحابها . فما لبثت ان استعادت شيئاً من النشاط بعد الاضطهاد والارهاق . اذ كان الامام قبل انقضاء عهده قد وضع التعاليم وبثها ورسم الخطط وامر باتباعها وانتهاجها . وفي السنة التي انقضى فيها عهده ، كان قد نصب رجلاً للقيام بما قام به هو — كما نصب غيره لغير ذلك من المهام - وكتب اليه بذلك مرسوماً كان بدعي تقليداً . وقد لقبه فيه بالشيخ وقربه منه بالاخوة وقلده به صلاحيات كانت من اختصاص الامام نفسه ، منها استئناف أعمـــال الدعوة ، واخذ الميثاق على من استجاب بضبط الحلية واحكام الشهادة .

قام هذا الشيخ بمصر مقام الامام في نشر الدعوة وايضاح التعاليم ، واخذ يبث الدعـاة

بالشام وغير الشام ، ولبث على ذلك بضع عشرة سنة ، حتى رسخت الدعوة في انحاء معينة من سورية . وبذا يتبين ان منصب الشيخ في العرف الديني يجيء تالياً لمنصب الامام.

ويلحظ من بعض المكاتبات الفاطمية ان لبنان كان مهداً خصباً لهذه الدعوة وكان لها به قواعد . منها ما كان بوادي التيم (١) ، ومنها ما كان بالشوف (٢) . ويلحظ ان احوالا كانت تعرض للقائمين بالدعوة في لبنان فتقضي بان توسع دائرة عملهم ، فتتناول مناطق وراء ما يعرف اليوم بالحدود اللبنانية : مناطق من سورية الشمالية ومناطق من سورية الجنوبية، ويلحظ ان تلك المناطق مجتمعة كانت تؤلف اذ ذاك رقعة تتميز باسم خاص ، فتدعى جزيرة الشام الفوقا ، يتولاها شيخ واحد ، ومن مركزه بوادي التيم يقيم دعوة التوحيد في سائر انحائها.

أما ما عرف بجزيرة الشام الفوقا فقد ورد في بعض المكاتبات محدوداً كما يلي :

« من الشجرتين (٣) الى الاردن والى ما ضامّه من بلد الشراة (٤) مع بلاد عمان وارض البلقاء راجعاً الى السواحل وكورها وجبالها ، شاملا لعرقة (٥) وجونها الى رفنية (٦) وما ضامّها مع حمص وأعمالها آخذاً الى حماة وتدمر ، مع سلمية منبت الزعفران راجعاً فيما قبلها حاوياً لدمشق وعملها مع بلاد البثنية (٧) وحوران » .

---

(١) وادي التيم : هو المنطقة التي تجمع بلدتي حاصبيا وراشيا وما إليها من القرى التابعة لها، مما يلي السفح الغربي من جبل الشيخ ، منتهي الحدود الشرقية للبنان اليوم .

(٢) الشوف : أحد أقضية لبنان السبعة ، وهو أهمها وأوسعها ، وأكثر تاريخ لبنان الحديث يتعلق بالشوف وفيه عواصم لبنان الثلاث سابقاً : بعقلين ودير القمر وبيت الدين .

(٣) الشجرتين : تثنية شجرة . معدن بالذهلول . الذهلول موضع يقال له معدن الشجرتين ماؤه البردان، وهو ملح .

(٤) بلد الشراة : صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول (صلعم) ومن بعض نواحيه القرية المعروفة بالحميمة التي كان يسكنها ولد علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في أيام بني مروان .

(٥) عرقة : بكسر اوله وسكون ثانيه ، بلدة في شرقي طرابلس بينها أربعة فراسخ، وهي آخر عمل دمشق وهي في سفح جبل بينها وبين البحر نحو ميل وعلى جبلها قلعة لها . وقال أبو بكر الهمذاني : عرقة ، بلد من العواصم بين رفنية وطرابلس . وعرقة ، مضبوطاً بخط بعض فضلاء حلب في شعر ابي فراس ، بفتح اوله ، وقال هي من نواحي الروم غزاها سيف الدولة .

(٦) رفنية : كورة ومدينة من أعمال حمص يقال لها رفنية تدمر ، وقال قوم رفنية بلدة طرابلس من سواحل الشام (الاعلام رقم ٣ و ٤ و ٥ و ٦ اخذ ايضاحها عن معجم البلدان)

(٧) البثنية : لعل هذه الكلمة عربية الأصل ، وهي الأرض السهلة والرملة اللينة ، أو محرفة عن باشان بالعبرانية ومعناها أرض خفيفة رملية ، وهي بلاد من سورية واقعة الى شرق بلاد حوران . ذكر أبو الفداء وقال : من قراها البثنية ، ودومة ، وعيون ، والمجدل ، وصرخد . « عن دائرة المعارف للبستاني » ، وهذا الوصف ينطبق على البلد الذي يعرف اليوم بجبل الدروز .

وكان المندوب لاقامة دعوة التوحيد بالشام يلقب بالشيخ ايضاً ، ويتولى منصبه بتقليد يصدر عن القاهرة ، وقد كانت التقاليد تصدر اولا عن مقام الامـامة ، ثم كانت تصدر بعد ذلك عن الشيخ الذي قام مقام الامام .

ثم انقضى زمان الدعوة بانقضاء ما ينيف على العشرين من السنين ، ووقف مقام الامامة عن النص والارسال ، فوقف الدعاة عن التبليغ ، واستقرت التعاليم في الجماعات التي اعتنقتها.

وبمقتضى تلك التعاليم كان الامام في صدر الدعوة قد فصل هذه الجماعات حتى من حيث القضاء الشرعي أيضاً ، وجعل النظر في امورهم الشرعية من اختصاصه هو نفسه . وكتب الى قاضي القضاة يبلغه ذلك ويمنعه ويمنع عادلته من ان ينظروا الموحد في حكم او في شهـــادة نكاح او طلاق او وثيقة او عتق او وصية . وان قاضي القضاة اذا تقدم اليه احد من جماعة الامام بشيء من ذلك فعليه ان يرده الى الامام ، لان هذه الشؤون القضائية لجماعة الموحدين قد انحصر النظر فيها بالامامة نفسها . والى هذا يرد انفصال الدروز واستقلالهم بقضـــائهم المذهبي الذي التزموه منذ القدم وساروا عليه ، وما يزالون عليه الى الآن .

لذا كان طبيعياً ان ينشأ في جماعة الموحدين – الذين اطلق عليهم اسم الدروز – رئاسة دينية عليا تخلف الامامة في المهام الدينية وتلي من امور الموحدين ما كانت الامامة تليه من حيث القضاء الشرعي . وهكـــذا نشأت المشيخة في تلك الجماعات تتولى أمرهم وتنظر في أحوالهم ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، تقضي في المنازعات ، وتضطلع بالمهام الروحية وما تجد اليه السبيل من الصلاحيات الزمنية ، فتجمع فيها ما يجعل المشيخة خلافة الامامة .

ليس لدينا ثبت يوضح تعاقب الشيوخ على هذا المنصب شيخاً شيخاً وعهداً عهداً . فهنالك عهود لم يصل الينا اي خبر عن أي شيخ في اثنائها ، ولعل مرد ذلك الى قلة الكاتبين وخلو الزمن من المؤرخـين او الى الغفلة عن اهمية هذا الأمر . ولعل شيئاً كان كتب ثم قضت الحوادث والاحوال بأن يتوارى ويضيع .

أما صلاحيات الحكم الزمني التي انسلخت عن مقام المشيخة لبضع سنوات من نشوئها ، فلم يعاودها منها شيء ، واما النفوذ الزمني فقد كان يقل ويكثر ويضيق ويتسع تابعاً في ذلـك لتعاقب الدول على سورية ولبنان ، ولاحوال تلك الدول ونزعاتها المختلفة ، وتابعاً ايضاً لحال الشيخ نفسه في قوته وضعفه ، وقوة عنصريته او ضعفها .

وقد تعود الدروز منذ القدم ان ينظروا الى مقام المشيخة نظرة احترام وتكريم . يرون في احترامه احترام ذواتهم وفي تكريمه تكريم انفسهم . يلحظون فيه الرمز القائم لعظمة الامامة وهيبتها ووقارها . ومهما سما مقام احدهم او علا شأنه أو ارتفعت منزلته في دين

أو في دنيا، فإنما يسمو ويعلو ليقر لمقام المشيخة بالاولية ويعترف له بالتقدم

ومن المأثور المتعارف أن يكون الشيخ قليل الوفود على الاحكام. لكنه اذا وفد كان الحاكم * يميزه، فيعامله معاملة لا يعاملها أحداً من سائر الاديان بلبنان. وفضلاً عن تقبيل يده بالسلام، كان في تشييعه يتخطى الابواب الداخلية الى الباب الخارجي. ولم يكن توقير الشيخ على هذا الشكل لينحصر في الدروز وحدهم. فان المواطنين جميعا على اختلاف معتقداتهم كانوا يذهبون في ذلك مذهب الدروز.

ومشيخة العقل ككل المناصب المسؤولة الحساسة، تعظم بعظم القائمين بها وتصغر بصغرهم، وتتأثر بالاحوال والاهواء، وفي ما نعلم انها قد مرت بادوار مختلفة: فقد وليها رجال كانت لهم في العلم قدم راسخة، فشرحوا وفسروا وعلقوا وتركوا آثاراً علمية ودينية وزمنية سار الدروز على مقتضاها، وثقفوها ثقافة عملية في احوال حياتهم ونظام سلوكهم. وتأثر بمعظم كل من ساكنهم وعايشهم من غير الدروز، واخذوا بها وطبقوها في كثير من نواحي حياتهم. ووليها آخرون من ذوي الكفايات الشخصية والعنصريات القوية فاضافوا الى نفوذها الروحي نفوذاً زمنيا طاولوا به نفوذ الحكام وقاوموا ظلم الظالمين منهم وابقوا على العزة والكرامة في قومهم.

وقضت الاحوال الدرزية أن يلي المشيخة في العهود المتأخرة رجال لم تسمُ لهم همم ولا كان لهم عنصريات قومية تؤيدهم وتشد ازرهم، ولا اثر عنهم علم، فلم يكن لهم من مقومات المشيخة الا نظام التدين، فانحصر واجبهم في اعمال العبادات فقط، وفي نطـــاق ضيق، فتضاءل شأن المشيخة وتوارت صلاحياتها ومسؤولياتها وراء الضعف المستحوذ عليها.

وليس للدروز نظر مختلف في تعاليمهم من حيث تفسيرها وتأويلها والعمل بموجبها، فقد كانوا وما يزالون رأيهم جميع ونظامهم واحد.

ولذا كان يتولى امرهم الديني حينما كانوا شيخ واحد وقد كان هذا الشيخ فيما مضى يدعى شيخ العصر (١) او شيخ العقال، او شيخ المشايخ، وكان يعاونه في مهامه نخبة ممتازة من شيوخ الدين تتألف من اربعة شيوخ في الاصل فيتم العدد خمسة، ولعل في ذلك اشارة الى اركان الدين الخمسة التي يمثل الامام الركن الاعلى منها، كما يمثل الشيخ الامام فيهم وكان اولئك الخمسة معاً يدعون مشايخ العقل. ولعل مرد هذه التسمية الى ان هؤلاء الخمسة معاً كانت تعقل

* الحاكم هنا هو الامير بشير الشهابي الثاني، ويذهب بعض المؤرخين إلى ان الامير بشيراً انما كان يفعل هذا لأنه كان الى ذلك الحين ما يزال على مذهب الدروز

فيهم الامور ويربط حلها برأيهم ونظرهم وفقاً لمدلول كلمة العقل في تعاليمهم

كان لاولئك الاعوان صلاحيات متساوية ، اما عددهم فكان يزيد وينقص فلا يتقيد بعدد ثابت على الدوام ، واذا توفى أحدهم خلفه اقرب تلاميذه اليه (١) .

ولم يكن للمشيخة مكان معين خاص بها ، فكان مكانها تابعاً لمكان الشيخ ، فالبلدة التي منها الشيخ هي مركز المشيخة ، ولذا فقد تداولتها مناطق جبل لبنان ، كما تداولتها مناطق وادي التيم ، لكن بالقياس على ما بين ايدينا من أسمـــاء الشيوخ ، ولا سيما شيوخ الزمن المتأخر ، نلاحظ ان معظمهم كان من سكان المنطقة المعروفة بالشوفين من قضـــاء الشوف بجبل لبنان .

وقد كان شيخ المشايخ يتميز بلبس مشلح ابيض ونظافة فائقة ، ويصحبه في اثناء تنقلاته جمهور غفير من الناس ، وأينما حل كان الشعب يستقبله بالحفاوة والحماسة ، وكان السعيد من يتاح له ان يمس ذيل جبته تبركاً (١) وعند شغور هذا المنصب كان يكثر المرشحون له ، لكن الاختيار لم يكن يقع الا على انزه الشيوخ واكرمهم خلقاً ، وممن قضوا خمس سنوات أو ستاً في الزهد والتقشف وإماتة النفس ، ولم يسمع قط أن أحد الشيوخ أساء الى سمعته (١) .

كان الشيخ منذ توليه ينقطع عن كل عمل دنيوي ، ويعيش من الهدايا التي كانت تأتيه من مختلف النواحي ، وكانت حياته بسيطة منظمة منعزلة خليقة بعاقل يعيش في الزمن القديم . وكانت اعماله روحية ، ولكن الامير الكبير وزعيم الطائفة الأول — وكان غالباً من آل جنبلاط الدروز — كانا يحاولان أن يحملاه على الاهتمام بشؤون البـــلاد ليستفيدا من نفوذه (١)

وكان مشايخ العقل يعيشون ممـــا يأتيهم من رزق يوصى لهم به ، وكان حقاً لهم أن يرثوا كل من مـــات وليس له وارث شرعي . كما أن الدروز كانوا في اضطرار الى الايصاء بشيء الى اولئك الشيوخ كي ينالوا بذلك رضاهم وبركتهم (١) .

ويتناقل الدروز فيما بينهم تواتراً ان منصب المشيخة ظل موحداً في شخص واحد حتى كان الربع الاول من القرن التاسع عشر . في ذلك العهد شجر خـــلاف بين الأمير بشير الشهابي الثاني حاكم لبنان والشيخ بشير جنبلاط كبير زعمائه . وافضى الى قتال عنيف بينهما وقف اللبنانيون فيه صفين ، وانتهى الامر بانتصار الامير وبموت الشيخ بشير شنقاً في عكا . وكان في جملة التدابير التي اتخذها الامير لتوهين ناحية الشيخ وتفريق كلمة الدروز ،

(١) Henri Geys Tome 2, P 70 - 71 Beyrouth et le Liban.

القضاء على منصب شيخ المشايخ وتوزيع صلاحيات المنصب بين شيوخ العقل من أعوان الشيخ ومساعديه ، الذين بعد ان كانوا اربعة تناقص عددهم فكانوا ثلاثة (١) . وفي رواية ان الدروز فقدوا هذا المنصب لخلاف وتحاسد فيما بينهم حصل قبل الحادثة المذكورة ، بين الامير بشير والشيخ بشير (١) .

كان يسود لبنان يومذاك انقسام حزبي شطر اللبنانيين شطرين ، جنبلاطيين ويزبكيين ، فخضعت مشيخة العقل حينذاك لمقتضيات سياسة لبنان الحزبية ، فانقسمت قسمين : مشيخة جنبلاطية ومشيخة يزبكية . ولذا توارى الشيخ الثالث وانحصرت في اثنين وفي اثنين ما تزال .

(ب)

شيوخ العقل

فيما يلي اسماء الشيوخ الذين تولوا منصب مشيخة العقل على نحو ما انتهى الي من اخبارهم . غير اني لا اجزم بصحة كل ما اورد من ذلك كما اني لا اجزم بصحة التعاقب التاريخي في بعض من ولي المنصب منهم قبل القرن التاسع عشر . ان بعضهم ما يزال يكتنف أمره شيء من الابهام ، ويقتضي بعد تقصياً وتحقيقاً .

اما ما قبل القرن الخامس عشر فلا نتعرض له لاغراقه في الغموض . واما أواخر القرن الخامس عشر نفسه فقد ولي المشيخة الشيخ بدر الدين (عيندارة) ويقال انه تنوخي وانه خال الامير السيد . ثم تلاه الامير السيد جمال الدين عبدالله التنوخي (عبيه) وقد توفي في ١٧ جمادى الثانية سنة ٨٨٤ هـ فاسندت المشيخة بعده الى الامير سيف الدين ابي بكر التنوخي (عبيه) ثم الى الشيخ ابي علي مرعي زهر الدين (الفساقين)

وفي القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري) كان الشيخ ابو زين الدين عبد الغفار تقي الدين (بعقلين)

---

(١) Henri Geys Tome 2, H 70-71 Beyrouth et le Liban.

واشتهر في القرن السابع عشر الشيخ محمد هلال المعروف بالشيخ الفاضل (عين عطا) وكان معاصراً للامير فخر الدين المعني الثاني. ولما قبض القائدالتركي احمد كجك باشاعلى الامير فخر الدين عزم على ان يقبض على الشيخ الفاضل ايضاً ظناً منه ان الدروز يفتدونه بالمال الكثير فيجمع بذلك ثروة طائلة . ولكن الشيخ الفاضل عمم حرماً في البلاد ان لا يفتديه احد بقرش واحد اذا قبض عليه . عندئذ رجع الباشا عن عزمه

ويقال انه اوصى قبل موته بوصيتين : الاولى ألا ينعى في مأتمه والثانية ان يدفن في ارض تحرث وتفلح فلا يكون له قبر ظاهر . ولكن الوصيتين لم تنفذا .

وفي القرن الثامن عشر (الثاني عشر الهجري) كان المشايخ : ابو محمد ناصر الدين العيد، وابو علي ناصيف ابو شقرا ، وابو زين الدين يوسف ابو شقرا ، وعلي جنبلاط ، واسماعيل ابو حمزه ، وفخر الدين ورد .

اما في القرن التاسع عشر فقد ورد في كتاب « لبنان في عهد الامراء الشهابيين » للامير حيدر الشهابي . في معرض حوادث سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠) في ص ٦٧٦ ما يلي :

« طلبوا مشايخ العقل الذين في جبل الشوف . وهم :الشيخ يوسف الحلبي .والشيخ يوسف الصفدي . والشيخ يوسف بردويل من رأس المتن والشيخ عز الدين (وهو الشيخ عز الدين ابو رجال من الفريديس والشيخ ناصر الدين من كفرنبرخ.(وهو الشيخ ناصر الدين الدويك) وكبيرهم الشيخ ابو علي شرف الدين (وهوالشيخ شرف الدين العظيمي (بطمة) »

ان ورود اسماء الشيوخ هنا على هذا الشكل يؤيد ما ذكرته في ص ١٨٩ منقولا عما اورده القنصل الفرنسي هنري غيز من ان شيوخ العقل نخبة من شيوخ الدين يعاونون الشيخ الكبير الذي كان يدعى شيخ المشايخ او شيخ العصر .

ومن شيوخ العقل في تلك الحقبة الشيخ حسين ماضي (العبادية) والشيخ احمد امين الدين (عبية)

وبعد ذلك تأثر منصب المشيخة باحوال السياسة الزمنيه وبالغرضية التي سادت لبنان وتميز بانقسام ظاهر فكان هناك مشيخة يزبكية ومشيخة جنبلاطية وقد بدأ عهد الانقسام هذا في الثلث الاخير من ايام حكم الامير بشير . رغم ان الامير اضاف مرة شيخاً ثالثا هو الشيخ ابوحسين شبلي ابو المنى (شانيه) :

---

(٢)

سلسلة المشيخة اليزبكية

الشيخ	البلدة	المولد	التولية
حسين عبد الصمد	عماطور	١٧٨٦ م ١٢٠١ هـ	١٨٢٥ م ١٢٤١ هـ
محمد حماده	بعقلين	١٨٢٧ ١٢٤٣	١٨٦٨ ١٢٨٥
حسين حماده	بعقلين	١٨٦٢ ١٢٧٩	١٩٠٥ ١٣٣٤
محمد عبد الصمد	عماطور	١٨٦٩ ١٢٨٦	١٩٤٦ ١٣٦٦

سلسلة المشيخة الجنبلاطية

الشيخ	البلدة	المولد	التولية
حسن تقي الدين	بعقلين	١٧٦٥ ١١٧٩	؟
حسن طليع	الجديدة	١٨٠٩ ١٢٢٤	١٨٤٥ ١٢٦١
محمد طليع	الجديدة	١٨٤٢ ١٢٥٨	١٨٧٨ ١٢٩٦
حسين طليع	الجديدة	١٨٥٣ ١٢٧٠	١٩١٦ ١٣٣٥
محمد ابو شقرا	عماطور	١٩١٠ ١٣٢٨	١٩٤٩ ١٣٦٩

— ج —

قضاء المذهب

رأيت ان اختم الكلام على مشيخة العقل بالحاق هذه النبذة في القضاء عند الدروز لعلاقتها بالاحوال الدرزية من جهة ، وبمشيخة العقل من جهة ثانية باعتبار القضاء تابعاً للمشيخة ، اذ انها تمثل المركز القضائي الاعلى .

وما لمسته من صعوبة في معرفة القدماء من شيوخ العقل ، ومعرفة تعاقبهم التاريخي الصحيح في الزمن القديم ، لمست مثله في القضاة بل لعل امر القضاة اغمض واكثر اشكالا

وكما ان الدروز قد استقلوا بقضائهم الشرعي منذ نشوئهم فهناك أسرٌ فيهم قد استقلت بمنصب القضاء فانحصر فيها زمناً متناقلاً بينها بالارث ، يتسلمه الخلف عن السلف .

جاء في هامش الصفحة ٧٩ من هذا الكتاب أن آل القاضي سكان بيصور الغرب كان منهم القضاة في عهد الامراء التنوخيين ، ويرجح انهم هم ايضا من آل تنوخ ، وان منهم الامير زين الدين القاضي ، باني الجسر على نهر الصفا المعروف الى الآن بجسر القاضي .

وان آل القاضي سكان المختارة الاقدمين ، كان منهم القضاة أيام الامراء المعنيين ، ومنهم الشيخ قبلان القاضي الذي شهد معركة عيندارة مع الامير حيدر شهاب ، واقطعه الامير حيدر اقليم جزين وجبل الريحان ، وكان خاتمة ذكور تلك الاسرة . وقد توفي سنة ١٧١٢ بعد مضي سنة على معركة عيندارة وانتقل ارثه كما انتقل اقطاعه في الشوف الى صهره الشيخ علي جنبلاط .

وان آل القاضي سكان السمقانية كان منهم القضاة في عهد الامراء الشهابيين . وقد لحظت من اطلاعي على وثائق قديمة ، صكوك ووصايا وغيرها ، تحمل تواريخ معينة ، لاتجاوز العهد الشهابي ، وقد صدقها او حكم بصحتها قضاة لا تحمل احكامهم او تصديقاتهم اي تاريخ فلا يدرى ، امعاصر هؤلاء القضاة لتلك الوثائق ام هم متأخرون عنها في الزمن ؟ ومن الوثائق ما فيه تصديق قاضيين لم يؤثر انهما كانا في وقت معاً ، فاذا كانت تلك الوثائق تشير الى وجود القاضي في زمن الوثيقة او بعدها ، فانها لا تحدد وجوده في عام معين تحديداً قاطعاً للشبهة ، مزيلاً للابهام .

من هؤلاء القضاة شرف الدين القاضي وجدنا تصديقه على صك مؤرخ في رجب سنة

١١٤٦ (١٧٣٣) ثم محمود بن منصور في سنة ١١٩١ (١٧٧٧)، ثم شرف الدين القاضي بين سنة ١٢٢٣ و١٢٢٨ (١٨٠٨ — ١٨١١) ثم محمد القاضي بين ١٢٣٩ و ١٢٧١ . (١٨٢٣ — ١٨٥٤) واحمد تقي الدين سنة ١٢٤٩ و١٢٥٤ (١٨٣٣ — ١٨٣٨) بما دل على ان الشيخين محمد القاضي واحمد تقي الدين وليا القضاء في وقت معاً .

ثم كان الشيخ ابو صالح سلمان تقي الدين وقد ولي القضاء في اوائل عهد المتصرفية ثم الشيخ سعيد حمدان سنة ١٢٩١هـ (١٨٧٤)، ثم الشيخ ملحم حمدان سنة ١٩٢٨ ثم المقدم علي مزهر ١٩٤٥

اما تسمية القضاء عند الدروز بقضاء المذهب فيظهر انها تسمية حديثة العهد نشأت في في ايام المتصرفية بعد انشاء المحاكم النظامية بجبل لبنان اما قبل ذلك فقد كانت التواقيع صريحة لا تحمل تسمية معينة، الا الشيخ محمد القاضي .. (وقد جاء في هذا الكتاب ص ٦٦ انه ولي منصب القضاء في عهد شكيب افندي ، لكن الوثائق تثبت انه ولي المنصب في عهد الامير بشير ، ويلاحظ انه لما جاء شكيب افندي أقره في منصبه) . وقد رأيت له تواقيع مختلفة : فقد وقع سنة ١٢٢٩ (١٨٢٣) « محمد القاضي بدير القمر » وسنة ١٢٤٤—١٢٤٥ (١٨٢٨-١٨٢٩) « محمد القاضي بدار القمر » . وسنة ١٢٥٨ (١٨٤٢) « محمد القاضي النائب بدار القمر » وسنة ١٢٦٥ (١٨٤٩) « محمد القاضي عفي عنه » وسنة ١٢٧١ (١٨٥٤) محمد القاضي النائب بجبل لبنان . وفي بعض الوثائق جاء توقيعه في رأس الصفحة لا في ذيلها ، كأنه تتويج لها .

القضاء في المتن

وكذلك في المتن فقد تعاقب على منصب القضاء الشرعي عدد من القضاة من آل ابي عز الدين (العبادية) وكانوا يعرفون قديماً بآل شكر . واول من ولي القضاء منهم عز الدين ابن شكر وكان ذلك حوالي سنة ١٦٧٠ م ثم رافع بن مفرج بن شكر ، ثم جابر بن مفرج بن شكر ، وكنيته ابو عز الدين وهو الجد الذي يلتقي فيه من يُعرفون اليوم بآل ابي عز الدين . ثم عبدالله بن ابي عز الدين جابر ثم ابو عز الدين بن سليمان بن ابي عز الدين ثم ابراهيم بن منصور بن سليمان بن ابي عز الدين .

في حاصبيا

وفي حاصبيا انحصر القضاء في آل قيس وقد انتهى الينا من ذلك ان الشيخ يوسف بشير قيس كان قاضياً شرعياً الى سنة ١٨٦٠ . وبعده ولي منصب القضاء شيخ مشايخ البياضة

الشيخ حمد قيس، ويلاحظ ان الشيخ حمد لم تنحصر صلاحياته ذلك الوقت في المنطقة المعروفة اليوم بل تناولت جميع ابناء الطائفة الدرزية التابعين اذ ذاك لولاية دمشق ويشمل ذلك دروز دمشق والغوطة واقليم البلان (وادي العجم) فضلاً عن وادي التيم كما انها تناولت الدروز في جهات حلب وفي قضاء عكا من فلسطين . وقد استمر ذلك الى نهاية الحرب الكبرى سنة ١٩١٨ . وتوفي الشيخ حمد سنة ١٣٣٠ﻫ (١٩١١) فخلفه ابنه الشيخ حسين ومارس الصلاحيات نفسها الى سنة ١٩١٨ . وفي عهد الانتداب انفصل عنه بعض هذه الانحاء وتوفي الشيخ حسين سنة ١٩٣٣ . فخلفه ابنه الشيخ نجيب قيس القاضي الحالي .

في راشيا

وفي راشيا انحصر القضاء في آل زاكي . وقديماً عرف فيهم قاض يدعى عبد الخالق زاكي بن عبدالله كان في حدود سنة ١٦٠٠ م ذكر اسمه في صك بيع باسم نائب قضاء راشيا . وعرف قاض آخر يدعى الشيخ محمد محمود زاكي كان معاصراً للشيخ الفاضل (في عهد الامير فخر الدين المعني الثاني) . ثم القاضي حامد محمد زاكي وتوفي سنة ١٨٧٠ ثم القاضي يوسف شمس الدين زاكي وتوفي سنة ١٨٩٠م ثم الشيخ عبادة زاكي توفي سنة ١٩٠٨ ثم انقطعت سلسلة القضاء هذه زمناً حتى كانت سنة ١٩١٩ فتولى الشيخ نعمان محمد زاكي قضاء المذهب ، والشيخ سليمان عبادة زاكي قضاء الشرع . وقد استشهد كلاهما في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ في اثناء الثورة السورية . ثم تولى الشيخ سليم نعمان زاكي في سنة ١٩٢٧ وتوفي سنة ١٩٤٣ ثم تولى شقيقه الشيخ يوسف نعمان زاكي الى ان توفي في ايلول سنة ١٩٥٠ . ثم ولي الشيخ علي سليمان زاكي في سنة ١٩٥١ وهو القاضي الحالي .

(٨)

الفتك بآل عبد الصمد

تابع لما جاء في الصفحة ٩٨

يروي بنو عبد الصمد خبر حادثة اصابتهم ايام الامير بشير تكاد تكون مشابهة لهذه الحادثة التي تروي المخطوطة انها ألمت بهم ايام الامير يوسف ، ولعلهـا هي هي مروّية على شكلين . وهم يروونها (١) كما يلي :

علم العماطرة يوما ان الشيخ بشير جنبلاط قادم الى عماطور في كوكبة من فرسانـه . فهبوا الى لقائه في ظاهر قريتهم ، وتقـدموا حتى وصلوا الى الشالوف التحتاني ، قرب عين قنية ، ولبثوا هناك ينتظرون . وبعد هنيهة قدم الشيخ بشير ، ولدى وصوله عنّ له على بعد جهجاه ابو خشان من جباع الشوف. وكان الشيخ بشير -لامر ما- قد بعث في طلب جهجاه ، ولم يحضر . فوجه نفراً من فرسانه للقبض عليه . فتحول جهجاه الى جماعة من بني عبد الصمد جالسين هناك على عين الراعي ، واحتمى بهم. وتقدم الفرسان في طلبه . فقال الصمديون : ان سيف الشيخ بشير طويل ولن يعجزه جهجاه ابو خشان اينما كان . اما الان فنرجو أن يكف عنه لدخوله علينا واحتمائه بنا. واذا ابى الشيخ الان يقبض عليه وهو فينا ، فاننا سنمنعهُ منه.

رجع الفرسان الى الشيخ فاخبروه بما كان، فثنى عنان فرسه ورجع الى المختارة . ثم بعث الى الامير بشير يخبره بما كان وهيج غضبه على بني عبد الصمد ، ولم يلبث الامير ان بعث الى عماطور يطلب اربعة عشر رجـلا صمدياً كان منهم علي منصور وعلوم نوفل . فلما مثلوا بين يديه اعتقلهم جميعاً وحبسهم .

اوجس علي منصور خيفة من هذا الاعتقال وقال لاصحابه : ان الامير بشير سيفتك بنا . فلنتدبر امرنا ، فاجابه علوم نوفل : لم نقترف ذنباً نستحق عليه القتل . اننا لسنا بخائفين .

بعث علي منصور الى زوجته يوصيها بأن تأتي خلوات الزنبقية (٢) (كفرنبرخ) وتكلف

---

(١) روى لي هذه الحادثة السيد حسن علي عبد الصمد .

(٢) خلوات الزنبقية، هي خلوات الشيخ احمد الدويك،وقد كان من الافذاذ الذين اشتهروا بالورع والتقوى. ويروى انه يوم وفاته حضر الامير بشير والشيخ بشير جنبلاط وساهما كلاهما في حمل نعشه تبركاً ، واعلاناً لفضله وتقواه .

الشيخ حسين الماضي(١) بأن يتوسط لزوجها عند الامير في الافراج عنه ان امكن ، وإلا ففي عزله عن رفاقه وجعله في غرفة وحده كيلا يحرم من اداء فروض الصلوات ، اذ كان يمنعه من ادائها وجود بعض الجهال بين رفاقه .

جاء الشيخ حسين الماضي فتوسط للموقوفين جميعا ، فابى الامير قبول وساطته . وتوسط لعلي منصور وحده فابى الامير . وطلب اليه عزل علي منصور في غرفة خاصة فابى ايضاً . فخرج الشيخ حسين من عند الامير مغاضبا يتأفف ويزمجر . ولما لاحظ الامير غضب الشيخ رده عليه واجابه الى طلبه الاخير . وامر بان يوضع علي منصور في غرفة خاصة .

وبعدُ خرق علي جدار الغرفة وفتح فيه كوّة فرّ منها ، فنجا بنفسه ولجأ الى خان الافرنج بصيدا (القنصلية الفرنسية في ذلك الوقت) ولبث هناك زمناً ، وقيل انه تقدم الى عكا واتصل بالجزار .

اما الباقون فنفذ فيهم امر الامير وشنقوا جميعاً ، الا علوم نوفل ، وكان عظيم التجاليد شديد الاسر والبأس ، انقطع به حبل المشنقة ، فكف الامير عن شنقه ، ثم جعله عنده ملكباشي ، لكن لم يمض على توظيفه ثمانية ايام حتى كثرت السعاية به عند الامير ، فاشار بان يفاجأ علوم ويشد وثاقه على حين غرة ، ثم عاد فعلقه ثانية . وقبل موته قال :

ما قال علوم كانت قتلتي غيلة	احتالت عليّ الرجال بافلة الحيلة
ما هي مروّة لياخذ لخصمه غدر	شرط المروة ليوقف مقابيله

فاذا صحت الرواية الصمدية هذه ، فيرجح ان الامير بشيراً انما انتقم من بني عبد الصمد لانحيازهم الى الامير عباس شهاب انفاذاً لارادة الجزار ومشايعة لآل عماد وغيرهم من اهل البلاد ، يوم عهد الجزار بالحكم للامير عباس مديلاً اياه من الامير بشير سنة ١٢١٦ ﻫ (١٨٠١) وهناك اشارة الى هذا في الصفحة ٣٥٦ — ٣٥٧ من كتاب «لبنان في عهد الامراء الشهابيين» فضلاً عن رسالة جوابية بعث بها الجزار الى الشيخ علي منصور عبد الصمد هذا نصها بحرفها :

---

(١) جاء في رسالة تاريخية في احوال لبنان في عهده الاقطاعي ص - ٢٥ - مايلي :

كان الشيخ حسين الماضي شيخ عقل في جبل الشوف ، وكان من الطبقة التي تعرف بالمتنزهة وهم الشيوخ الاشداء في العبادة والورع . فنهم من لا يتزوج حتى يموت بتولا ، ومنهم من يصوم كل يوم الى المساء ، ومنهم من لا يأكل اللحم في جميع ايامه ، وقد كان الشيخ حسين لا يأكل الفواكه ايضاً ، غير انه كان كلما جاءت فاكهة يتناول منها شيئاً يسيراً ثم يمسك عنها فلا يعود اليها ثانية الى السنة القابلة . قيل ان بعض اصحابه ناقشه في ذلك فقال له : اني لو لم اذق فاكهة ، خامرتني الكبرياء . ولو بقيت على اكلها ضاع التقشف . فانا اجمع بين الطرفين .

فخر اقرانه محبوبنا الشيخ علي عبد الصمد زيد قدره :

بعد السلام المنهي اليك وصل عرضحالك وكامل [ما] اعرضته صار منظور لدينا فنخبرك بان العساكر الآن متوجها من طرفنا متواصلة غير منقطعة فكون شادد همتك ولا تخشى من شيء انشاء الله وولدنا الامير عباس المكرم هذا نصبتنا وجراقنا (١) فلم يمكن يصدر له من لدنا الا كامل الاسعاف والمساعدة فاياك من الفتور والرخاوة بكافة الخدامات الصادقة المرضية لدينا واحذر حيل وخداع الخارجين من رضانا هـــذا ما لزم تعريفك والسلام

١٣ جا (جمادى الاولى) سنة ١٢١٦

الحاج احمد الجزار

والي صيدا حالاً

وفي سنـة ١٢١٧ هـ (١٨٠٢) كانت المساعي قد آلت الى رضا الجزار عن الامير بشير . وساء ذلك آل عماد ، فكاتبوا الجزار وبعثوا اليـه باموال وطلبوا اليه ان يولي الامير عباساً والامير سلمان ابن الامير سيد احمد معاً . فتوقف الجزار عن قبول الامير بشير (٢) ثم ان الامـــير عباساً نفسه كاتب الجزار ايضاً بذلك وفيما يلي رسالة من الجزار اليه جواباً ، هذا نصها (٣)

افتخار الامراء الكرام ذو العز والاحترام ولدنا الاعز الاكرم الامير عباس الشهابي زيد مجده :

بعد التحية والتسليم بانواع العز والتكريم والسؤال عن خاطركم المبدي اليكم وصل عرضحالكم وكامل ما اعرضتموه مما توقع بطرفكم صار منظور لدينا والامور مربوط قضاها في اوانها وهذا شي معلومكم وبعد اليوم مهما جد واقتضي عرضه لدينا تعرضوه والسلام

في ١٨ ر (ربيع الثاني) سنة ١٢١٧

الحاج احمد الجزار

والي صيدا حالا

---

(١) جراق : بثلاث نقط تحت الجيم ، كلمة تركية معناها ، من الاتباع .

(٢) انظر ص ٣٦٩ من القسم الثاني من كتاب « لبنان في عهد الامراء الشهابيين »

(٣) هاتان الرسالتان من الجزار الى الامير عباس والى الشيخ علي عبد الصمد أخذت نسختها عن الاصل الذي يحتفظ به القاضي الاستاذ رؤوف حسن عبد الصمد .

(٩)

القنصل الانكليزي واسماعيل الاطرش

(تابع لما جاء في ص ١٢٠)

في تلك الاثناء تبادل القنصل الانكليزي العام السيد مور والشيخ اسماعيل الاطرش الرسالتين التاليتين :

كتب القنصل في ١٦ حزيران سنة ١٨٦٠ ما يلي :

لقد اتصل بي خبر وصولكم ، بجمهور كبير من رجال حوران وسائر الاماكن قصد مهاجمة زحلة بعد أن اوقعتم في اذى مسيحيي حاصبيا وراشيا وغير اماكن ولم يكن ليخطر في بالي ان زعيماً درزياً يقترف هذه الاعمال الذميمة في حين ان الامة الانكليزية قد رسخ في اعتقادها بان الدروز مشهورون بالبسالة في ساحات القتال دفاعاً عن انفسهم يصدرون عن نبالة وعزة نفس لا تضام اجابة لنداء الانسانية

وبعد فأني اسألكم ان تعدلوا عن مهاجمة زحلة فتبعتها ثقيلة عليكم وان تعودوا الى بلادكم دون ايذاء احد من الذين تصادفونهم في طريقكم وانكم لعالمون بعطف حكومتي الى الطائفة الدرزية ورؤسائها بالمساعدات التي طالما اصابتها منها وقت الحاجة والضيق فاذا لم تجيبوني الى رغبتي تضرون بمصالح طائفتكم . ولي الرجاء بانه لدى وصول كتابي اليكم تسلكون بموجبه وتنبئوني عن اجابتكم رغبتي لاعلم حكومتي . (١)

[المحررات السياسية ج ٢ ص ٦٢ ع ٥٣]

---

(١) انشئت القنصلية البريطانية في بيروت منذ سنة ١٨٢٠ وتتابع القناصل فيها الى الحرب العظمى الاولى كما يلي :

١٨٢٠	ابت	(قنصلا)		P. Abbot
١٨٣٥	مور	«		N. Moore
١٨٤١	روز	(قنصلا عاما)		H. H. Rose
١٨٥١	مور	(قنصلا)		N. Moore
١٨٦٢	تشرشل	(قنصلا عاما)	(عين ولم يستلم)	H. A. Churchill
١٨٦٣	الدردج	(قنصلا عاماً)		G. J. Eldridge
١٨٩٠	تروتر	«	«	H. Trotter
١٨٩٤	درومند هاي	«	«	R. Drummond - Hay
١٩٠٨	كمبر بتش			H. A. Cumberbatch

فاجابه الشيخ اسميل الاطرش في ١٩ حزيران سنة ١٨٦٠ آخر ذي القعدة سنة ١٢٧٦ بما يلي :

(بعد الترجمة) تشرفت بوصول امركم المؤرخ في ١٦ حزيران (وهنا اعاد منطوق كتاب المستر مور) وكلما تضمنه فارن الافهام، فارجوكم ان تثقوا باني قد طالما كنت واظل تحت امر حكومتي الجليلة واوامر سعادتكم . ان سبب قدومي الا هو انه لما حدثت الاضطرابات في هذه البلاد وثبت ان رؤساء الطائفة المارونية نشروا اوامرهم في جميع المسيحيين واجتمعت قواهم في جوار طرابلس حتى هذه الجهات ونشبت عدة مواقع انتشرت غيوم القلق على نواحينا اعتزم الشعب على المجيء الى هنا لاستطلاع حالة انسبائه واخوانه فرأيت من المناسب ان اصحبهم لتسكين ثائر اكثرهم هياجاً . لكن المسيحيين هم الذين تحرشوا باخواننا وبادونا القتال فعاقبهم القدير المتعال والآن فور وصول امركم فاوضت المشايخ وفي اليوم ذاته عاد كل منهم اطاعة لاوامركم واني واثق بانكم تشملوني بالتفاتكم كما عودتموني وهذا رجائي (١)

[المحررات السياسية ج ٢ ص ٦٣ ع ٥٥]

---

(١) كتاب الشيخ اسماعيل الى السيد مور يختلف من حيث اللغة والاسلوب عن كتابه الى الشيخ ضاهر عثمان الملحق رقم - ١٠ - ولعل كتابه هذا مستكتب.

- ١٠ -

اسماعيل الاطرش في المختارة

– سبقت الاشارة اليه في ص ١٢٩ –

وبعد ذلك (بعد معركة زحلة) ذهب اسماعيل الاطرش بجمهور من الدروز الى المختارة مقر سعيد بك جنبلاط فاستقبلهم فيها بمظاهر الاجلال وخلع على اسماعيل الاطرش ورفاقه الثياب النفيسة ونفحهم بالهدايا :

(المحررات السياسية ج ٣ ص ١٧٥)

ويظهر ان الشيخ اسميل الاطرش تقدم من المختارة الى عماطور ومنها سافر الى حوران بدليل ورود كتاب منه في ذلك الحين الى الشيخ ظاهر عثمان ابو شقرا نثبته حرفياً فيما يلي(١) :

لجناب الاكرم والمقام الافخم الاعز الاكرم اخونا الشيخ بو يوسف ظاهر حفظه الله تعالى

غب الاحتشام مع وجوب الاحترام بمشاهدة انوار وجوهكم السعيدة على الدوام في كل خير وانعام من المعلوم والذي اوجب طروس الوداد اولاً السؤال عن عزيز خاطركم واعتدال اوقاتكم ان شاء الله العلي المتعال تكونوا في احسن حال بجاه نبيه والآل ثم انه من حين ما فارقناكم قد خالفتم لنا الوحشة والم الفراق ووجل عظيم وهم وغم جسيم ومر المذاق فنسأل الواحد الخلاق بفضل سيد الخليقة على الاطلاق بجمع شملنا في خير التلاق بمشاهدة تلك الاوجه الشفاق وهي محاسن الاخلاق انه وهاب رزاق ثم انه لله الحمد وصلنا الى محلنا محلكم بخير وسلامه نحن واولادنا الجميع بخير وسلامة وما شاهدنا الا كل ما يسر خاطرنا ويهدي بالنا وكذلك جميع اهالي بلادنا هادين البال ومشروحين الخاطر وما فيه الا كل خير وهداوة بال ثم نرجو تشرفونا في مسرات اعلام مسرات سلامة الجناب مع كل ما يبدو ويلزم من الخدمات والاغراض والمصالح فنرجو تشرفونا في خصوصها مع جميع الاخبار المستجدة في نواحيكم وخلافها خصوصاً في نواحي البحر ومن نحو المراكب البحرية لاجل يكون معلوماً لاجل راحة فكرنا ثم سلامنا واشواقنا على انجالكم المحروسين وعلى جميع العيله عموم ومن هذا الجانب اولادنا محمد وابراهيم واخوتهم الجميع يهدوكم جزيل السلام والله يحفظكم

٢١ ذي الحجة سنة ٢٧٦ (١٨٦٠) الفقير اخوكم

اسماعيل الاطرش

---

(١) اخذت نسخة هذا الكتاب عن الاصل الذي يحتفظ به السيد ظاهر يوسف ابو شقرا.

فهارس الكتاب

الفهرس الاول

وهو يحتوي اسماء الاشخاص والاسر والعيال والعشائر وما تعلق بها ، كما يحتوي اسماء البلدان والمدن والقرى والاماكن المختلفة .

(ملاحظة) * في الاشخاص جعلنا اسم العشيرة او الاسرة اساساً واصلا تلتقي عنده فروعها وافرادها ، مثلا ، كل امير شهابي ذكر في الكتاب يبحث عنه تحت اسم « شهاب » على الترتيب الهجائي لحروف اسمه . وسرنا على الطريقة نفسها في الاماكن فما يختص بمدينة بيروت ، مثلا ، ذكر تحت اسم بيروت وهلم جرا .

* العشائر والعيال المدونة بكلمة (ابو) و(ابن اعتبرت من باب الهمزة

ح

خ

ذ

ر

ص

ل

ه

الفهرس الثاني

فصول الكتاب ومحتوياته

الصفحة

✡ تم طبع هذا الكتاب في { ١١ اذار سنة ١٩٥٢ م
١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٧١ هـ

الفهرس الثالث

مراجع

١ – ابراهيم باشا في سوريا – سليان بك ابو عزالدين – المطبعة العلمية بيروت سنة ١٩٢٩
٢ – ابو سمرا غانم – او البطل اللبناني – بيروت سنة ١٩٠٥
٣ – الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا – للدكتور اسد رستم .
٤ – تاريخ بيروت – لصالح بن يحيى – المطبعة الكاثوليكية – بيروت سنة ١٨٩٨
٥ – تاريخ ولاية سليان باشا – للمعلم ابراهيم العورة – مطبعة دير المخلص – صيدا لبنان سنة ١٩٣٦
٦ – الحقوق – مجلة – للاستاذ نجيب خلف – (بيروت)
٧ – دائرة المعارف – للبستاني
٨ – ذخائر لبنان – لابراهيم بك الاسود – المطبعة العثمانية سنة ١٨٩٦ بعبدا – لبنان
٩ – رسالة تاريخية في احوال لبنان في عهده الافطاعي – للشيخ ناصيف اليازجي – حريصا – مطبعة القديس بولس .
١٠ – الرسالة المخلصية : – مجلة – مجموعة سنة ١٩٣٩ (دير المخلص)
١١ – السيد رشيد رضا ، او إخاء اربعين سنة – للامير شكيب ارسلان .
١٢ – لبنان في عهد الامراء الشهابيين (الغرر الحسان للامير حيدر شهاب) المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩٣٣
١٣ - المحررات السياسية والمفاوضات الدولية – فيليب وفريد الخازن – جونية ١٩١٠
١٤ – مجمع المسرات . للدكتور شاكر الخوري . بيروت ١٩٠٨
١٥ – مصطلح التاريخ الدكتور أسد رستم . المطبعة الاميركية بيروت سنة ١٩٣٩
١٦ – معجم البلدان – ياقوت – الطبعة الاولى مطبعة السعادة – مصر ١٣٢٤ ﻫ – ١٩٠٦ م
١٧ – La Syrie sous le gouvernement de Mehemet Ali, Ferdinand Perrier,
١٨ – Beyrouth et le Liban, Henri Geys,

الفهرس الرابع

السنوات الهجرية وما يقابلها

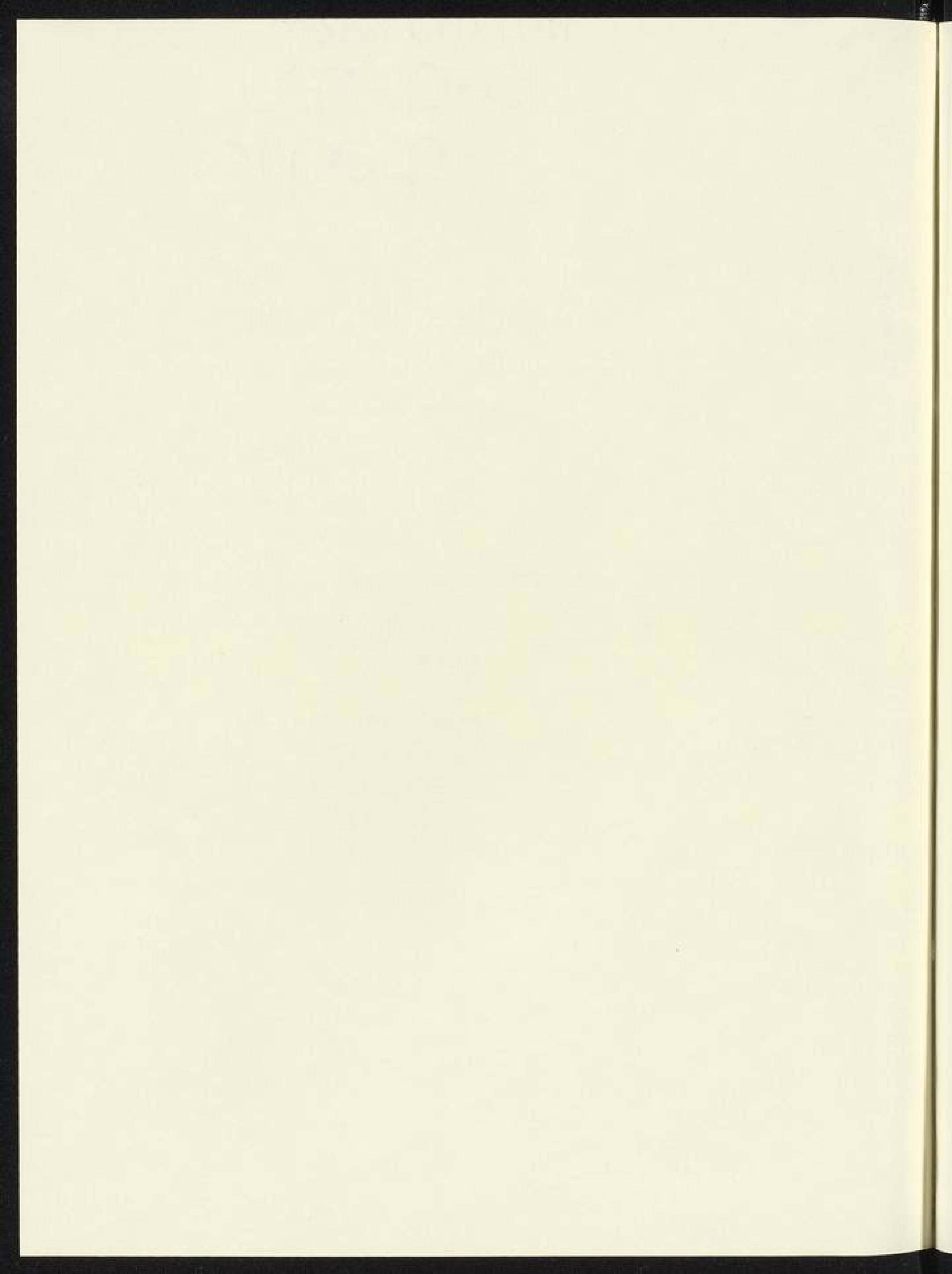
السنة الهجرية	بدؤها	اليوم	الشهر	السنة الهجرية
١٢٠٠	بدؤها	الجمعة	٤ ت٢	١٧٨٥
١٢٠١	«	الثلاثاء	٢٤ ت١	١٧٨٦
١٢٠٢	«	السبت	١٣ ت١	١٧٨٧
١٢٠٣	«	الخميس	٢ ت١	١٧٨٨
١٢٠٤	«	الاثنين	٢١ ايلول	١٧٨٩
١٢٠٥	«	الجمعة	١٠ ايلول	١٧٩٠
١٢٠٦	«	الاربعا	٣١ اب	١٧٩١
١٢٠٧	«	الاحد	١٩ اب	١٧٩٢
١٢٠٨	«	الجمعة	٩ اب	١٧٩٣
١٢٠٩	«	الثلاثاء	٢٩ تموز	١٧٩٤
١٢١٠	«	السبت	١٨ تموز	١٧٩٥
١٢١١	«	الخميس	٧ تموز	١٧٩٦
١٢١٢	«	الاثنين	٢٦ حزيران	١٧٩٧
١٢١٣	«	الجمعة	١٥ حزيران	١٧٩٨
١٢١٤	«	الاربعاء	٥ حزيران	١٧٩٩
١٢١٥	«	الاحد	٢٥ ايار	١٨٠٠
١٢١٦	«	الخميس	١٤ ايار	١٨٠١
١٢١٧	«	الثلاثا	٤ ايار	١٨٠٢
١٢١٨	«	السبت	٢٣ نيسان	١٨٠٣
١٢١٩	«	الخميس	١٢ نيسان	١٨٠٤
١٢٢٠	«	الاثنين	١ نيسان	١٨٠٥
١٢٢١	«	الجمعة	٢١ اذار	١٨٠٦
١٢٢٢	«	الاربعا	١١ اذار	١٨٠٧
١٢٢٣	«	الاحد	٢٨ شباط	١٨٠٨
١٢٢٤	«	الخميس	١٦ شباط	١٨٠٩
١٢٢٥	«	الثلاثاء	٦ شباط	١٨١٠
١٢٢٦	«	السبت	٢٦ ك٢	١٨١١

السنة الهجرية	بدؤها	اليوم	الشهر	السنة المسيحية
١٢٢٧	«	الخميس	١٦ ك٢	١٨١٢
١٢٢٨	«	الاثنين	٤ ك٢	١٨١٣
١٢٢٩	«	الجمعة	٢٤ ك١	١٨١٣
١٢٣٠	«	الاربعاء	١٤ ك١	١٨١٤
١٢٣١	«	الاحد	٣ ك١	١٨١٥
١٢٣٢	«	الخميس	٢١ ت٢	١٨١٦
١٢٣٣	«	الثلاثاء	١١ ت٢	١٨١٧
١٢٣٤	«	السبت	٣١ ت١	١٨١٨
١٢٣٥	«	الاربعاء	٢٠ ت١	١٨١٩
١٢٣٦	«	الاثنين	٩ ت١	١٨٢٠
١٢٣٧	«	الجمعة	٢٨ ايلول	١٨٢١
١٢٣٨	«	الاربعاء	١٨ ايلول	١٨٢٢
١٢٣٩	«	الاحد	٧ ايلول	١٨٢٣
١٢٤٠	«	الخميس	٢٦ آب	١٨٢٤
١٢٤١	«	الثلاثاء	١٦ آب	١٨٢٥
١٢٤٢	«	السبت	٥ آب	١٨٢٦
١٢٤٣	«	الاربعاء	٢٥ تموز	١٨٢٧
١٢٤٤	«	الاثنين	١٤ تموز	١٨٢٨
١٢٤٥	«	الجمعة	٣ تموز	١٨٢٩
١٢٤٦	«	الثلاثاء	٢٢ حزيران	١٨٣٠
١٢٤٧	«	الاحد	١٢ حزيران	١٨٣١
١٢٤٨	«	الخميس	٣١ ايار	١٨٣٢
١٢٤٩	«	الثلاثاء	٢١ ايار	١٨٣٣
١٢٥٠	«	السبت	١٠ آيار	١٨٣٤
١٢٥١	«	الاربعاء	٢٩ نيسان	١٨٣٥
١٢٥٢	«	الاثنين	١٨ نيسان	١٨٣٦
١٢٥٣	«	الجمعة	٧ نيسان	١٨٣٧

السنة الهجرية	بدؤها	اليوم	الشهر	السنة المسيحية
١٢٥٤	«	الثلاثاء	٢٧ آذار	١٨٣٨
١٢٥٥	«	الاحد	١٧ آذار	١٨٣٩
١٢٥٦	«	الخميس	٥ آذار	١٨٤٠
١٢٥٧	«	الثلاثا	٢٣ شباط	١٨٤١
١٢٥٨	«	السبت	١٢ شباط	١٨٤٢
١٢٥٩	«	الاربعا	١ شباط	١٨٤٣
١٢٦٠	«	الاثنين	٢٢ ك٢	١٨٤٤
١٢٦١	«	الجمعة	١٠ ك٢	١٨٤٥
١٢٦٢	«	الثلاثا	٣٠ ك١	١٨٤٥
١٢٦٣	«	الاحد	٢٠ ك١	١٨٤٦
١٢٦٤	«	الخميس	٩ ك١	١٨٤٧
١٢٦٥	«	الاثنين	٢٧ ت٢	١٨٤٨
١٢٦٦	«	السبت	١٧ ت٢	١٨٤٩
١٢٦٧	«	الاربعا	٦ ت٢	١٨٥٠
١٢٦٨	«	الاثنين	٢٧ ت١	١٨٥١
١٢٦٩	«	الجمعة	١٥ ت١	١٨٥٢
١٢٧٠	«	الثلاثاء	٤ ت١	١٨٥٣
١٢٧١	«	الاحد	٢٤ أيلول	١٨٥٤
١٢٧٢	«	الخميس	١٣ أيلول	١٨٥٥
١٢٧٣	«	الاثنين	١ أيلول	١٨٥٦
١٢٧٤	«	السبت	٢٢ آب	١٨٥٧
١٢٧٥	«	الاربعا	١١ آب	١٨٥٨
١٢٧٦	«	الاحد	٣١ تموز	١٨٥٩
١٢٧٧	«	الجمعة	٢٠ تموز	١٨٦٠
١٢٧٨	«	الثلاثاء	٩ تموز	١٨٦١
١٢٧٩	«	الاحد	٢٩ حزيران	١٨٦٢
١٢٨٠	«	الخميس	١٨ حزيران	١٨٦٣
١٢٨١	«	الاثنين	٦ حزيران	١٨٦٤
١٢٨٢	«	السبت	٢٧ أيار	١٨٦٥

تصحيح الخطأ

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١	٩	سياسة	سياسية
ج	٥	روايه	راويه
٣٦	١٤	بنان	لبنان
٦٣	١	ومصطفى	ومصطفى باشا
٦٥	١٤	ابي صاح	ابي صالح
٦٦	٤	لق ئقامية	لقائمقامية
٦٦	١٥	وجرس	وجرجس
٦٩	١٤	اوليء	اولياء
٧٠	٢٥	جريحه	جريحاً
٧٠	٢٧	شقر	شقرا
٧١	٨	المتة تلين	المتقاتلين
٧٣	١٢	خصم	خصماً
٧٤	٨	عمان	علمان
٩٥	٢٥	حروب	وحرب
١٠٣	٩	وغد	وغدا
١٠٧	١٨	الحووي	الحوري
١٠٩	٥	المتن	المتين
١٠٩	٢٢	اقتال	القتال
١١١	١٣	الدووز	الدروز
١١٢	٢٣	الحنوبية	الجنوبية
١١٦	٢٣	الفتين	الفتنتين
١٣٦	٢٣	فرنسوي	الفرنسوي
١٥٩	٩	مزراعة	مزرعة
١٥٩	٩	ا لليمون	الليمون
١٦٢	١٧	إبنَ	ابنِ
١٦٥	٣	فأبي	فابى
١٧٣	٨	شهين	شاهين
١٨٩	٢	الاحكام	الحكام
١٨٩	٣	سائر الاديان	سائر رؤساء الاديان
١٩١	٢٩	H	P



حركات
في لبنان

بو شقرا

١٩٥٢

TROUBLES IN LEBANON

An Account of Political Events in Lebanon from 1785 to 1865

by a Druz Eye-witness

HUSSEIN ABU-SHACRA

Recorded and Annotated by

YUSSUF ABU-SHACRA

Edited from the author's original and provided with

Supplements and Appendices by.

ARIF ABU-SHACRA

BEIRUT (Lebanon)

مطبعة الاتحاد - شارع الأمير بشير - بيروت

